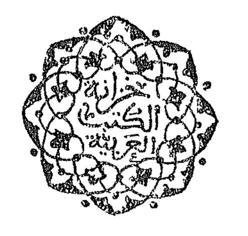
كتاب الاكتفاء

مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء

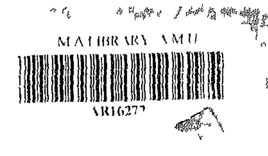
للامام ابى الربيع سليمان بن سالم
المشهور بالكلاعى





اعتنى بتصحيحه
هنرى ماسه الأستاذ بكلية الأدب بالجزائر





كلمة المصحح

مقدمة

لا يخفى ان أول من ألف في السيرة النبوية الامام ابو عبد الله محمد بن اسحاق احد علماء القرن الثاني للهجرة ولكن لم يبلغنا الا ما دوّنه الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام احد علماء القرن الثالث وقد أحسن وأجاد وأسهر او كاد

وألّف فيها ايضا ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي كتابا لم يصل الينا منه الا فصل في المغازي قد طبع في كلكتة سنة ١٨٥٥ وجمع كاتب الواقدي ابو عبد الله محمد بن سعد في كتاب الطبقات اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر المهاجرين والانصار والتابعين وقد طبع في ليدن بين سنة ١٣٢٢ وسنة ١٣٣١

وقد أجمع العلماء على ان الاخبار الموجودة في هذه الكتب مفيدة في معرفة تاريخ ابناء الاسلام الا ان الامام الكلاعي رحمه الله

نقل سواه من هذه الكتب ومن كتب اخرى قديمة لم تطبع بعد
مثل كتاب الواقدي وكتاب الزهري بن ابي بكر القاضي وتاريخ ابي
بكر بن ابي خيثمة وغير رحمه الله بين الغث والسمين وبين
اللحن واللحن معتمدا على الاحاديث الصحيحة المروية عن فحول
الصحابة والتابعين فاصبح بالنسبة طلبة الطالب وبغية الراغب واسم
كتاب المكتفى في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا وقيل ان اسمه
كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة
الخلفاء وقد سماه بعضهم الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء

هذا وقد اعتمدنا في طبع هذا الكتاب على النسخ الآتية

١ — نسخة في المكتبة السلطانية بالجزائر مقابلة تحت عدد ١٥١
بخط مغربي عدد اوراقها ١٩٦ ورقة وفي كل صفحة ٢١ سطرا

٢ — نسخة ثانية من المكتبة المذكورة تحت عدد ١٤٢ ناقصة
في اوائلها ووسطها وتختل في بعض المواضع وفي ...
ورقة في كل صفحة ٢١ سطرا

والظاهر ان اصل هاتين النسختين واحد ...

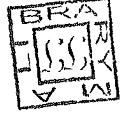
وزيادة على ذلك راجعنا نسختين نفيستين لبعض المكاتب الخصوصية والتكرار كان يا في بعض المواضع العديدة الوحيدة والظاهر ان احداهما منقولة عن الاخرى

وقد تعذرت علينا الاستفادة بالنسخ الموجودة في باريس ولندن وبرلين واكتفينا بما ابديناه في هذا الكتاب المستطاب ونرجو من الله تعالى ان ينفع به على كل حال مطالعيه ومراجعيه من الطلاب

واما المؤلف فهو الامام ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي ولد في بلنسية بالاندلس في رمضان سنة ٥٦٥ (١٩ مايو - ١١ يونيو ١١٧٠) وقرأ ببلده وبقرطبة وأخذ بالإجازات عدة ... وولي الخطابة ببلنسية واستشهد ... في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٣٤ (٢ دحسر ١٢٣٧)

وممن أخذ عنه ابن الابار وابن المواق وابو العباس احمد بن العمار القاضي وابن مسدي

وله نحو ٢٥ تأليفا اكثرها في الحديث ومتعلقاته وديوان شعر ومجموع رسائل



﴿ ترجمة الكلاعي ﴾

وقد رأينا من المفيد أن نأتي هنا بما ذكره العلماء من حياته

* * * *

قال ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب السلماني

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميري ، بلنسي الأصل يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم

حاله ، كان بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس الشرقي حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الأدب كاتبا بليغا خطيبا بجامع بلنسية ، واستقضي ببعض الجهات وأحلاه ، وكان من أولي العزم والمسابقة والإقدام والجلالة والشهامة يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلي البلاء الحسن وآخر غزوة ، هذه التي قتل فيها

مسحسه * دساص

من روى عنه * دساص

دصانيفه * منها مصباح الظلام في الحديث * والاربعون عن الاربعين شيخا من الصحابه * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفي * وجمله الامالي في المرافقات العوالي * وتحفه الوراد ونجعه الرواد * والمسلسلات * والاسارات * وكتاب الاكداء في مغازي رسول الله ومغازي الخلفاء * ومبداي السامعين * وحامد الصادقين المصدقين في عرض كتاب الاستيعاب ولم تكمله * والمعجم فمن وافقت كنيته كنيه زوجه من الصحابه * والاعلام بأخبار البخاري الامام * والمعجم في مشيخته * وبرنامج روايته * وحتى الرطب في سبقي الخطب * وتكملته * ونعم ... * والسحر الحلال * وجود الصحيح في معارضه المعري في خطبه الفصيح * والمثل والاسـال المبهج في ابداع احكام واختراع الامثال * ومفاوضه الماب العلل ومساعده الاخل الطويل على طريقه ابي العلاء المعري في ملتقى السبيل * ومحار ...ما الاحن الاحن الماحن ... على ماده مسألة ملغوه * ونبذ الحرب ... م وركاه

المنثور المنظوم * والصحف المنشورة في المطابع المصرية * وديوان رسائله شعر منثور * وديوان شعره شعر .

سعره * وقال في الاستعداد للاداء وكل عادة وعدم الالتفات الى سواه

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تباركت وجه نحوك المنى كلها * فأورثتها شكرا وأوسعتها طولا
وما هو إلا وجهك الدائم الذي * أقل .. [illegible] .. يحرس القمر
تبرأت من حولي الكثير وقوتي * فكان قوتي في عطائك [illegible]
وهب لي الرضى مالي سواك يسمعني * وأوليت نفسي على داء الجهود

وفاته * كان ابدا يتمنى ان ينتهي عمره بموته [illegible] رآها في شعره فكان كذلك واستشهد بوفاته في الثا[illegible] على المسلمين بطاعة [illegible] على سعد [illegible] ولم يزل [illegible] أمام الصفوف زحفا الى الكفار ومقبلا على العدو [illegible] حتى قتل صابرا محتسبا عند الله يوم الجمعة لست بقين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة [illegible]

ألما بأشلاء العلا والمكارم * تقد أطواد [illegible] الصوارم

ل

الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير ابن الخطيب السلماني من الجزء ١٥

من نسخة الشريف القادري صاحب نشر المثاني .

***

قال بدر الدين ابو البقاء محمد بن ابراهيم بن محمد البشتكي المصري في مركز الاحاطة بأدباء غرناطة وهو مختصر الاحاطة للوزير ابن الخطيب السلماني من نسخة باريس

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي البلنسي الاصل ابو الربيع عرف بابن سالم بقية الاكابر حافظ للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريّان من الادب خطيب بلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة والاقدام وحضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته

وصنف كتبا منها مصابيح الظلم في الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث (الصوفي) الصدفي * وحلية الامالي في الموافقات والعوالي * وتحفة الوراد ونجعة الرواد * والمسلسلات والانشادات * وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء * وميدان السابق وحلبة الصادق المصدق في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام باخبار البخاري الامام * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنى الرطب في سني الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح * والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن اللاحن الممتحن بمائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم * والسحب الماطر في القطع المعتبرة * وديوان رسائله شعر

ومن شعره ما كتب به الى أبى بحر صفوان بن ادريس عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحنّ الى نجد ومن حل فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يُجْدى
وقد أوطنوها وادعين وحلّقوا * محلهم رهن الصبابة والوجد
تبيّن بالبين اشتياقى اليهمُ * ووجدى فساوى ما أجنّ الذى أبْدى
وضاقت علىّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر او سوار على زند
الى الله اشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق احلاء وصحة احبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سرْحَتى نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتى نجد
ظمئت فهل طل يجود لوعتى * ضحيت فهل ظل يسكن من وجد
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرّم من بَدّ
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقْطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان بأكناف حائل * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرِىّ ممجد * ولا كابن ادريس أخى البشر والمجد
اخو همة كالزهر فى بُعد بابها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد

تجمعت الاضداد فيه جميعه * فمن حاق سهل ومن حسب جعد

انا راحلا أودى بصبرى رحيله * وقلّل من عزمى ويلم من جدّى

اتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مد بأدم لا بعد ولا بعدى

فيا ليت شعرى هل يعود لنا المنى * ونأنس كما كنت حاسنى نود

عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * و يسر ما الامل مطم العقد

وقــال

نوى بان البال للغرابــه حنــون * ووادى صباح الرحاء فيــس

وكان سهاب أرهب عنك رجاه * وحان مشيب حجر معون

ولا أكذب الرحمن فيما أحدثه * وكعب وانحنى عاسه حسن

ومن لم تحل أن الرداء بسمه * فمن مقتضى أن الرداء بسن

لب ردع قلبى للسهاب وقتــه * كما ربع العلوق القيد صمن

وآلى وخط الشيب دلمنى * فخطب نهاى للسجون شؤن

وان سادى كان العمرة طرا * وآسو بالاحطمدة سـون

وآها على ذى من دكتر صفيره * وأين حلا مده اوجهون

ويا ويح قودي افؤادي كلما * يزيد سني كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بعمره * وكيف مع الشيب المحض سكون
وقال شباب المرء شعبة جنة * فمالي أراني للمشيب حنون
وقالوا تجاوزت الشباب جددن ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقـــــال

أمولى الموالي ليس لي غيرك مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تباركت وجه وجهت نحوه المنى * فأورثها شكرا وأوسعها طولا
وما هو إلا وجهك الدائم الذي * أقل جلالي عنده يخرس القولا
تبرأت من حولي إليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهب لي الرضى مالي سوى ذاك مبتغى * ولو لاح شيء غير ذلك بالمولى

وقـــــال

عجبت لسبع بعد عشرين حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فياليت شعري كيف أو أين أو متى * يكون الذي لا بد أن سيكون
وكان خارج قرطبة عشي يوم الثلاثاء منتصف شوال سنة ٤٦٤ بكرها)

وفاته * كان ابدا يقول منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك واستشهد في الكائنة بظاهر أنيشة على نحو ميل منها لم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين « أعن الجنة تفرّون » حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة ٦٣٤ ورثاه ابو عبد الله بن الابار بقوله

ألمّا بأشلاء العلا والمكارم * تُقدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفاخرا * مصارع غصّت بالطلى والجماجم
تحيّي وجوها في الجنان وجيهة * بما لقيت حمرا وجوه الملاحم
مكرّمة حتى عن الدفن في الثرى * وما يكرم الرحمن غير الاكارم
هم القوم راحوا للشهادة فاغتدوا * وما لهم في فوزهم من مقاوم
مضوا في سبيل الله قدما كأنما * يطيرون من اقدامهم بقوادم
تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى * فمالت بهم ميل الغصون النواعم
يرون جوار الله اكرم مغنم * كذاك جوار الله أسنى المغانم

عظائم راموها فخاضوا لنيلها * ولا روع ان تهتم صدور العظائم

وهان عليهم ان تكون لحومهم * متون الروابي أو بطون البهائم

ألا بأبي تلك الوجوه سواهماً * وإن كنّ عند الله غير سواهم

عفا حُسْنها إلا بقايا مباسم * يعزّ علينا وطؤها بالمناسم

وسوّر أسارير تبين طلاقة * فتكسف أنوار النجوم العواتم

لئن وكفت فيها الدموع سحائبا * فعن بارقات الحق فيها البواسم

ويا بأبي تلك الجسوم نواحلا * بأجرامها نحو الأجور الجسائم

يغلغل فيها كل أسمر ذابل * فيجدل منها كل أبيض ناعم

ولا يبعد الله الذين تبرزوا * الى نجدة العرس الكرائم

مواقف أبرار قضوا من جهادهم * حقوقا عليها كالفروض اللوازم

أصيبوا وكانوا في العبادة أسوة * فبادوا وبينا بالعواصم العواصم

فعامل رمح دقّ في صدر عامل * وقائم سيف قدّ في رأس قائم

ويا رب صوّام الهواجر واصل * هنالك مصروم الحياة بصارم

وسعد علي في الأداهم راسف * ومن يرتجى راسب في الأداهم

أصابهم يوم أحد بين حفاظهم * وكنّهم في المآزق الملاحم

سقى الله أشلاء بسفح أسنة * سوافح يزجيها ثقال الغمائم

وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها * فطيّب أنفاس الرياح النواسم

لقد صبروا فيها كراما وصابروا * ولا عزو إن فازوا بعقبى المكارم

وما بذلوا إلا نفوسا نفيسة * تحنّ إلى الأخرى حنين الروائم

ولا فارقوا والموت يلمع حدّه * بحب التي الكمعالي صدق العزائم

فعندك طارحني الحديث وشاقني * أراجيع فيها بالدموع السواجم

وما هي إلا بالديار فجائع * تعثّر فيها بالحديث مآتم

حلائل دقّ الصبر فيها فلم يطق * سوى عضّ أحشاي وعضّ أباهم

أدرت لها تحت الظلام كآبتي * ورتّى نصال أو المدامع أراقم

أعازل من برّح الأسى غير بارح * وأزجر من سام البكى غير سائم

وأعقد بالنجم المشرّق ناظري * وتغرب عيني ناعسا غير نائم

وأشكو إلى الأنام سوء صنيعها * وأشكوها بشكوى إلى غير راحم

وهيهات هيهات العزاء ودونه * قواصم شتّى أردفت بقواصم

ولو ترد السلوان حرّ جوانحي * لأسرى عن طبعي ما تري الموائم

ومن أي سلوان يحل مقرّا * يحال من الأدواء حولي حائم

وبين المبادي والمحادم رمه * سرى في المبادي طبعها والمحادم

بكتما المعالي والمعالم جودها * فمن للمعالي بعدها والمعالم

بعيد صعيد لم يرمه فراره * رأعظم بها وسط العظام الرمائم

كأن دما أذكى أديم ترابها * وقد مارجته الريح مسك اللطائم

يشق على الاسلام إسلام مثلها * الى جامعات بالهلا وقساعم

كأن لم يدب عشي السراة فيادها * و يرعى حماها الصيد رعي السوائم

سفحت عليها الدمع أحمر وارسا * كما سر الياقوت ايدي النواظم

وساهرت ... الباكات بوادنا * ... بحب الليل ورق الحمائم

وقاسمت في حمل الرزء أهلها * واين قسيم المرء غير المقاسم

فواأسفا للدين اعضل داؤه * وأيأس من آسٍ امسراه حاسم

ويا أسفا للعلم أقوت ربوعه * واصبح مهدود الذرى والدعائم

فتى حامل الاسرار من آل يعرب * وحامي هدي المختار من آل هاشم

خبا الكوكب الوقاد إذ سع الضحى * لنخبط في ليل من الجهل فاحم

وحارت مساعي السامعين حديثه * كما ساء يوم الحادث المتفاقم

فأي بهاء غار ليس بطالع * وأي سماء غاب ليس بقادم

سلام على الدنيا إذا لم يلح بها * محيّا سليمان بن موسى بن سالم
وهل في حياتي متعة بعد موته * وقد أسلمتني للدواهي الدواهم
فها أنا ذا في حرب دهر محارب * وكنت به في أمن دهر مسالم
أخو العزمة الغرّاء كهلاً ويافعاً * وأكفاؤه ما بين راضٍ وراغم
تفرّد بالعلياء علماً وسؤدداً * وحسبك من دالٍ على الشهب عالم
معرّسه فوق السهى ومقيله * ومورده مثل النسور الحوائم
سبى صارم الخطب الملمّ بحطمه * كفى صادقاً منه بأكبر صارم
له منطق سهل النواحي وربما * فإن رمته فالصعب صعب الشكائم
وسحر بيان فات كل مموّه * فبات عليه قارعاً سنّ نادم
وما الروض حلاّه بجوهره الندى * ولا البُرد وشّته أكفّ الرواقم
بأبدع حسناً من محاسنه التي * بها تهتدي أقلامه في الأقالم
نماه كلاعيّ نماه إلى العلا * نظام جواد مثل عقد التمائم
يروق رواق الملك في كل مشهد * ويبدو سناه في وجوه المواسم
وكم سرّ إسلام السلاطين وحده * جدال نزال أو جدال مقاوم
أما والرسول المرتضى حلاله * يراق من الحلى أمّ نواسم

مسادٍ الى دار السلام مسادم * بها الحور واهاً للمبادى المسادم

أتاه رواه معسلا عسر مدبر * لتحظى بإقبال من الله دائم

إماما الدين أو قواما لدولة * تولّى ولم يلحقه لومة لائم

فإن غاب عنا شخصه شرفاً به * فلن نعدم الحسناء دأما بدائم

فيا أيها المحروم سام محاسنه * وذي انك من سادات ا كل خادم

ويا أيها المحروم بالفوز بعده * ألا انما الاعمال حسن الخواتم

هنيئا لك الحسنى من الله إنها * لكل تقيّ جمة غير حائم

سوأب حساب النعيم ولم يزل * يسربل الدنيا فيها والنعائم

ولم ينل عيشاً راضيا وشهادة * ترى ما ... في عداد المآتم

لعمرك ما بلى بلاؤك في العدى * وقد جرّت الا طال ذيل الهزائم

ووالله لا ... في معاركك في الوغى * سوى جاد نور العزائم كاسم

لقيت الردى في الروع جذلان باسما * فنورك من جذلان في الروع باسم

وجئت الى الفردوس حتى وردته * فقرب بأسباب المنى فوز غانم

أحدّث لا ... ولا ... * أداوي بما ترى العليل المداوم

ولا أنت بعد اليوم واجد همتي * من اليوم يحدوني الى حال حالم

لشرعان ما فوضت رحالك طائعا * وقربت على ... ر النواحي الرواسم

وخلفت من يرجو دفاعك بائسا * من النصر أسماء الخطوب الصوارم

كأني الأشجان تسري هواجري * ... من عاديات ...

... معقودا ... * ... معدوم ... عادم

ورثتك مطلوبا فأعيا ... * ... الا ...

وإني لمحزون السواد ... * ... فإنه ... سالم

وعندي الى ... سوى ... * طواني من ... الهوى فوق ...

وفي ... والله ... * ... آسم

ولو أن في ... لواسيا ... * ... ولكن لا ...

طلبتك اذ لم أقض ... * ... عسر ...

... الوفاء ... * ... الـ...

فابكي ... بالعزاء كما ابكي * ...

وأعهد أن ... * ... عاصم

وهدى المرابي وـ وهب درسمها ☼ مسهمه حهد الوفيّ المساهم
ممدة الـيهـا رافعـا سـد فـاسـل ☼ أكـت عليها حافظا فم لاسم

⁂

وقال ابن الابار في كتاب التكملة لكتاب الصلة (ط مجريط سنة ١٨٨٩ ص ١٠١ عدد ١٩١ والبرداداب ط مجريط سنة ١٩١٥ ص ٥٤٠)

سلمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سلمان بن احمد الحميرى الكلاعي من اهل بلنسية وأصله من ثغورها الشرقية يكنى أبا الربيع سمع ببلده ابا العطاء بن نذير وابا الحجاج بن ايوب وأبا عبد الله بن نوح وأبا الخطاب بن واجب وغيرهم وتجول في بلاد الاندلس والعدوة فسمع أبا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن النجار وابا محمد بن عبد الله وابا محمد بن بونه وابا الوليد بن رشد وابا محمد بن الفرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور وابا الحسن نجبة وجلتهما وأجار معاورا وابا العباس المجريطى وابا بكر بن ابى جمرة وابا الحجاج بن الشيخ وابا جعفر بن حكم وابا بكر بن منصور وابا القاسم بن سمجون وابا

زكرياء الدمشقي وابا بكر بن رزق وجماعة سواهم وأجاز له ابو العباس بن مضا وابو محمد الباذلي وابو الحسن بن كوثر وابو خالد بن رفاعة وابو محمد عبد الحق الاشبيلي وآخرون ومن اهل المشرق ابو الطاهر بن عوف وابو عبد الله بن الحضرمي وابو القاسم بن حارة وآخرون غير هؤلاء وفي شيوخه كثرة وعني أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمولد والوفيات يتقدم اهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره * وكتب الكثير وكان حسن الخط لا نظير له في الاتقان والضبط مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة والفصاحة فردا له نهاية في إنشاء الرسائل مجيدا في النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزي الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل وولي الخطبة بالمسجد الجامع ببلنسية في أوقات وكان رئيسا في الحديث بالأندلس وله تصانيف وتواليف مفيدة في فنون شتى منها

كتاب الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه
وسلم والثلاثة الخلفا في اربعة مجلدات * وكتاب حافل السابقين
وحلية الصادقين المصدقين في ذكر الصحابة الاكرمين ومن في عدادهم
بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين لم تكمله ولو فرغ منه لكان
ضعف الاستيعاب لابي عمر بن عبد البر * وكتاب مصباح الظلم من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاذي به منحى الشهاب
للقضاعي * وكتاب الاعلام بأخبار البخاري الامام ومن تابعت روايته
عنه من الاعمال والاعلام * وكتاب المعجم في ذكر من وافقت كنيته
كنية زوجته من الصحابة رضي الله عنهم جزء كبير * وكتاب
السباعيات المخرجة من حديث ابي علي الصدفي ثلاثة أجزاء *
وأحاديث المصافحة جزء * وجزء آخر في مثل ذلك من حديث ابي
بكر بن العربي * وكتاب الاربعين حديثا عن اربعين شيخا لأربعين
من الصحابة في اربعين معنى جزء مفيد * وكتاب حلية الامالي في
الموافقات من العوالي خرجها من حديثه في اربعة اجزاء * وكتاب
تحفة الرواد ونجعة الوراد في العوالي الدالة الاسناد في اربعة اجزاء *

وكتاب منتخبة أبي القاسم بن حبيش من تخريجه في ثلاثة أجزاء
كبار * والمسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشادات جزء كبير *
وكتاب نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال بنى فيه الكلام على التوشيح
بما تضمنه كتاب أبي عبيد من أمثال العرب واشعار العرب التي
في سفرين كبيرين * وكتاب جهد النصيح وحظ المنيح من معارضة المعري
في خطبة الفصيح سفر * وكتاب الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم
واختراع الأمثال جزء كبير * وكتاب ما أوضحه القلب الغافل ونبذة
الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل جزء *
وكتاب مختار فيما اللحن للاحن الممتحن على طريقة ... ما أفسدته
العرب وملاحن ابن دريد جزء * وكتاب الصحف المنشرة في القطع
المعشرة جزء * وقد جمع أحد الأعلام زكاة المنثور والمنظوم جزء *
وكتاب جني الرطب في سني الخطب جزء جمع فيه خطبه في الجمع
والأعياد وغير ذلك وهي نحو من مئتين خطبة * وله ديوان شعر في
روايته حافل * ورسائله مدونة * وله تصانيف غير ذلك كثيرة
في الحديث والأدب والخطب

والتي كانت الرحلة في عمرة للاجتماع به والسماع منه صحبته طويلا وأخذت عنه كثيرا وأجاز لي غير مرة جميع ما رواه وجمعه وأنشأه خطا ولفظا وسمعت منه جل رواياته بين قراءة وسماع بلفظه وانتفعت به في صناعة الحديث كل الانتفاع وأفادني ما لم يفد احدا مما كان عنده من الغرائب وانشدني منظومته الأولية ولما عرف غرضي على هذا التأليف حضني عليه وندبني اليه وأمدني من مستفاداته الصحاح وحكاياته المستطرفة بما يحتاج من فوائد وكتب قد أفهمته في اول اشتغالي به عجزي عنه وسألته إعفائي منه ورغبت اليه في أن يتولاه لكسوة رأيت جلالة مأبى من إعفائي وأنكر أن لا أتحلى به دون أكفائي فعندها شرعت فيه ولم يمض الا مدة يسيرة حتى أطلعته منه على حروف وأبواب فأطال العجب من اجتهادي فيها واستهدائي بمعونة الله من ذلك الى ما يحصر من رامه قبلي وهو كان السبب في جمعه والداعي الى تصنيفه والمنهض اليه والمنجد عليه بما حوته خزانته كتبه من الاصول العتيقة والدواوين النفيسة التي نقلت منها أسمعة الائمة الاعلام الى غير ذلك من الفهارس والبرنامجات الجمة

كالافادة والتي صار بعد وفاته معظم ما كان عنده من ذلك بمساوفتي فيه وقد نسبت اليه ما لمفته عنه ونسبت ذلك في بعض الكتاب واتفق له بالخوف منه ومما قرأت بخطه

وما بعضه مكنورة في رقعتها ٭ الى من ردني شكرتما بعده في اخرا
سأبدي جهلا ما استطعت فإنني ٭ اذا لم اقل شكرا أكون قد كفرا

وأنشدنا لنفسه في رمسوره

اذا نومت دمعي بحال أحلمها ٭ على أمل دام ضرب به النفس
وانزل أرجاء الوجداء ركائبي ٭ اذا دام الماء ادماجي الياس
وإن اوحشتني من أمانيي نبوة ٭ فلي دائرة من بالله والمرء الانس

مولده بخارج مدينة أول لليلة الاثنين منتهى رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة وتوفي الى ما يستند وهو ابن ثامن اسنين وست أشهر الى أن استشهد بكاذبه المستند على بلاد مراسح من بلنسية سنة سلار مدبرصحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي حجة سنة اربع ولاثين وستمائة وهو ابن سبعين سنة الا أربعة اشهر لما كان اربا بعد أن الا معين

مسهى عمرة اروبا رآهما فى صعرة وكان كدلك وهو آخر احفاط
المحدس والملعاء الموسلس ىالاىدلس

قلت أكثر عمد ابن مسدى وقال ام ألق مثله كان مبرزا فى فنون

***

وقال شمس الدين الدهبى فى كتاب ىدكرة الحفاظ (ط حىدرآباد
نعىر دكر ىاريخ ج ٤ ص ٩ ٢ ىدد ١٤)

الكلاعى الامام العالم الحافظ البارع محدث الاىدلس و بلىعها

ابو الربيع ىلىمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى
الكلاعى الىلىسى ولد سىه خمس وسىىن وخمسمائه وقال ابو عبد الله
ومع ىلىسىة ابا العطاء بن ىدىر (نخ ىدىر) وابا الحجاج بن ايوب
وارىحل فسمع ابا القاسم بن حىىس وابا ىكر بن الجد (نخ الحداد)
وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن النجار وابا محمد عبد الله وابا
محمد بن ىونه (نخ ىوىه) وابا الوليد بن رشد وابا محمد الفرس وابا
عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور ومحمد بن ىحىى وخلقا سواهم

وأجاز له أبو العباس بن مضا وأبو محمد عبد الحق الأزدي صاحب الأحكام وآخرون .

وعني أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره

كتب الكثير وكان خطه لا نظير له في الإتقان والضبط مع استبحاره في الأدب و (الاشتهار =) الاشتهار بالبلاغة فردا في انشاء الرسائل (مجيدا =) مجيدا في النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يتقلده من السابقة الأدبية والمرتقى الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك في زمانه المجالس المبين = ثم لما يريدونه في المحافل على المنابر * وولي خطابة بلنسية (كذا) في أوقات * وله تصانيف مفيدة في فنون عديدة * ألف المكتفى في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء في أربع مجلدات * وله مؤلف حافل في معرفة الصحابة والتابعين * وكتاب مصباح الظلم يشبه الشهاب * وكتاب

أخبار البخاري * وكتاب الاربعين * وغير ذلك * والته كانت الرحلة لاجل عمه ان سمعت به في الحديث كل الاستماع احدث عنه كثيرا

قلت حدث عنه ابو العباس احمد بن الغماز (كذا) قاضي تونس وطائفة قال ابن مسدي لم ألق مثله جلالة ونبلا ورياسة وفضلا وكان إماما مبرزا في فنون من منقول ومعقول ومنثور ومنظوم جامعا للفضائل برع في علوم القرآن والتجويد اما الادب فكان ابن بجدته وهو خاتم الحفاظ ذدت له سوابق الانشاء واستعفي * أحد القراءات عن اصحاب ابن هذيل وارتحل وأخص بأبي القاسم بن حبيش بمرسية (أكثرت عنه)

قال ابن الابار كان رحمه الله تعالى أبدا يحدثنا ان السبعين سنوي عمره ارؤيا رآها وهو آخر الحفاظ والبلغاء بالاندلس * استشهد بكائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من مرسية مقبلا غير مدبر في العشرين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة * قال الحافظ المنذري توفي شهيدا بيد العدو وكان مولده بظاهر مرسية في مستهل رمضان سنة خمس

وسسس * سمع سسسه (كذا) ومرسه واشبيلة وغرناطه وساطبه ومالقه وسبته ودانيه * وجمع المجاميع يدل على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشأن * كتب الينا بالاجازة سنه اربع عشرة *

***

وقال السيوطي في كتاب طبقات الحفاظ (ط فوستنفلد سنة ١٨٣٣ ج ٣ ص ٥٦ عدد ١٥).

ابو الربيع الامام الحافظ البارع محدث الاندلس وبليغها سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري البلنسي ولد سنه ٥٦٥ وسمع ابا القاسم بن حبيش وجماعة وأجاز له ابن بشكوال وابو محمد عبد الحق صاحب الاحكام وانتهى بهذا الشان اليه رياسة وكان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات متقدم اهل زمانه في ذلك وفي حفظ اسماء الرجال مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة في (الاكتفاء) الاسناد له الاكتفاء في المغازي وكتاب في معرفة الصحابة والتابعين حافل وغير

ذلك وان سنة ٥٦٥ نزل رصافة وبها مات . نقلنا عن العذرى في عسرى ثمن أحمد سنة ٦١٤ أخبار الغادرى

*
* *

وقال القاضي ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى في كتاب الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب (ط فاس سنة ١٣١٦ ص ١٢٥)

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان ابن ذكرى اما الربيع ويعرف بابن سالم الكلاعى الحميرى كان بقية الاكابر من اهل العلم ... حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا ... خطيبا بجامع بلنسية ... العدل واجلاله وكان من اولى العزم والبسالة والاقدام يحضر الغزوات ... ... الى ان ... ... عن ابى القاسم بن حبيش واكثر ... وابى عبد الله بن زرقون وابى عبد الله بن حميد وابى بكر بن احمد وابى محمد بن ...

وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس وأبي بكر بن أبي حمزة وأبي الحسن بن كوثر وأبي خالد بن رفاعة وأبي عبد الله بن الفخار وأبي محمد الصدفي وأبي العباس بن مضاء وأبي القاسم بن سمجون وأبي محمد عبد الحق الأزدي وأبي الطاهر بن عوف الإسكندري وغيرهم من اهل المشرق والمغرب

روى عنه أبو عبد الله بن حريث الله وأبو الحسن بن عبد الملك بن مفوز وابن الأبار وابن المواق وابن الغماز وأبو محمد بن برطلة وأبو جعفر الطنجالي وأبو إسحاق بن حكم وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وله تواليف منها مصباح الظلام في الحديث * والأربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة * والأربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفي * وحلية الأمالي في الموافقات العوالي * وتحفة الوارد ونخبة الرائد * والمسلسلات والإنشادات * وكتاب الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا وهو كتاب السابق وحلية الحكام من الصدور في عرض كتاب الإشارات ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضي الله عنهم *

والاعلام بأخبار المغاربة * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج في رواياته * وجنى الرطب في سنى الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعرى في خطبة الفصيح * وامثال المثال في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومعارضة المقامات العالية ومقامات لامية الطول بطريقة أبى على المعرى في ملقى السبيل * وتحارد اللحن للأحن المحن مشتمل على مائة مسألة ملغزة * ومسيحية الكتب النهرية * وركاة المنظوم والمنثور * والصحف المنشرة في القطع المعشرة * وديوان رسائل * وديوان شعره

ومن نظمه رحمه الله تعالى

أحن الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
وضاقت علىّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد

ومنهـــا

أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * فلا صبر لي لا بعد ولا تدني

عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيجمع شمل الشمل منتظم العقد

وله أيضـــا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى *

* وما أحد يا رب منك بذا أولى

تبرأت من حولي إليك وقوتي *

* فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

وهب لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى *

* ولو لاح لي نفسي على نيله البخلا

استشهد رحمه الله تعالى في عام سنة أربع وثلاثين وستمائة في بلاده بخارج مرسية سنة ... وستمائة *

***

وقال المقري في كتاب نفح الطيب (طبع ليدن ١٨٥١ - ١٨٦١) ج ٢ ص ٥٠٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ (بعض نصه ...)

كان رحمه الله حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطيب بلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة ٭ والاقدام والجزالة ٭ حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا .

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها: مصباح الظلام في الحديث ٭ والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة ٭ والاربعين السباعية ٭ والسباعيات من حديث الصدفي ٭ وحلية الامالي في الموافقات والعوالي ٭ وتحفة الورّاد ونجعة الرُّوّاد ٭ والمسلسلات والانشادات ٭ وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء ٭ وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله ٭ والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ٭ والاعلام باخبار البخاري الامام ٭ والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش ٭ وبرنامج رواياته ٭ وجنى الرطب في سني الخطب ٭ ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال ٭ وجهد النصح في معارضة المعري في خطبة

ومنهـــا

أنعاسم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ بأسم لا بعد بلا [illegible]

عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيبدو منه الشمل منتظم العقد

وله أيضـــا

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى *

* وما أحد يا رب منك بذا أولى

تبرأت من حولي إليك وقوتي *

* فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

وهب لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى *

* ولو لقيت نفسي على ذلك الهولا

استشهد رحمه الله تعالى في [illegible] [illegible]

بخارج مرسية [illegible]

***

وقال المقري في كتاب نفح الطيب [illegible] ج ٢

ص ٥٠٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ بعض [illegible] .

كان رحمه الله حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة ٭ والاقدام والجزالة ٭ حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها : مصباح الظلام في الحديث ٭ والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة ٭ والاربعون السباعية ٭ والسباعيات من حديث الصدفي ٭ وحلية (حلية) الامالي في الموافقات والعوالي ٭ وتحفة الورّاد ونجعة الروّاد ٭ والمسلسلات والانشادات ٭ وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء ٭ وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله ٭ والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ٭ والاعلام بأخبار البخاري الامام ٭ والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش ٭ وبرنامج رواياته ٭ وجنى الرطب في سني الخطب ٭ ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال ٭ وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة

الفصيح * والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن لللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ... الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل المشرفة على لابسها افضل الصلاة والسلام * قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثر والنظم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشرة في القطع المعشرة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر .

وكتب الى الاديب النبيه ابي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية سنة ٤١١

أحن الى نجد ومن حلّ في نجد * وماذا الذي يغني حنيني او يجدي

وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا * محبّهم رهن الصبابة والوجد

تبدّين بالبين استشاطي الجسم * ووجدتي فساوى ما أحنّ وما تجدي

وضاقت عليّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر او سوار على زند

الى الله اشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيت من جوى يردي

فراق أخلاء وصدّ أحبّة * كأن صروف الدهر كانت على وعد

وا سرحتي نجد بداء مستتم * اذا ادنا سوق الى سرحتي نجد
طمئت فهل طل بترد اوعدي * فحب فهل طل سكن من وجدي
ويا دقتا ود دان عسرم دنم * العل لأنس ود تصرم من ردّ
ا الى نحيي الادن من سحر المنى * وقطعت سر الوصل من سحر الصدّ
ومنا لاخوان راكا في حاحر * كرام السجايا لا تحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سرتي ممجد * ولا كان ادرس احي السرو المجد
احسو مسكا الوسرى بعد دابها * ودو حاق كالوسرحت اكا العدّ
نجتمعت كلا داد و حمند * فمن حاق سط ومن حسب جعد
ادا راحلا اودى بصرتي رحاله * وقال من عرى ومن من حتّى
انعلم ما دلقي الفؤاد انعكم * ألا دد داسم ما نعد ولا تبدي
واب معي حل عود الالهي * وعيس كما نه مت حا منتي نسرد
عسى الله ان ددي السرور سردكم * ومدو ما السمل مطم العقد

وكانت واقعة احد الى قال فيها الحافظ ابو الربيع الكلاعي رحمه الله يوم احد بن اعسر بن من ذي الحجة سنة ٦٣٤ ولم يزل رحمه الله مقدما أمام الصفوف رحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي المنهزمين

«أعن الجنة تفرّون» حتى قُتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك.

ورثاه تلميذه الحافظ ابو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم * تُقدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع غصّت بالطلى والجماجم
تُحيّي وجوها في الجنان وجيهة * مجاسد عن نسج الظبى واللهاذم
وهي طويلة.

ومن شعر الحافظ ابي الربيع المذكور

تولت ليال للغواية جُون * ووافى صباح للرشاد مبينُ
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهّزته منون
ولا أكذب الرحمان فيما أجنّه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخَلْ أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين

وآلمني وخط المشيب بلمّتي ✲ فخطّت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا ✲ وآنق مهما لاحظته عيون
فإيها على عيش تكدّر صفوه ✲ وانس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح فودي او فؤادي كلما ✲ تزيّد شيبي كيف بعدُ يكون
حرام على قلبي سكون بغرّة ✲ وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة ✲ فما لي عراني للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حد ثان ما أنى ✲ ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقوله

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى ✲ وما احد يا ربّ منك بذا أولى
تباركت وجه وجهت نحوه المنى ✲ فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي ✲ أقلّ حلى عليائه يخرس القولا
تبرّأت من حولي اليك وقوتي ✲ فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهَبْ لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى ✲ ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وقوله

اذا برمت نفسي بحال احلتها ✲ على أمل ناءٍ فقرّت به النفسُ

وأنزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا رام إلماما بساحتي البأس
وإن أوحشتني من أمامي نبوة * فلي في الرضى بالله والقدر الأنس

وقوله

إلهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لا بد أن سيكون

قال المقري والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وانما هما لأبي بكر بن منخل وفيهما ست بعد سبعين حجة .

وقوله

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فما أثقله
غازل من كأسي حبيبا له * فكلما قبله أخجله

ولما قرأ ابو محمد عبد الله بن مطروح المالقي عند ابي الاكث عثر فيه حال القراءة لفظة عن برفع ما كان منصوبا او بالعكس أنشد بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

عثرت عثرا فصرت عبرا * وهكذا من يحط ...

فأجابه الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما انت ممن يُظن منه * بذاك جهلا فظن خيرا

***

وقال ابو العباس احمد بن خالد الناصرى السلاوى فى كتاب زهر الافنان من حديقة ابن الونان (ط فاس سنة ١٣١٤ ج ١ ص ٣٠٧)

هو الشيخ ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الكلاعى البلنسى الحافظ المشهور عُرف بابن سالم ينتهى نسبه الى ذى الكلاع الحميرى ...

قد كان من أكابر العلماء بصقع الاندلس الشرقى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا خطيبا بليغا خطب بجامع بلنسية واستقضى بها فعُرف بالعدل والجلالة وكان مع ذلك من اولى الحزم والبسالة .

قال تلميذه ابو عبد الله ابن الابار واليه كانت الرحلة فى عصره للاخذ عنه والسماع منه وكان يحضر الغزوات ويباشر القتال بنفسه ويبلى البلاء الحسن .

وكانت ولادته خارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة .

وأخذ عن ابى القاسم بن حبيش وأكثر عنه وابى عبد الله بن زرقون وابى بكر بن الجد وابى محمد الصدفي وغيرهم .

وأخذ عنه ابو عبد الله بن الابار وابو عبد الله بن حزب الله وابو الحجاج ابن حكم وابن الغماز وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وله تاليف عديدة منها كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ، ومصباح الظلم في الحديث ، والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة ، والاربعون السباعية ، والسباعيات من حديث الصدفي ، وحلية الامالي في الموافقات العوالي ، وتحفة الوراد ونجعة الرواد ، والمسلسلات في الانشادات ، وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله ، والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ، والاعلام باخبار البخاري الامام ، والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش ، وبرنامج رواياته ، وجنى الرطب في سنى الخطب ، ونكتة

الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعرى في خطبة الفصيح * وأمثال المثال في ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة أبي المعرى في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن واللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها أزكى الصلاة والتسليم قال ابن رشيد لو قال زكاة النثير والنظيم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشرة في القطع العشرة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر * واشعاره كثيرة جيدة على طريقة اهل الاندلس لا نطيل بجلبها .

واستشهد رحمه الله في وقعة انيجة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم الخميس المكمل عشرين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا عليهم والراية بيده وهو ينادي المنهزمين أمن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى

عمره سبعون اربعا رآها في عمره فكان كذلك ورثاه بالمرثية ابو
عبد الله ابن الابار بقصيدته الميمية التي يقول في اولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم ۞ تُقدّ بأطراف القنا والصوارم

***

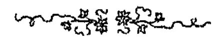
قال الشيخ ابو محمد العربي بن علي الفاسي الحسني في كتاب
فسح المجال في شرح قصيدة [illegible]

[illegible] الكلاعي صاحب السيرة [illegible] في اربعة [illegible]
[illegible] بعض [illegible]
[illegible] العلم على [illegible]
الله [illegible] محمد [illegible]
[illegible]
الكلاعي [illegible] أحق [illegible]

[illegible]

***

هذا وقد ترجمه باللغة الاسبانية المستشرق پونس بوبفس فى كتابه الاجتهاد فى التعريف بعلماء التأريخ والجغرافية من عرب الاندلس وبيان تآليفهم (ط مجريط سنة ١٨٩٨ ص ٢٨٣ وعدد ٢٣٩) وترجمه ايضا باللغة الفرنسية الشيخ ابن ابى شنب فى تعليقاته على ترجمته لاجازة سيدى عبد القادر الفاسى (ط باريس سنة ١٩٠٧ عدد ٢٣٤) وما ذكرناه من حياة الكلاعى آنفا اختصرناه مما قاله فيه .



عمره سبعون لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه أبو
عبد الله ابن الابار بقصيدته الميمية السهيرة التي يقول في أولها

ألمّا بأشلاء العلى والمكارم * تقدّ بأطراف القنا والصوارم

***

قال الشيخ ابو محمد العربي بن علي المسرى الحسني في كتاب
فتح المنان في شرح قصيدة ابن وبان [illegible] خطبة [illegible]
سليمان الكلاعي صاحب السيرة النبوية في اربعة اسفار سماها
بالاكتفاء وشرحها بعض الفاسيين شرحا عجيبا والفاسيين [illegible]
الجرم كثيرة العلم على الاكتفاء ايضا وقفت [illegible] وكتبتها لأحد [illegible] في
الله السيد محمد الشريف البقالي [illegible]
للدريس جاء بها من خزانة سيدي العربي [illegible] وفي سيرة
الكلاعي هذه أحق أن ينشد قول القائل

بأخبار خير الرسل قد ملا الأدب

***

هـذا وقـد ترجمه باللغـة الاسبانيـة المستشرق پونس بويفس فى كتابه الاجتهـاد فى التعريف بعلمـاء التأريخ والجغرافيـة من عرب الاندلس وبيان تاليفهـم (ط مجريط سنـة ١٨٩٨ ص ٢٨٣ وعـــدد ٢٣٩) وترجمه ايضا باللغـة الفرنسيـة الشيخ ابن ابى شنب فى تعليقاتـه على ترجمته لاجازة سيدى عبد القادر الفاسى (ط باريس سنة ١٩٠٢ عدد ٣٣٤) وما ذكرناه من حياة الكلاعى آنفا اختصرناه مما قاله فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام
ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي
رحمه الله

الحمد لله الذي منّ علينا بالاسلام * وأكرمنا بنبيه محمد عليه افضل الصلاة والسلام * وجعل آثاره الكريمة * صلاتنا المسعودة * وكلاءه بادئة بهديه الأهدى * ونوره الأوضح الأبدى * عائدتنا المقصودة * وأمنيتنا المودودة * وأنعم على قلوبنا بالارتياح لذكره * والاهتزاز عند سماع خبر عنه مَصْدَرُه * أو اليه منتهاه * وانه لأيسر رجاءٍ في هذه القلوب الطالبة * وأمارة خير يرجى أن يوردها من مشارع اتصاله الصافية * فإن الارتياح لأذُن بشهادة الحبّ وأمارة المحبّ * وقد روي عنه صلوات الله عليه

نقلة السنّة • ان من أحبّه كان معه في الجنّة • فنسأل الله تعالى ان
يكتبنا في محبّيه حقيقةً • ويسلك بنا من الوقوف عند [illegible]
أوامره ونواهيه طريقة بالسعادة حاكمة • فما زال طالبين ذلك من
أكرم مطلوب لديه • راغبين فيه الى خير مرغوب اليه • [illegible]
[illegible] بتقصيرنا في الاعمال • فانّه جلّ جلاله أهل الجود
والافضال • [illegible] على هذا النبي المبارك الكريم • صلّى
الله عليه وعلى آله الطاهرين • وصحابته المنتخبين خير صحب وخير آل •

وهذا كتاب ذهبت فيه الى [illegible] • [illegible]
والاسماع • بايضاح الخبر عن [illegible] رسول الله [illegible]
وصفته ومبعثه وكثير من خصائصه واعلام نبوّته [illegible] من يوم
مولده الى ان استأثر الله به [illegible] الطاهرة اليه [illegible]
وسلامه وبركاته عليه • [illegible]
ذكر آياته المباركة [illegible]
من كتب أئمة هذا الشأن الذين [illegible]
ككتاب محمد بن اسحاق الذي [illegible]

تهذيبه واختصاره وكتاب موسى بن عقبة الــذى استحسن الائمّة اقتصاده واختصاره وغيرهما من المجموعات التى لا يذأم الانصافُ قصدَ جامعها ولا يذمّ الاختبارُ اختيارَه ولاكن عَظُمَ المُعَوّل * بحكم الخاطر الاول * على كتاب ابن اسحاق اياه أردتُ * وتجريده من اللغات وكثير من الأنساب والأشعار قصدتُ * وعلى ترتيبه غالباً جريتُ * ومنزعه فى اكثر ما يخصّ المغازى تحرّيتُ * فانّه الذى شرب ماء هذا الشأن فأنقع * وحلّ كتابه من نفوس الخاص والعام أجلّ موقع * الا أنه تخلّله كما أشرنا اليه قبل اشياءُ من غير المغازى تقدح عند الجمهور فى امتاعه * وتقطع بالخواطر المستجمعة لسماعه * وإن كانت تلك القواطع عريقةً فى نسب العلم * وحقيقةً بالتقييد والنظم * فعسَى ان يكون لها مكان هو بإيرادها أخصّ * اذ لكلّ مقام مقال لا يحسن فى غيره الإيراد له والنصّ * ولذلك نَوَيتُ فيه ان أحذف ما تخلّله من مُشبَع الأنساب التى ليس احتياجُ كل الناس اليها بالضرورى الحثيث * وتفسير اللغات المفرق اعتراضها اتّصال الأحاديث * حتى لا يبقى الا الأخبار المجرّدة * وخلاصة المغازى التى هى فى هذا المجموع المقصودة المعتمدة *

ظنًّا مني انه اذا أذن الله في تمامه ، وشكّل تعالى [illegible]
وفق المأمول وتقريب مرامه ، استأنفت النفوس اليه [illegible]
اقبالاً ، ولم يزده هذا النقص لدى جمهورهم الّا كمالا .

ثم بدا لي ان أزيد على هذا المقدار ما يحسن في هذا المختصر [illegible]
وأعوض مما حذفتُ منه من اللغات والانساب والاشعار به [illegible]
ان شاء الله مزية الأخبار [illegible]
من الدواوين التي طار بها في الناس [illegible]
الأماكن التي لا يستقلّ بحصر فوائدها [illegible]
ككتاب ابن قتيبة وقد [illegible]
العبارة ، ورأيي بمواضع من المعرفة [illegible]
وسأضع على كل منها [illegible] وأرسمها في هذا المختصر [illegible]
رسمه .

وقد وقفت على كتاب محمد بن عمر الواقدي في [illegible]
يحضرني الآن لانكني رأيته [illegible] ابن اسحاق [illegible]
عنه به اقصال فصاحبه ابن اسحاق في الايراد [illegible]

لا يوجد مثله استحسان الحديث المعاد * وللواقدي ايضا كتاب
المبعث وهو متسع في بابه * ممتع باستيفائه واستيعابه * وقد نقلت منها
منه جُمَلاً تُبيّن الغرض المسطور * وتصدّ المعترض ان يجور * وكذلك
كتاب الزبير بن ابي بكر القاضي رحمه الله في
أنساب قريش وهو كما سمعت شيخنا الخطيب ابا القاسم بن
حبيش رحمه الله يحكي عن شيخه ابي الحسن بن مغيث انه كان
يقول فيه هو كتاب عجيب لا كتاب نسب فالتقطت ايضا من دُرره
نفائس مُعجبة * وتخيّرت من فرائده نُخبا لمن تخيّرها موجبة * ومنها
التاريخ الكبير لابي بكر بن ابي خيثمة وناهيك به
من بحر لا تكدّره الدلاء * وبئر لا ينفده الأخذ الدرّاك ولا يُنزفه
الورد الولاء * وكم شيء استخرجته من غريبه الكتب المسمّاة
وانطقته في هذا النظام * ويضطرّ الى الافادة به مساق الكلام * إما
متمما لحديث سابق * وإما عاضدا لغرض بديعه مطابق * ولئن
لم يكن بينهم في الاحاديث اختلاف يُشعر بنقص فكثيرا ما
أدخل حديث بعضهم في حديث بعض لكون المساق اتّسق *

والاتساق أحسن * وإن عرض عارض خلاف فالفصل حسنه
ارفع للإشكال * وأدفع للمقال * وربما فصلت بين بعض أحاديثهم
وإن اتحدت معانيها بحسب ما تدعو إليه ضرورة الوضع * لئلا تحمل
على إعادته حلاوة المرجع * وكل ذلك بتوفيق الله إن شاء الله فيه
بالقصد الأول وتجويد الكريم * وإحسانه العميم * ورحمته التي بها
سبق تعالى لنفسه إنه الرحمن الرحيم *

ثم القصد الثاني * وقّع على إيثار الوصف في أنباء النبي أصحاب
نبيهم صلى الله عليه وسلم * وعبارة خواطرهم لما تكون لهم في الأحوال
والآجال أنفع وأسلم * وقد عمّ دأبه الصلاة والسلام به وفيه كما [illegible]
حدثت وما أعني وقال صلعم [illegible]
حسن بلعد فلعه ولا أحسن بعد كتاب الله الذي هو أحسن القصص
وأصدق القصص وأفضل الحصص وأحلى الأسانيد القصص من أخبار
رسول الله الذي ذا وقرب فاتحة تجديد حلاوة الإسلام ويعرف به
تهذيب السبل إلى دار السلام فإنه لا تحلو الطرق في هذا
الكتب من أن يسمعوا عن الأربعة عمر في أخذ ما من ليس

فيستنجزلوا ثواب الفرج بنصر الله او يسمعوا ما امتحنه الله به من المِحَن التي لا يُطيق احتمالها الا نفوس انبياء الله بتأييد الله فيعتبروا بعظيم ما لقيه من شدائد الخطوب ❊ و يصطبروا لعوارض الكروب ❊ تأدّباً بآدابه وجرياً في الصبر على ما يُصيبهم والاحتساب على ما ينوبهم على طريقة صبره واحتسابه وتلك غاية لن نبلغ عفوها بجهدنا ❊ ولن نَصِل أدناها بنهاية ركضنا وشدّنا ❊ وانما علينا بذل الجهد في قصد الاهتداء ❊ وعلى الله سبحانه المعونة في الغاية والابتداء ❊

واذا استوفيتُ بفضل الله تعالى طاق هذا المعنى كما نويتُ ❊ وبلغتُ حاجة نفسي منه وقضيتُ ❊ فاني نيّة إن ساعدتني المشيئة عليها في أن أصِلَ هذا الغرض المتقدّم من ذكر مغازي رسول الله صلعم بذكر مغازي الخلفاء الثلاثة الأُوَل رضى الله عنهم منتحلاً على رجاء معونة الله أسبابها ومنتحلا من كتاب شيخنا الخطيب ابي القاسم رحمه الله ومن غيره مما هو في نحو معناه صفوها واىابها لتنتظم الفائدتان معا ❊ ويكون الخبر عن مغازي رسول الله صلعم ومغازي خلفائه الذين يهديهم الايتمام في مكان واحد مجتمعا ❊ وأرجو بحول الله الذي

له الطول ، وبيده القوة والحول ، ان يكون هذا المجموع كافيا في البابين ، وافيا بالغرضين المتناسبين ،

والذلك نرجمه بكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلعم ومغازي الثلاثة الخلفاء ، وفضله جل جلاله نعم الكفيل ان يحرزني به حسن الجزاء ، ويجعله من عددنا النافعة يوم اللقاء ، فهو حسبي وحده الملجأ والمعوّل ، وبه تعالى استعين وعليه أتوكل ، لا اله الا هو سبحانه هو حسبي واليه أنيب .

ذكر نسب رسول الله

واكرم الخلق على الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وكيف
طهّره الله نفسا وخيما وشرّفه حديثا وقديمــا وألقى الى آبائه
الاقدمين من الدلائل على اصطفائه اياه فى الآخرين
وابتعاثه له رحمةً للعالمين ما صيّره لديهم قبل
وجوده بطوائل السنين معلوما صلعم .

فى الصحيح من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلعم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم .

وفى حديث عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلعم قال لم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيّبة الى الأرحام الطاهرة صفياً مهذّبا لا تتشعّب شعبتان الاّ كنتُ فى خيرهما .

وخرّج ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى من حديث المطّلب ابن ابى وداعة ان رسول الله صلعم قام على المنبر فقال مَن انا فقالوا

انت رسول الله عليك السلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني
في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم
بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا .

وفي رواية فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا [illegible]
شيمته وفوق العالمين طرا قدره الرفيع وفخره هو أشرفهم نسبا وأكرمهم
نسبا وأكرمهم أما وأبا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
واسمه عمرو بن عبد مناف وهو المغيرة بن قصي واسمه زيد بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان هذا النسب الصحيح المجمع عليه في نسبه وما فوق ذلك
مختلف فيه ولا خلاف في ان عدنان من ولد اسماعيل نبي الله بن
ابراهيم خليل الله عليهما السلام وانما الاختلاف في عدد من بين
عدنان واسماعيل من الآباء فمقلل ومكثر وكذلك من ابراهيم الى آدم
عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته الا الله تعالى .

روى عن ابن عباس قال كان النبى صلعم اذا انتهى الى عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقروناً بين ذلك كثيراً (١).

ومن عدنان تفرّعت القبائل من ولد اسماعيل فولد عدنان رجلين معدّ بن عدنان وعكّ بن عدنان فصارت عك فى دار اليمن لان عكاً تزوّج فى الأشعريين منهم وأقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدةً والاشعريون هم بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب ابو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها والعرب كلها عندهم من ولد اسماعيل وقحطان وبعض اهل اليمن يقول قحطان من ولد اسماعيل واسماعيل ابو العرب كلها فالله اعلم .

واما معدّ فذكر الزبير بن ابى بكر رحمه الله ان بخت نصر لما امر بغزو بلاد العرب ادخل الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاصى الله واستحلالهم محارمه وقتلهم أنبياءه وردّهم رسالته

(١) س ٢٥ آ ٤٠ .

أمر ارمياء بن حلقيا وكان فيما ذُكر نبيّاً من أنبياء بني اسرائيل في ذلك الزمان ان ايت معد بن عدنان الذي من ولده محمد خاتم النبيين فأخرجه من بلاده واحمله معك الى الشام وتولّ أمره فبلك ويقال بل المحمول عدنان والاول اكثر .

وفي حديث عن ابن عباس ان الله بعث ملكين فاحتملا معداً فلما ادبر الأمر ردّاه فرجع الى موضعه من تهامة بعد ما رفع الله بأسه عن العرب فكان بمكّة وناحيتها مع أخواله من جُرْهُم وبها منهم بقيةٌ هم ولاة البيت يومئذ فاختلط بهم وناكحهم .

فولد معد بن عدنان نفرا منهم قضاعة وكان بكره الذي به يُكنى فيما يزعمون وقنص ونزار وإياد فأما قضاعة فيامنت الى حِمْيَر بن سبا وانتمت الى ابنه مالك بن حمير حتى قال قائل منهم يفخر بذلك

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر ٭ قضاعة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر

وأنكر كثير من الناس نسبهم هذا وحرث بينهم وبين من قال به من القضاعيين في ذلك أقاويل معروفة وأشعار محفوظة .

قال الزبير ولم نجد مع رأي قضاعة على الانتساب في اليمن بل أهل العلم والدين مجمعون على نسبهم في معدّ

واما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما زعموا وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة واحتج من قال ذلك بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي فسلّحه اياه ثم قال ممن كان النعمان بن المنذر فقال كان من أشلاء قنص بن معد وكان جبير أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة وكان يقول انما اخذتُ النسب عن ابي بكر الصديق وكان ابو بكر رضي الله عنه أنسب العرب .

وقد قيل في نسب النعمان غير ذلك مما سيأتي ذكره عند تأديته الحديث ان شاء الله

وقد ذُكر ايضا فى بنى معدّ الضحّاك بن معدّ ذكر الزبير بإسناد له الى مَكحول قال اغار الضحّاك بن معدّ على بنى اسرائيل فى اربعين رجلا من بنى معدّ عليهم دارع الصوف خاطمى خيلهم بحبال الليف وقتلوا وسبوا وظفروا فقالت بنو اسرائيل يا موسى انّ بنى معدّ أغاروا علينا وهمُ قليل فكيف لو كانوا كثيرا وأغاروا علينا وأنت بيننا فادعُ الله عليهم فتوضّأ موسى وصلّى وكان اذا أراد حاجةً من الله تعالى صلّى ثم قال يا رب انّ بنى معدّ أغاروا على بنى اسرائيل فقتلوا وسبوا وظفروا وسألونى ان أدعوك عليهم فقال الله يا موسى لا تدعُ عليهم فانّهم عبادى وانهم ينتهون عند اوّل أمرى وانّ فيهم نبيًّا أحبّه وأحبّ أمّته قال يا رب ما بلغ من محبّتك له قال أغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قال يا رب ما بلغ من محبّتك لامّته قال يستغفرونى مستغفرهم فأغفر له ويدعونى داعيهم فأستجيبُ له قال يا رب فاجعلهم من أمّتى قال نبيّهم منهم قال يا رب فاجعلنى منهم قال تقدّمتَ واستأخروا .

قال الزبير وحدّثنى على بن المغيرة قال لمّا بلغ بنو معدّ عشرين

رجلاً أغاروا على عسكر موسى ثمّ فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثم أغاروا فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثلاث مرات فقال يا رب دعوتُك على قوم فلم تجبنى فيهم بشىء فقال يا موسى دعوتَنى على قوم منهم خيرتى فى اخر الزمان .

وامّا نزار بن معدّ واسمه مشتق بن النزر وهو القليل فيقال ان اباه معدّا لمّا ولده نظر الى نور بين عينيه ففرح بذلك فرحاً شديداً ونحر وأطعم وقال انّ هذا كلّه لنذر فى حقّ هذا المولود وما كان الذى رآه الا نور النبوّة الذى لم يزل ينتقل فى الأصلاب حتى انتهى الى نبيّنا محمد صلعم فطبق الأرض نوراً وهدى الله به مَن أَراد سعادتَه من عباده صراطاً مستقيماً وكلّ هذه الأنوار والاثار شاهدة له ثمّ بعظيم عناية الله وكريم المكانة عنده فلم تزل بركته صلعم متعرفة فى ابائه الماضين وظاهرة على أسلافه الاكرمين تشير المخائلُ اللائحة فيهم اليه وتدلّ الدلائلُ الواضحة فى اوّلهم عليه صلوات الله وبركاته عليه .

فولد نزار بن معدّ مُضَراً وربيعة وأنماراً وإياداً واليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير وأمّهم سَودة بنت عك بن عدنان وقيل هى أمّ مُضَر خاصّة وأمّ اخوته الثلاثة أختها شُقَيقة ابنة عك بن عدنان.

وقد قيل انّ ايادا شقيق لمُضَر أمّهما معا سودة فأما أنمار هو ابو بجيلة وخَثعَمَ وقد تيامنتْ بجيلــة الا ما كان منها بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار وجريــر بن عبد الله صاحب رسول الله صلعم سيدٌ من سادات بجيلــة وله يقول القائل

لولا جريــرٌ هلكتْ بجيلــةْ ، نعْم الفتى وبئست القبيلةْ

وكذلك تيامنت الدار بخَثعَم وهم بنو أفتل بن أنمار وخثعم جبل تحالفوا عنده فسُمّوا به وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار ولما كانت بين مُضَر واليمن فيما هنالك حروبٌ كانت خثعم مع اليمن على مضر.

ويروى ان نزارا لمّا حضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الاربعة مضر وربيعة وإياد وأنمار فقال هذه القبّة لقبة كانت له حمراء من أدم وما أشبهها من المال لمُضَــر وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعــة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإيــاد وهذه البدرة والمجلس لأنمــار يجلس فيه وقال لهم إن أشكل عليكم الأمر في ذلك فاحتكموا في [illegible]

فعليكم بالأفعَى الجُرهُمى وكان بنجران فاختلفوا بعده وأشكل امر القسمة عليهم فتوجّهوا الى الافعى فبينما هم فى مسيرهم اليه اذ رأى مُضَر كلأً قد رُعى فقال ان البعير الذى رعى هذا لأعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل تُوضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال له مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد وهو أبتر قال نعم قال أنمار وهو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيرى دلّونى عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدّقكم وانتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قدموا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير بعيرى وصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره فقال لهم الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى رجليه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت انه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به وقال أنمار عرفت انه شرود انه كان يرعى فى المكان الملتفّ نبته ثم يجوزه الى مكان أرقّ منه وأخبث قال الشيخ

لبسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم
وقال تحتاجون التي وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب
وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لولا انها نبتت على قبر وقال
ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا انه رُبّي بلبن كلبة وقال اياد لم أر
كاليوم رجلا أسرى لولا انه ليس لابيه الذي يدعى له وقال أنمار لم
أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا وسمع صاحبهم كلامهم فقال ما هولاء
الا شياطين ثم أتى أمه فسألها فأخبرته انها كانت تحت ملك لا
يولد له فكرهت ان يذهب المُلك فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها
فوطئها فجاءت به وقال للقهرمان الخمر التي شربناها ما أمرها قال من
حبلة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة أرضعناها
من لبن كلبة ولم يكن ولد يومئذ في الغنم غيرها فأتاهم فقال قصوا عليَّ
قصتكم فقصوا عليه ما أوصى به أبيهم وما كان من اختلافهم فقال ما
أشبه القبة الحمراء لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهي حمر فسميت
مضر الحمراء قال وما أشبه الخباء الاسود من دابة ومال فهو لربيعة
فصارت له الخيل وهي دُهم فسمي ربيعة الفرس قال وما أشبه الخادم

وكانت شمطاء من مال فيه باق فهو لإياد فصارت له الماشية البلق وقضى لأنمار بالدراهم والارض فساروا من عنده على ذلك وكان يقال لمضر وربيعة هما الصريحان من ولد اسماعيل.

ورَوَى ميمون بن مهران عن عبد الله بن العباس ان رسول الله صلعم قال لا تسبّوا مضر وربيعة فانهما كانا مسلمين وقال صلعم فيما روى عنه اذا اختلف الناس فالحق مع مضر وسمع عم قائلا يقول :

انّى امرؤ حميريّ حين تنسبني ✽ لا من ربيعة آبائي ولا مُضرا

فقال صلعم ذلك أبعد لك من الله ومن رسوله .

ومما يؤثَر من حكم مضر بن نزار ووصاياه مَن يزرع شرّا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق .

وولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر ✽ قال الزبير وأمّهما الحنفاء بنت اياد بن معدّ ✽ وقال ابن هشام أمهما جُرهُمية ✽

ولما ادرك الياس بن مضر انكر على بني اسماعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم وسيرتهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضًى لم يرضوه بأحد من بني اسماعيل بعد أُدَد فردّهم الى سنن آبائهم حتى رجعت سنّتهم تامّة على أوّلها وهو أول من أهدى البُدْن الى البيت او في زمانه وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح ثم فكان أول من سقط عليه الياس او في زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس .

فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مُدركة وطابخة وقمعة وأمهم خندف بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واسمها ليلى واسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عُمير وانما حالت اسماؤهم الى الذي ذكرنا اوّلا عنهم فيما ذكروا ان أرنبا أنفرت إبل الياس بن مضر فصاح ببنيه هؤلاء ان يطلبوا الابل والارنب فأما عمير فاطّلع اى جلس ثم قمع فسُمّي قمعة وخرج عامر وعمرو في اثار الابل وخرجت امهم ليلى تسعى خلفهم فقال لها زوجها الياس اين تخندفين اى ابن تسعين فسُميتْ خندف وتمّ عامر بظبي فرداه عمرو

فقتله ويقال بل رمى الارنب التى أنفرت الابل فقال له عامر اطبخ صيدك وأنا أكفيك الابل فطبخ عمرو فسُمّى طابخة وأدركَ الابل عامر فسمى مدركة واشتهر بنو خندف هولاء بأمّهم خندف للذى صار من فعلها فى الناس وذلك انه لما مرض زوجها الياس وجدتْ لذلك وجداً شديداً ونذرت إن هلك أن لا تقيم فى بلد مات فيه ولا يظلّها بعده بيت وان تسيح فى الارض وحرّمت الرجال والطيب فلما هلك الياس خرجت سائحة فى الارض حتى هلكت حزناً وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب فصارت خندف وما صنعتْ عجباً فى الناس يتحدّثون به ويذكرونه فى أشعارهم فقيل لرجل من اياد او همْدان وقد هلكت امرأته ألا تبكي عليها فقال لو كان ذلك يردّها لفعلتُ كما فعلت خندف على الياس ثم اندفع يقول

ولو انه يُغنى بكيتُ كخندفٍ * على الياس حتى ملّها المتَرَنّدُبُ
اذا مونسٌ لاحتْ خراطيم شمسه * بكتْ غُدْوَةً حتى ترى الشمسَ تَغْرُبُ
ولم تَرَ عيناها سِوى الدفن قبرُه * فساحتْ وما تدرى الى ابن تذهب

فلم يُغنِ شيئا طول ما بلغتْ به ※ وما طالها دهرٌ وعيشٌ معذّب

وفقدت امرأةٌ من غسّان أخاها ثم أباها فمكثتْ دهرا تبكي عليهما فنهاها قومُها فقالت

نَنْهونَ سَلْمَى إذ بَكَتْ أباها ※ وقبْل ما قد ثكلتْ أخاها
فحوّلوا العذّل الى سِواها ※ عَصتْكُمُ سَلْمى الى هواها
كما عَصَتْ خِنْدِفُ مَنْ نَهاها ※ خلّتْ بَنيها أسفا وراها
تبكي على الياس فما أناها

فولد مدركة بن الياس نفرا منهم خُزيمة بن مدركة وهُذيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة قيل هي سلمى بنت سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وقيل غير ذلك .

فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسدا وأسدة والهُون وأمّ كنانة اسمها عُوانة بنت سعد بن قيس بن غيلان بن مضر وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن غيلان فرأته بخطّ احمد بن يحيى بن جابر وأمّ سائر بنيه بَرّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر بن أدّ بن طابخة .

فولد كنانة بن خزيمة جماعة منهم النضر و به كان يُكنَى ونُضَير ومالك وملكان وعمرو وعامر وامّهم برّة بنت مرّ خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها فنهى الله عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النسآء الا ما قد سلف (١) و يقال ان برّة هذه لما أُهْدِيَتْ اوّلا الى خزيمة بن مدركة قالت له انى رايت فى المنام كأنى ولدتُ غلامين من خلافٍ بينهما سابياء فبينا أنا أتأمّلُهما اذا احدهما اسدٌ يزأر واذا الاخر قمر يُنير فأتى خزيمة كاهنةً بتهامة فقصّ عليها الرؤيا فقالت لئن صدقت رؤياها لَتَلِدَنّ منك غلاما يكون لولده قلوب باسله ثم لتموتنّ عنها فيخلف عليها ابن لك فتلد منه غلاما يكون لولده عدل وعدد وقروم مجد وعزّ الى اخر الدهر ثم توفّى خزيمة فخلف عليها كنانة بعد أبيه فولدتْ له النضر واخوته وانما سمّى النضر لنضارة وجهه وجماله وأتى أبوه

---

(١) س ٤ آ ٢٦

كنانة بن خزيمة وهو قائم في الحجر فقيل له تخيّرْ يا أبا النضر بين الصهيل والهدر وعمارة الجدر وعزّ الدهر فقال كلّ يا ربّ فصار هذا كله في قُريش والنضر هو جماع قريش في قول طائفة من اهل العلم بالنسب والاكثر على ان فِهْر بن مالك بن النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشيّ ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وذكر الزبير ان هذا هو رأي كل من ادرك من نُسّاب قريش

فولد النضر بن كنانة مالكا ويَخلُد والصلت

فولد مالك بن النضر فهْر بن مالك وأمه جندَلة بنت الحارث ابن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهو جماع قريش عند الاكثرين قال الزبير قد اجمع النُسّاب من قريش وغيرهم ان قريشا انما تفرّقت عن فهر ويقال ان قريشا هو اسمه الذي سمّته به امه ولقّبته فهرا

فولد فهر بن مالك غالبا ومُحاربا والحارث وأسدا وامّ جميعهم جندلة وامّ جميعهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة

ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب يا بُنَيَّ ان في الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب فاذا وقعت المصيبة برد حرّها وانما القاق في غليانها فإذا انا متّ فبرد حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنية امامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى من آثارها في مجيء الحياة ثم اقتصرْ على قليلك وإن قلّت منفعته فقليل ما في يدك اغنى لك من كثير أخاق وجهك وان صار اليك

فولد غالب بن فهر لُوَيا وتَيماً وهو الادرم كان منقوص الذقن ويقال لقومه بنو الادرم وأمهما في قول بن اسحاق سلمى بنت عمرو الخزاعي وفي قول الزبير عاتكة بنت يَخلُد بن النضر

ورُوي ان لؤي بن غالب قال لابيه وهو غلام حدث يا أبت مَن رَبَّ معروفه قَلَّ إخلافه وخصر ماؤه ومَن أخلقه أخمله واذا أُخمِل الشيء لم يُذكر وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره فقال له أبوه غالبٌ اني لأستدلّ بما أسمع من قولك على فضلك وأستدعي لك به الطول على قومك فان ظفرتَ بطولٍ فعُدْ على

قومك بفضلك وكفّ غرب جهلهم بحلمك ولمّ شعثهم برفقك فانما يفضل الرجال الرجال بأفعالها ومَن قايسها على أوزانها أسقط الفضل ولم تعلُ به درجةٌ على احد وللعلياء أبداً على السفلى الفضل

فولد لؤى بن غالب كعبا وعامرا وسامة وعوفاً وسعدا وخزيمة فدخل بنو خزيمة فى شيبان ويُسمّون فيهم بعائذة وهى امرأة من اليمن كانت أمّ بنى عُبيد بن خزيمة فنُسبوا اليها وكذلك دخل بنو سعد أيضا فى شيبان ويُسمّون فيهم بنانة حاضنةٍ كانت لهم من قضاعة وقيل من النمر بن قاسط فنُسبوا اليها . وأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شىءٌ ففقأ سامةُ عين عامر فأخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته اذ وضعت رأسها ترتع فأخذت حيةٌ بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ثم نهشت ساقه فقتلته فقال سامة حين احسّ بالموت فيما يزعمون

عَينِ فابكى لِسامةَ بن لؤىٍّ ⁂ عَلِقَتْ ما بسامة العلّاقه

لا أرى مثل سامة بن لؤيّ * يومَ حلّوا به قتيلاً لناقه
بَلّغا عامراً وكعباً رسولاً * ان نفسي اليهما مُشتاقه
ان تكن في عُمان داري فانّي * غالبيٌّ خرجتُ من غير فاقه
رُبّ كاس هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مُهَراقه
رُمْتَ دفْعَ الحُتوف يابن لؤي * ما لِمَن رام ذاك بالحتف طاقه
وعَدُوسَ السُرى تركتَ رديّاً * بعد جِدٍّ وجِدّة ورَشاقه

قال ابن هشام وبلغني ان بعض ولده اتى رسول الله صلعم فانتسب له الى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلعم أ الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردتَ قوله

رُبّ كاس هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مهراقه

قال أجَلْ قال ابن اسحاق واما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركْب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان فحبسه والتاطه وآخاه

وزوّجه فانتسب بتلك المواخات الى سعد بن ذبيان بن ثعلبة وثعلبة يزعمون هو القائل

إحْبِسْ عَلَىّ ابنَ لؤىّ جملَكْ * تَرَكَكَ القومُ ولا مُتْرَكَ لكْ

ويُروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو كنتُ مدّعيا حيّا من العرب او مُلحقهم بنا لادّعيتُ بنى مُرّة بن عوف انّا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعنى عوف بن لؤى وهم فى نسب غطفان مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وهم يقولون اذا ذُكر لهم هذا النسب ما نُنكره ولا نجحدُه وانه لأحبّ النسب الينا. وقيل ان عمر بن الخطاب قال لرجال من بنى مرة ان شئتم ان ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه وكان القوم اشرافا فى غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن ابى حارثة واخوه خارجة بن سنان والحارث بن عوف والحُصين بن الحُمام وهاشم بن حرملة قوم لهم صيتٌ وذكر فى غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم على ان الحصين بن الحمام قد تخيّر فى هذا واختلف رأيه فلما سمع

قول الحارث بن ظالم أحد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان ابن المنذر ولحق بقريش

فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعْرِ الرقابا

فقومي ان سالت بنو لؤيّ * بمكة علّموا مُضَرَ الضرابا

سفهنا باتّباع بني بَغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهة مُخْلِفٍ لمّا تروّى * هراقَ الماء واتّبَعَ السرابا

فلو طُووِعْتُ عمرَكَ كنتُ منهم * وما أُلفيتُ انتجعُ السحابا

قال الحصين بن الحمام يرد عليه وينتمي الى غطفان

ألا لستُمُ منّا ولسنا اليكم * برئنا اليكم من لؤيّ بن غالب

أقمنا على عزّ الحجاز وانتم * بمُعْتلج البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشاً ثم ندم الحصين على ما قال وعرف صدق الحارث فأكذب نفسه وقال

ندمتُ على قول مضى كنتُ قلتُهُ * تبيّنتُ فيه انه قولُ كاذب

فَلَيتَ لِسانى كان نِصفَين منهما * بَكيمٌ ونِصفٌ عندمَجرى الكواكب

أبونا كِنانىّ بمكّـة قَبرُه * بمُعتلج البطحاء بين الاخاشب

لنا الرُّبعُ من بيت الحرام وراثة * ورُبعُ البطاح عند دار ابن حاطب

يعنى ان بنى لؤى كانوا أربعة كعب وعامر وسامة وعوف وفى بنى مرة بن عوف كان البسل وذلك ثمانية أشهر حُرُم لهم من كل سنة من بين العرب يسيرون به الى اى بلاد العرب شاءوا ولا يخافون منهم شيئا قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه ولا ينكرونه وكان سائر العرب انما يأمنون فى الاشهر الحرم الاربعة فقط

وذكر الزبير عن ابى عبيدة انه كانت لقريش فى هذا مزيّة على سائر العرب قاطبة وذلك ان العربى لم يكن يخرج من داره فى غير الاشهر الحرم الا فى جماعة وكان القرشى يخرج حيث شاء وأنّى شاء فيقال رجل من اهل بيت الله فلا يعرض له عارض ولا يُريده احد بمكروه ويُعظمه من لقيه او ورد عليه ولذلك قال من قال منهم القرشى بكل بلد حرامٌ

واما كعب بن لؤى وعامر بن لؤى فهما اهل الكرم وصريح ولد
لوى وكان كعب منهما عظيم القدر فى العرب وأرّخوا بموته إعظاماً له
الى ان كان عام الفيل فأرّخوا به وكان بين موته والفيل فيما ذكروا خمس
مائة سنة وعشرون سنة وكان يوم الجمعة يُسمّى العروبة فسمّاه كعبُ
الجمعةَ لاجتماع قريش اليه فيه يخطبهم ويذكرهم فيقول لهم فيما يقول
ايها الناس اسمعوا وعُوا وافهموا وتعلّموا ليلٌ ساجٍ ونهارٌ ضاحٍ والسماء
بناءٌ والارض مهادٌ والنجوم أعلام لم تُخلَق عبثاً فتضربوا عن أمرها صفحا
الاخرون كالاوّلين والدار أمامكم واليقين غيرُ ظنّكم صِلوا أرحامَكم
واحفظوا أصهاركم واوفوا بعهدكم وثمّروا أموالكم فانها قوام مروأتكم ولا
تصونوها عما يجب عليكم واعظموا هذا الحرم وتمسّكوا به فسيكون له
نبأ عظيم وسيخرج به نبيء كريم ثم انشد أبياتا منها

صُروفٌ وانباء تقلّب أهلها * لها عُقَدٌ ما يستحيل مريرُها
على غفلةٍ يأتى النبىّ محمد * فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرُها

ثم يقول

يا ليتنى شاهدٌ فحواءَ دعوته * حين العشيرةُ تبغى الحقّ خذلانا

أمَا والله لو كنتُ ذا سَمْع وبصر ويد ورِجْل لَتنَصّبتُ فيها تنصّب الفحل ولأنْ قامتُ فيها بإرقال الجمل فرحا بدعْوته جذلا بصرخته

فولد كعب بن لؤي مُرّة وهُصيصاً وعديا وأمهم وَحْشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك وقيل ان أم عدي وحده امرأة من فهر وهي حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار

فولد مرة بن كعب كلابا وتيْما ويقَظة

فولد كلاب رجلين قُصيّا وزُهرة وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل احد الجَدَرَة من جَعْثمة الازد من اليمن حلفاء في بني الديل من بكر بن عبد مناة بن كنانة ويقال جعثمة الازد واسم سيل خير وانما سُمي سيلا لطوله وسيل اسم جبل وهو خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دُهمان بن نصر بن الازد وسُمي عامر الجادر لانه بنى جدار الكعبة كان وهى من سيل اتى أيام ولانه جُرْهُم البيت وكان عامر يتزوج منهم بنت الحارث بن مضاض وقيل لولده الجدرة لذلك

وذكر الشرقي بن القطامي ان الحاجّ كانوا يتمسّحون بالكعبة ويأخذون من طينها وحجارتها تبرّكاً بذلك وان عامرا هذا كان موكّلا بإصلاح ما شُعِثَ من جُدُرها فسُمي الجادر فالله اعلم * وسعد بن سيل جدّ قُصي بن كلاب بن مرة هو اول من حلّى السيوف بالفضّة والذهب وأهدى الى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين مُحلّيين فجُعِلا في خزانة الكعبة * وقُصَيّ هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيد فسمي مجمّعاً لما جمع من امرها وسمى قصيّا لتقصّيه عن بلاد قومه مع أمّه فاطمة بعد وفاة ابيه كلاب بن مرة وحديثه في ذلك طويل وسنذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر ولايته البيت وهناك نذكر مأثره وعظيم غنائه في إقامة أمر قومه ان شاء الله تعالى فانّ القصد هنا الإيجاز ما أمكن في ايراد هذا النسب المبارك لتتحصّل لسامعه الفائدة بانتظامه واتّصاله ولا يصلّ ذلك اليه بما يتخلّل اثناءه من القواطع التي تباعد بين أطرافه

فولد قصي بن كلاب اربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزّى وعبداً وتَخمُر وبرّة وأمّهم جميعاً حُبّى بنت حُلَيل بن

حَبَشِيّة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وساد عبد مناف فى حياة أبيه وكان مُطاعا فى قريش وهو الذى يُدعَى القمر لجماله واسمه المغيرة

وذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وُجِد كتابٌ فى حجر فيه انا المغيرة بن قصى آمُرُ بتقوى الله وصلَة الرحِم واياه عَنَى القائل بقوله

كانتْ قُرَيشُ بَيضة فتفَلَّقَتْ ＊ فالمُحُّ خالِصه لعبْد مناف

فولد عبد مناف أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطّلب ونوفلا وكلهم لعاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر الا نوفلا منهم بأنه لواقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب وأسداً وأبا صيفى ونضلة والشفاء وخالدة وضعيفة ورُقيّة وحيّة وأم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار

فولد عبد المطلب عشرة نفر وستّ نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وهو أكبرهم والحجل والمقوّم وضرارا وعبد العزى وأبا لهب وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأُمَيمة وأروى وبرّة فأمّ عبد الله وأبى طالب وجميع النساء غير صفيّةُ فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤى

فولد عبد الله بن عبد المطلب محمداً صلعم رسول الله خاتم النبيين، وسيّد الاوّلين والاخرين، ونُخبة الخلق أجمعين، فنسبه صلعم أشرف الانساب، وسببه الى الله سبحانه باصطفائه اياه واختياره له أفضل الاسباب، وبيته فى قريش أوسط بيوتها الكرميّة، وأعرق معادنها الكرميّة، لم تخلُ قط مكة من سيّد منهم او سادات يكونون خير جيلهم ورؤساء قبيلهم حتى اذا درجوا سما قُسماؤهم فى المجد الصميم، وشُركاؤهم فى النسب الكريم، الى ذلك المقام وعرجوا فصحوا على ذلك الزمان لواءهم على من ناواهم منصور، وسودد البطحاء عليهم مقصور، والعيون اليهم ايّة سلكوا صور، ثم اتى الوادى

فطمّ على القرىّ وشدّ الله اركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبى الامّى فاحتازوا المجد عن آخره، وفازوا من شرف الدين والدنيا بما تعجز ألسنة البلغاء عن أدنى مفاخره،

وأمه صلعم هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فسيمة أبيه من هذا الاب، وكريمة فرعها أولى المكان النبيه والنسب، وحسبها من الشرف المتين، والكرم المبين، والفخر المكين غاية التمكين، ان كانت أمّا لخاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، فكيف ولها من قصاعة الحسب المحسب، ورافد المنسب والمنصب، ما يقع عند النطاح، ويعترف له قريش البطاح، فرسول الله صلوات الله وبركاته عليه، خيرة الخير من كلا طرفيه، وقد اعتنى الناس بنسبه الكريم نثرا ونظما، وتقبوا عن آبائه الامجاد وأمّهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا وأما فأما، فرادوا من ذلك الفخار حدائق غلبا، وشادوا من سنى تلك الآثار مراقى سمّا، وقد تقدمت من ذلك نبذ منثورة أثناء الكلام نثر الورد، وسنبنى ان شاء الله تعالى

منظومة مع اشكالها نظم العقد ، فى قصيدة فريدة مفيدة لابى عبد الله ابن ابى الصلت الخصال خاتمة رؤساء الادب والعلماء المبرزين فى هذا الباب سمّاها معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب فى ذكر نسب رسول الله صلعم ومعجزاته ومناقب أصحابه قرأتُها على شيخنا الخطيب ابى القاسم بن حُبَيش رحمه الله فقد رأيت ان أورد هنا ما يختصّ بهذا النسب الكريم على اختصار يَفِى ان شاء الله بالغرض المروم اذ الكلام المنظوم أعذب جريا على الالسن ، وأهذب رأيا فى الافادة بالمستحسَن ، وأوّلها :

البك فهمّى والفؤاد بِيَثْرِب ※ وان عاقنى عن مطّلع الوحى مغربى
أعلّل بالامال نفسا اغرّها ※ بتقديم غاياتى وتأخير مذهبى
وديني على الايام زورة أحمد ※ فهل ينقضى دينى ويقرب مطلبى
وهل أرِدَنْ فضل الرسول بطيبة ※ فيا بَرْد احشائى ويا طيب مشربى
وهل فضلتْ من مركب العمر فضلةٌ ※ تبلّغنى ام لا بلاغَ لمركبى
الا ليت زادى شربة من مياهها ※ وهل مثلها ريّا لغلّة مذنب

ويا ليتنى فيها الى الله صابرٌ * وقلبى عن الايمان غير مقلّب

وإنّ امرأً وارَى البَقيعُ عِظامه * لفى زمرةٍ تُلقَى بسهل ومرحب

وفى ذمّة من خير مَن وطِئ الثرى * وَمَن يَعتلِقه حبلُه لا يعذّب

ومالى لا أَشرِى الجنان بعزمةٍ * يَهون عليها كلّ طام وسبسب

وما ذا الذى يَثنِى عنانى وإنّنى * لجوّابُ آفاق كثيرُ التقلّب

أَفَقرٌ ففى كفّىَ لله نعمةٌ * وبَينٌ فقد فرّقتُ بين بنى أب

وقد مرنتْ نفسى على البُعد وانطوت * على مثل حدّ السمهرىّ المدرّب

وكم غُربة فى غير حقّ قطعتُها * فهلّا لذات الله كان تغرّبى

وكم فاز دونى بالذى رُمتُ فائز * وأخطأنى ما ناله من تقرّب

أراه وأهوى فعله البرّ قاعدا * فيا قعدتى البرّ قم وتلبّب

أمانىّ قد أفنى الشباب انتظارُها * وكيف بها أَمّا الشباب لأشيب

وقد كنتُ أسرى فى الظلام بأدهم * فها انا أغدو فى الصباح بأشهب

فمَن لى وأنّى لى بريح تحطّنى * الى ذروة البيت الرفيع المطنّب

الى الهاشمىّ الأبطحىّ محمّد * الى خاتم الرسل المكين المقرّب

الى صفوة الله الامين لِوَحْيه * ابى القاسم الهادى الى خير مشعب
الى ابن الذبيحَيْن الذى صِيغَ مجْدُه * ولمّا تُصَغْ شمسٌ ولا بدْرُ غَيهَب
الى المنتقى من عهد آدم فى الذَرى * يردَّد فى سرّ الصريح المهذّب
الى مَن تولّى اللهُ تطهيرَ بيته * وصَمَته من كل عيبٍ مُؤَشّب
فجاء بَرِىّ العرْض من كل وصْمة * فما شِمْتَ من أمّ حَصانٍ ومن أب
كروْض الرُبَى كالشمس فى رونق الضُحَى * كناشى ءماء السحْب قبل التصوّب
عليه من الرحمن عين كلاءة * تجنّبه إلمامَ كل مجنّب
اذا أعرضتْ اعرافُه عن قبيلة * فما أعرضتْ الا لأمرٍ مغيَّب
وما عبرتْ الا على مسلك الهُدَى * ولا عثرتْ الا على كل طيّب
فمَن مثل عبد الله خير لِداته * وآمنة فى خير عزّ ومنْصب
اذا اتّصلتْ جاءتك أفلاذ زُهْرة * كأسْد الشرى من كل أشْوس أغلب
ولا خال الا دون سعْد بن مالك * ولو كان فى عليا معدّ ويَعْرُب
ومن ذا له جدّ كشَيْبة ذى الندى * وساقى الحجيج بين شرْقٍ ومغْرب
له سؤْدَدُ البطحاء غير مدافع * وحرمة ما بين الصفا والمحصّب

ابو الحارث السامى الى كل ذروة * يقصّر عن إدراكها كل كوكب
به وبما فى برده من أمانة * حمى اللذاك البيت من كل مرهب
وأهلك بالطير الأبابيل جمعهم * فيا لهم من عارض غير خلّب
وفيما رآه شيبة الحمد آية * تلوح لعين الناظر المتعجّب
وفى ضربه عنه القداح مروّعا * ومن يرم بين العين والأنف يرهب
وما زال يرمى والسهام نصيبه * الى ان وقته الكوم من نسل أرحب
وكانوا أناسا كلما أمّهم أذى * تدانت عن صنع من الله معجب
وعاش بنو الحاجات فيهم وأخصبوا * وإن أصبحوا فى منزل غير مخصب
وعمرو العالى هاشم وبرب ... د * بمكة يدعو كل أغبر مجدب
بمثنى جفان كالجوابى منجدة * ملسن عبيطات السنام المرغب
هو السيد المتبوع والقمر الذى * على صفحتيه فى الرضى ماء مذهب
بنى الله للاسلام عزّا بصيده * الى منتهى الاحياء من آل يثرب
وعبد مناف دوحة الشرف الذى * تفرّع منها كل أروع مخرب
قطاع قريش والكفيل بعزّها * ومانعها من كل ضيم ومنهب

وزَيْدٌ ومَن زَيدٌ قُصَيٌّ مجمّع * سمعْتَ وبلّغنا وحَسْبُك فاذهَب
به اجتمعتْ أحياءُ فِهْرٍ وأحرَزَتْ * تراثَ أبيها دون كل مُذَبْذَب
وأصبح حُكمُ الله في آل بيتهِ * فهُمْ حَولَه من سادنين وحُجَّب
وما أسلمتْه عن تَراضٍ خزاعةٌ * ولكن كما عضّ الهناء بأجْرب
ولاذتْ قريشُ من كلاب بن مرّة * بجزْلٍ حكاكٍ او بعِرْقٍ مرجّب
ومُرّةُ ذو نفس لدى الحرب مُرّة * وفي السلْم نفسُ الصبر خدّى المروّب
وكعْبٌ عقيد الجود والحِلْم والنهى * وذو الحِكَم الغرّ المبشّر بالنبي
خطيبُ لُؤَيّ واللواء بكفّه * بخطْبة نادٍ او بخطبة مقنب
وأوّلُ مَن سمّى العروبة جُمْعَةً * وصدّر امّا بعد يلحي ويطنب
وأرّخ آل الله دهرا بموته * سنين سُدّى يُنعِبْنَ كفّ المحسِّب
وأضحى لؤيّ غالبا كل ماجد * ومن غالبٌ يُنْميه للمجْد يغْلب
وفِهْرٌ ابو الاحياء جامعُ شملها * وكاسِبُها من فخْره خير مكْسَب
بقرّش فامتازتْ قُريشُ بفضْله * وساد فسدّوا خلّة المتأوّب
وغادرَه اسْما في الكتاب منزّلا * بمَرّ به في آية كل مُعْرِب

ومالكُ المُرْبِي على كل مالك * فتى النصر حابتهُ السيادة بالحبّ

هو الليثُ في الهيجاء والغيثُ في الندى * وبدرُ الدياجي حين يسري ويختبي

تردّى بفضفاض على المجد نسجُه * وليس عليه فليجترّ ويسحب

وأعرَضَ بحرٌ من كنانة زاخرٌ * يُساقُ الى أمواجه كل مذنب

وخُيّرَ حلماً في الصهيل او الرغا * او البيت اوعزّ على الدهر مُصحب

فلم يقتصرْ واختارَ كلاً فحازه * الى غاية العزّ المديد المعقّب

له البيتُ محجوبا وعزٌّ مخلّدٌ * وأجردُ يعبوبٌ الى جنب أشهب

وخزّم آنافَ العُداة خُزَيْمةٌ * فلاذوا بأخلاق الذلول المجرّب

حطيمٌ لِسَلْمى بنت سُود بن أسلم * لكلّ قُضاعيّ كريم معصّب

ومُدْرِكَةٌ ذو اليُمْن والنجح عامرٌ * وخير مسمّى في العُلى وملقّب

تراه مطلاً اذ تقدّم جنسُه * [illegible] لم تحجب

لأمّ الجبال الشمّ والقطر والحصى * خِنْدِفُ [illegible] يركب

وإلياسُ مأوى الناس في كل آزمة * ومنجيهم في كل خوف ومرهب

وزاجرهم اذ يتّقوا الدين [illegible] * [illegible] ولا [illegible]

وجاءهُمُ بالركن بعد هلاكه * وقدكان في صدعٍ من الارض أنكب
وما هو الا مُعْجِزٌ لنبوّةٍ * وبُشرَى وعُقبَى للبشير المعقّب
وحجّ وأهدى البدن اوّل مَشْعَرٍ * لها وفروض الحجّ لم تترتّب
وكم حكمةٍ لم تَسْمَع الأُذْنُ مِثلَها * لها إن تَلُحْ في ناظر العين تكتب
الى قُنُصٍ تَنْميه سوداء بنْته * كلا طَرَفَيه من معدّ لِمَنْسَب
وفي مُضَرٍ تاهَ الكلامُ وأقبلَتْ * مآثِرُ سدّتْ كل وجّهٍ ومَذْهَب
فجِئن وكاثَرْنَ النجومَ بِجَمْعِها * بأكثر منها في العديد وأثقب
هناك أتى الاله مَن شاء فضْلَه * وقيلَ لهذا سِرٌ وللآخر اركب
وكانا شقيقَيْ نبْعَةٍ فتفاوتا * لِعلْمٍ وحُكْمٍ ما له من معقّب
وما منهما الاّ حنيفٌ ومسلمٌ * على نهْج اسماعيلَ غير منكّب
وقد سلّم الأفعَى بِنَجْرانَ حُكْمَه * اليهم ولم يَنْظُرْ الى متعقّب
رأى فَطِناً أبْدَتْ له عن نجاره * وكان لِنبْع فاستحال لاثأب
وتلك علامات النبوة كلها * تُشير الى منظورها المتقرّب
وقال رسول الله مهْما اختلَفْتُمُ * ولم تعرفوا قصْد السبيل الملحّب

ومالكُ المُرْبِى على كل مالك * فتى النضر حابته السيادة بالحبّ

هو الليثُ في الهيجاء والغيثُ في الندى * وبدرُ الدياجي حين يُسْري ويَحْتَبي

تردّى بفضفاض على المجد نسجه * وليس عليه فليجرّ ويسحب

وأعرض بحرٍ من كنانة زاخرٌ * يُساقُ الى أمواجه كل مذنب

وخُيّر حلماً في الصهيل او الرغا * او البيت اوعزٍ على الدهر مُصْحَب

فلم يقتصرْ واختار كلاّ فحازه * الى غاية العزّ المديد المعقّب

له البيتُ محجوبا وعزٌّ مخلّدٌ * وأجْرَدُ يَعْبوبُ الى جنب أشهب

وخزّم آناف العداة خزيمةٌ * فلاذوا بأخلاق الزلول المقرّب

حطيمٌ لسَلْمَى بنت سُود بن أسلم * لكلّ قُضاعيّ كريم معصّب

ومُدْرِكَةٌ ذو اليُمْن والنُجْح عامرٌ * وخير مسمّى في العُلى وملقّب

تراه مطلّا اذ تقمّع صنوُهُ * ففاز بتقمّع ظافر لم تخيّب

لأمّ الجبال الشمّ والقطر والحصى * خِنْدِفُ ان يشترك الارض تركب

وإلياس مأوى الناس في كل أزمة * ومنجيهم في كل خوف ومرهب

وزاجرهم اذ بدّلوا الدين ضلّة * وأصبح بلا ساد ولا متحوّب

وجاءهُمُ بالرُّكن بعــد هلاكــه * وقدكان فى صدعٍ من الارض أنكب

ومــا هــو الا مُعْجِـزٌ لنبــوّةٍ * وبُشرَى وعُقبَى للبشيـر المعقّب

وَحَجّ وأهدى البدْن اوّل مَشْعَرٍ * لها وفُروض الحجّ لم تترتّب

وكم حكمةٍ لم تَسْمَع الأذْنُ مِثلَها * لها إن تَلُحْ فى ناظر العين تكتَب

الى قُنُصٍ تَنْمِيه سوداء بنْته * كلا طَرَفَيه من معدّ لِمُنْسَب

وفى مُضَرٍ تاهَ الكلامُ وأقبلَتْ * مآثِرُ سدّتْ كل وجْهٍ ومَذْهَب

فجئنَ وكاثرْنَ النجومَ بِجمْعها * بأكثر منها فى العديد وأثقب

هناك أبى الاله مَن شاء فضْلَه * وقِيلَ لهذا سِرّ وللآخر اركب

وكانا شقيقىْ نبْعةٍ فتفاوتا * لِعلْمٍ وحُكْمٍ ما له من معقّب

وما منهما الاّ حنيفٌ ومسلمٌ * على نهْج اسماعيلَ غير منكّب

وقد سلّم الأفعَى بِنَجْرانَ حُكْمَه * اليهم ولم يَنْظُرْ الى متعقّب

رأى فَطِناً أبْدَتْ له عن نجاره * وكان لِنبْع فاستحال لاثأب

وتلك علامات النبوءة كلها * تُشير الى منظورها المتقرّب

وقال رسول الله مهْما اختلَفْتُمُ * ولم تعرفوا قصْد السبيل الملحّب

ففي مُضَرٍ جرثومة الحق فاعمدوا * الى مضرٍ تُلفوه لم يتقلّب
وما سيّدٌ الا نِزارٌ يَفونه * ومَن فاته بدرُ الدُجى لم يؤنّب
قريعُ مَعَدٍّ والذي سدّ فَقْدَه * متى يأتهم شَعْبٌ من الدهر يرأب
ابو أبْحُرِ الدنيا وأطوادها التي * بها ثبتت طرًّا فلم تتقلّب
ولم يَكْفِهِ حتى اعانَتْ معانةٌ * بكل عتيق جُرهُميّ مهذّب
وجاء معدٌّ والسماءُ شموسُها * وأقمارُها في ذيْلِه المتسحّب
وبين يديه الأنجُم الزُهْرُ بثّها * على الارض حتى لا مساغ لأجنبي
وقِدْماً تحفّى اللهُ من بُخْت نَصّرٍ * به والورَى من هالك ومعذّب
وجَنّبَه ارضَ البوار وحازَه * الى معْقل من حرْزه متأشّب
وحلّ بأرْمينيّةٍ تحت حفْظه * لدى مَلِك عن جانبيْه مذبّب
فلمّا تجلّى الله أسْرَى بعبْده * الى حَرَمٍ أمْنٍ لأبنائه اجْتُبي
وقد كان رَدَّ اللهُ عنهم كليمَه * ليالي يدعو دعْوة المتغضّب
وجاء بنو يعقوب يشكون منهُمُ * ينادونه هذا قتيل وذا سُبي
فقال له لا تَدْعُ مُوسَى عليهِمُ * فمِنهُم نبيٌّ أصْطَفيه وأجْتَبي

أحِبّهُــمُ فيــه رِضًــى وأُحِبّــه * كذلك مَن أحْبَبْتُهُ يُكرَم ويُحبَب

وأغفِرُ إن يستغفروني ذنوبَهم * ومهما دعا داعٍ أجِبْه وأقرب

فقال إذاً فاجْعَلْهُم ربِّ أمّتي * فمَن ترضه يا ربّ يَرضَ ويرغب

فقال لهم في آخر الدهر صفْوَتي * يفضّون اعدائي ويستنصرون بي

دعائمُ ايمانٍ وأركانُ سُوددٍ * مَضَتْ فعلاها مَهْرَدُ ابنهُ جَلْحَب

ومضعد عدنان الى حرم آدم * بأبْيَنَ من قصْد الصباح وأكثب

ونَهْيُ رسول الله صدّ وجوهَنا * وكان لنا في نظمها شدّ مُلهب

والّا فأُدّ بن الهُمَيسع مائل * ونَبْتُ بن قَيدارٍ سُلالهُ أشجب

ووَاجَهَ أعراق الثرى كل مَن يَرَى * وأسمع اسماعيل دعوةَ مطنب

وقام خليل الله يَتْلوه آزرٌ * أغرّ صباحيٌّ لأدهَمَ غيهب

الى الناحر بن السارغ القَمْرِ يَرْتقِي * وللراع ثم القاسم الطاهر الأب

وبعْبر ينميه الى المجد شالخٌ * الى الرافد الوهّاب برْك وطيّب

لسام ابي السامِينَ طُرّا سمابِهم * بنُوحٍ لِمَلْكان العُلى لمثوّب

لإدْريسَ ثم اليارد بن مَهْلائلٍ * لِقينان ثم الطاهر المتطيّب

الى هِبَةِ الرحمن شِيثَ بن آدم * ابى البَشَرِ الأعلَى لِطينٍ لأثْلَبِ
فمِنْهُ خُلِقْنَا ثم فيه مَعادُنا * ومنه الى عَدْنٍ فسَدِّدْ وقَرِّبِ

وهنا انتهى، ما يخص المنتمى الأعلى، من هذه الكلمة التى فرى ناظمها فى الاحسان الفرى، فاقتصرتُ منها على ما وَفَى بالغرض المقصود، واستوفى رجال النسب المجيد، والحسب التليد، تعجيلا لقرى المستفيد، واكتفاءً من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، وانها ان شاء الله لكافيةٌ فى الباب، ومُقدَّمةٌ فى الكلام اللباب، وتحفةٌ انما يعرف قدرها أولو الألباب، والله يجزى قائلها الحُسنى، وينفعه بمَقصَده الأسنى،

وإذ قد انتهينا الى ما حسُن لدينا ايراده فى هذا المعنى وصفا وذكرا، وخدمنا النسب الأشرف نظما ونثرا، فلْنعرّج الى ذكر البقعة التى اختارها الله لرسوله الكريم منشأً، وجعلها لقومه قرارا ومُتبوّأً وأوليت البيت العتيق الذى جعله الله مثابةً وأمْنًا للناس، ورفعه على أفضل القواعد وأكرم الأساس، ثم دحا الارض من تحته رفعا للشبهة فى شرفه والالتباس، ثم نذكر من ولد من آبائه الكرام اذ هم

أهله الأعلون، وأولياؤه الأحقاء به الأولون، وهو مأثورتهم التى لم يزالوا اياها ومن أجلها يُراعون، وتراث المجد الذى اليهم يُعزى واليه يُعزون، وبسيما شرفه يُعرفون، وباسمه يدعون، ونُشير الى حُرمته العظيمة فى الحُرمات، وما أنزل الله بمن بغاه بسوء، وأتى اليه بأمرٍ مذموم مشنوء، من أليم العقوبات، وعظيم النقمات، لنخدم البلد، كما خدمنا المحتد، ونقضى حق المكان الشريف، كما قضينا حق الحسب التليد الطريف، حتى نخلص الى ذكر المولد المبارك الذى منه نتدرّج الى المقصود الذى نحن عليه عاملون، ولتمامه آملون، رجاء ان نجد ذلك مذخورا عند المولى الذى يضاعف لعبيده الحسنات، ويعفو عن السيّئات، ويعلم ما يفعلون

***

ذكر أولية بيت الله المحرم

وركنه المستلم ومن تولّى بناءه من ملائكته وأنبيائه صلى الله على جميعهم وسلم

قال الله العظيم ان اوّل بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركا وهُدًى للعالمين فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم (١)

وفى الصحيح من حديث أبى ذرّ الغفارى انه سأل رسول الله صلعم أيّ مسجد وُضع فى الارض أول فقال له المسجد الحرام فقال قلت له ثم أيّ قال ثم المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاماً

وذكر الزبير بن بكّار بإسناده الى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال كنت مع ابى محمد بن على بمكّة فى ليالى العشر قبل التروية بيوم او يومين وأبى قائم يصلّى فى الحِجْر وأنا جالس وراءه فجاء رجل أبيض الراس واللحية جليل العظام بعيد ما بين المنكبين

(١) س ٣ آ ٩٠.

عريض الصدر وعليه ثوبان غليظان فى هيئة المحرم فجلس الى جنبه فخفّف ابى الصلاة فسلّم ثم أقبل عليه فقال له الرجل يا ابا جعفر اخبرنى عن بدء خلق هذا البيت كيف كان فقال له ابو جعفر محمد ابن على ممّن انت يرحمك الله قال رجل من اهل الشام فقال له محمد ابن على انّ أحاديثنا اذا سقطتْ الى الشام جاءتنا صحاحا وإذا سقطتْ الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص ثم قال له بدء خلق هذا البيت ان الله تبارك وتعالى قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة فردّوا عليه أتجعل فيها مَن يُفسِد فيها الآية (١) وغضب عليهم فعاذوا بالعرش فطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربّهم فرضى عنهم وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتا فيعوذ به من سخطتُ عليه من بنى آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فأرضى عنهم فبنوا له هذا البيت فهذا يا عبد الله بدء خلق هذا البيت فقال له الرجل يا ابا جعفر فما بدء خلق هذا الركن فقال ان الله تبارك وتعالى لمّا خلق

---

(١) س ٢ آ ٢٨.

الخالق قال لبني آدم ألستُ بربّكم قالوا بـلى (١) وأقرّوا وأجرى نهـراً أحلى من العسل وألذّ من الزبد ثم أمر القلم فاستمدّ من ذلـك النهر فكتب اقرارهم وما هـو كائـن الى يوم القيامة ثم ألقمَ ذلك الكتابُ هذا الحجر فهذا الاستلام الذى ترى انما هو بيعةٌ على إقرارهم بالذى كانوا أقرّوا به وقال جعفر بن محمد كان ابى اذا استلم الركن قال اللهم انّ أمانتى اَدّيتُها وميثاقى وفيتُ به ليشهد لى عندك بالوفاء قال وقام الرجل فذهب قال جعفر بن محمد فأمرنى ابى أن أردّه عليه فخرجتُ فى أثـره وأنا أراه يحـول بينى وبينه الزحـام حتى دخل نحو الصفا فتبصّرتُه على الصفا فلم أره ثم ذهبتُ الى المروة فلم أره عليها فجئتُ الى ابى فأخبرته فقال لى ابى لم تكن لتجده وذلك الخضر عليه السلام

وخرّج الترمذى من حديث عبد الله بن عباس وصحّحه قال قال رسول الله صلعم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشدّ بياضا من اللبن فسوّدته خطايا بنى آدم

---

(١) س ٧ آ ١٧١.

ومن حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه مرفوعاً وموقوفاً قال ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب

ومن حديث ابن عباس ايضا قال قال رسول الله صلعم في الحجر والله ليَبْعَثَنَّه الله يوم القيامة (١) له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على مَن استلمه بحقّ

وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى من حديث عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول ان آدم عم لما هبط من الجنة الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال يا ربُ أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّح بحمدك ويقدّسك غيرى. قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك مَن يسبّح بحمدى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكرى ويُسبّح فيها خلقى ويُذكر فيها اسمى وسأجعل فيها من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتى وأوثره باسمى فأسمّيه بيتى وعليه وضعتُ

---

(١) س ٧ آ ١٦٦.

جلالى ثم أنا مع ذلك فى كل شىء ومع كل شىء أجعل ذلك البيت حرماً وأمناً يتحرّم بحُرمته مَن حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهلَه فقد أخفر ذمّتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شُعْثاً غبْراً على كل ضامر من كل فج عميق يزجون بالتلبية زجيجاً ، ويثجّون بالبكاء ثجيجا ، ويعجّون بالتكبير عجيجاً ، فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الىّ وزارنى وضافنى وحقّ على الكريم ان يُكرم وفْده وأضيافه وان يُسعِف كلا بحاجته وتعمره يا آدم ما كنتَ حيّاً ثم تَعمُره الأمم والقرون والانبياء من ولدك أمّة بعد أمة وقرناً بعد قرن .

وفى حديث غير هذا عن عطاء وقتادة ان آدم عم لما أهبطه الله من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس اليه من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله فى دعائه وصلاته فوجّهه الله الى مكة وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الان وقال الله له يا آدم انى قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يُطاف حول عرشى وتصلّى عنده كما يُصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم

فطاف به هو ومَن بعده من الانبياء الى ان كان الطوفان فرُفِعت تلك الياقوتة حتى امر الله ابراهيم عم ببناء البيت فبناه فذلك قوله تعالى واذ بَوَّأنا لابرهيم مكان البيت والاية (١).

وعن ابن عباس ان الله أوحى الى ادم انّ لى حرَمَاً بحيال عرشى فانطلق فابْن بيتاً فيه ثم حفّ به كما رأيتَ ملائكتى يحفّون بعرشى فهنالك أستجيبُ لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال ادم انّى ربّ وكيف لى بذلك لستُ أقوى عليه ولا اهتدى الى مكانه فقيّض الله له ملَكاً فانطلق به نحو مكة فكان ادم عم اذ مرّ بروضة ومكان يُعجبه قال للملك انزل بنا هاهنا فيقول له الملك أمامك حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ومن لبنان والجودى و بنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعاً ثم رجع الى ارض الهند فمات بها.

---

(١) س ٢٢ آ ٢٧.

وفى رواية انه حجّ من الهند اربعين حجة على رجليه.

وذكر الواقدى عن ابى بكر بن سليمان بن ابى خيثمة العدوى قال قلت لابى جهْم من حُذَيفة يا عمّ حدّثنى عن بناء البيت ونزول اسماعيل عم الحرم فقال يا ابن اخى سَلْنى عنه على نشاطٍ منّى فانى أعلم من ذلك ما لا يعلمه غيرى قال فمكثتُ شهراً أذكّره المرّة بعد المرة فيقول مثل قوله الاوّل وكان قد كبر ورقّ وضعف فدخلتُ عليه يوماً وهو مسرور فقال لى اسمعْ حديثك الذى سألتنى عنه ان البيت فناه حرمٌ فى السماء السابعة وفى الارض السابعة يعنى ان ما يقابله حرمٌ وان ادم عم أمر بأساسه فبناه هو وحوّاء أسّساه بصخر أمثال الخِلَف يعنى النوق التى فى بطونها أجنّة وواحدتها خَلِفَةٌ أذن الله عز وجل للصخر ان تُطيعهما ثم نزّل البيت من السماء من ذهب أحمر وكّل به من الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على ادم عم ونزل الركن وهو يومئذ درّة بيضاء ووُضع موضِعَه اليوم من البيت وطاف به ادم وصلى فيه فلما مات ادم عم وليه بعده ابنه شيث فكان كذلك حتى حجّه نوح عم فلما كان الغرق يعنى الطوفان

بعث الله جل ثناؤه سبعين الف ملك فرفعوه الى السماء كى لا يُصيبه الماء النجس وبقيتْ قواعده وجاءت السفينة فدارت به سبعا ثم دثر الماء البيت فلم يحجّه من بين نوح وابراهيم احد من الانبياء على جميعهم السلام

وعن غير الواقدى فى غير حديث ابى الجهم ان شيث بن ادم عليهما السلام هو اول من بنى الكعبة وأنها كانت قبل ان يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها ادم ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حجّ الى موضعها من الهند

وفى الخبر ان موضعها كان غُثاءً كالزبد على الماء قبل ان يخلق الله سبحانه السماوات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خَلَقَ التوبة قبل السماء فلما خلق السماء وقضى هنّ سبع سماوات دحا الارض اى بسطها وانما دحاها من تحت الكعبة فلذلك سُمّيت مكة أم القرى

وذكر ابن هشام ان الماء لم يعْلُ الكعبة حين الطوفان ولاكنه قام حولها وبقيتْ هي فى هواء الى السماء وان نُوحا قال لاهل السفينة

وهى تطوف بالبيت انكم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمسّ احدٌ امراةً وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدّى حام فدعا عليه نوح بأن يسودّ لون بنيه فأجابه الله على وفق ما دعاه واسودّ كوش بن حام وولده الى يوم القيامة وقد قيل فى سبب دعوته عليه غير هذا فالله اعلم

ويروى انه لما نضب ماء الطوفان بقى مكان البيت ربوة من مدرة فحجّ اليه بعد ذلك هود وصالح ومَن امن معهما وان يعرب قال لهود عم ألا تبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلا

قال ابو الجهم فى حديث الواقدى حتى اراد الله عز وجل بإبراهيم ما اراد فولد له اسماعيل وهو ابن سبعين سنة وكان بكر ابيه ولما اراد الله عز وجل ان يُبَوّئ لابراهيم مكان البيت واعلامه اوحى الله اليه بامره بالمسير الى بلده الحرام فركب ابراهيم البُراق وحمل اسماعيل أمامه وهو ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل دلّه على موضع البيت ومعالم الحرم فكان لا يمرّ بقرية الا قال له ابراهيم بهذه أمِرْت يا جبريل فيقول

جبريل لا حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عِضاهٌ وسَلَم وسَمُر والعماليق يومئذ حول الحرم وهم اول من نزل مكة ويكونون بعرفات وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو رُبوة حمراء مدرة وهو يُشرف على ما حوله فقال جبريل حين دخل من كداء وهو الجبل الذى يُطالعك على الحجون والمقبرة بهذه أُمِرْتُ قال ابراهيم بهذه أُمِرْتَ قال نعم فانتهى الى موضع البيت فعمد ابراهيم الى موضع الحجر فأوى فيه هاجر واسماعيل وأمر هاجر ان تتخذ فيه عريشًا فلما اراد ابراهيم ان يخرج ورأت امّ اسماعيل انه ليس بحضرتها احدٌ من الناس ولا ماء ظاهر تركت ابنها في مكانه وتبعت ابراهيم فقالت يا ابراهيم الى من تدعُنا فسكت عنها حتى اذا دنا من كداء قال الى الله عز وجل أدعُكم قالت فالله عز وجل امرك بهذا قال نعم قالت فحسبى تركتنا الى كافٍ وانصرفت هاجر الى ابنها وخرج ابراهيم حتى وقف على كداء ولا بناء ولا ظلّ ولا شيء يحول دون ابنه فنظر اليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال ربّنا انّى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا

الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون ربّنا انّك تعلم ما نخفى وما نُعلن وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء ثم انصرف ابراهيم راجعاً الى الشام وعمدتْ هاجر فجعلتْ عريشاً فى موضع الحجر من سَمُرٍ وثُمام ألقتْه عليها ومعها شنّ فيه شىء من ماء فلما نفد الماء عطش اسماعيل وعطشت أمّه فانقطع لبنُها فأخذ اسماعيل كهيئة الموت فظنّت انه ميتٌ فجزعت وخرجت جزعا ان تراه على تلك الحالة وقالت يموت وأنا غائبة عنه هو أهون علىّ وعسى الله ان يجعل لى فى مَمْشياىَ خيرا فانطلقت فنظرت الى جبل الصفا فأشرفت عليه تستغيث ربّها عز وجل وتدعوه ثم انحدرت الى المروة فلما كانت فى الوادى خَبَتْ حتى انتهت الى المروة فعلتْ ذلك سبع مرار كلما أشرفت على الصفا نظرت الى ابنها فتراه على حاله واذا اشرفت على المروة فعلت مثل ذلك فكان ذلك اول ما سُعى بين الصفا والمروة وكان من قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون المواقف حتى كان ابراهيم [illegible] فلما كان الشوط

السابع ويئست سمعت صوتاً فاستمعت فلم تسمع الا الاول فظنت
انه شيء عرض لسمعها من الظماء والجهد فنظرت الى ابنها فاذا هو
يتحرك فأقامت على المروة ملياً ثم سمعت الصوت الاول فقالت
اني سمعتُ صوتك فأعجبني فإن كان عندك خير فأغثني فاني
قد هلكتُ وهلك ما عندي فخرج الصوت يصوب بين يديها
وخرجتْ تتلوه قد فَوِيَتْ له نفسُها حتى انتهى الصوت عند راس
اسماعيل ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم
فضرب بعقبه مكان البئر فظهر الماء فوق الارض حين فحص بعقبه
وفارتْ بالرواء وجعلت ام اسماعيل تحظر الماء بالتراب خشية ان يفوتها
قبل ان تأتي بشنتها فاستقت وبادرت الى ابنها فسقته وشربت
فجعل ثدياها يتفطّران لبناً فكان ذلك اللبن طعاما وشرابا لاسماعيل
وكانت هاجر تجتزئ بماء زمزم فقال لها الملَك لا تخافي ان
ينفد هذا الماء وابشري فإنّ ابنك سيشبّ ويأتي ابوه من الشام
فتبنون هاهنا بيتاً يأتيه عباد الله من أقطار الارض مُلبّين لله جل
ثناؤه شعثاً غبْرا فيطوفون به ويكون هذا الماء شراباً لِضيفان الله عز

وجل الذين يزورون بيته فقالت بشّرك الله بخير وطابت نفسها
وحمدت الله عز وجل ثم اقبل غلامان من العماليق يريدان بعيراً لهما
اخطاهما وقد عطشا وأهلهما بعَرَفات فنظرا الى طير تهوى قبل الكعبة
فاستنكرا ذلك وقالا أنّى يكون الطيور على غير ماء فقال احدهما
لصاحبه امهل حتى نبرد ثم نسلك مهوى الطير فأبردا ثم تروّحا
فإذا الطير تَرِد وتصدر فاتّبعا الواردة منها حتى وقفا على ابى قُبَيس
فنظرا الى الماء وإلى العريش فنزلا وكلّما هاجر وسألاها متى نزلت
فأخبرتهما وقالا لمن هذا الماء فقالت لى ولابنى فقالا مَن حفره
فقالت سقيُ الله جل ثناؤه فعرفا ان احداً لا يقدر على ان يحفر
هنالك ماءً وعهدهما بما هناك قريب وليس به ماء فرجعا الى
أهلهما من ليلتهما فأخبراهم فتحوّلوا حتى نزلوا معهما على الماء
فأنستْ بهم ومعهم الذرية فنشأ اسماعيل مع وِلدانهم وكان ابراهيم
يزور هاجر فى كل شهر على البُراق ويغدو غدوة فيأتى مكّة ثم يرجع
فيقيل من القيلولة فى منزله بالشام فزارها بعد ونظر الى من هنالك
من العماليق والى كثرتهم وعمارة الماء فسُرّ بذلك

ولما بلغ اسماعيل عم تزوّج امراة من العماليق فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل واسماعيل فى ماشيته يرعاها ويخرج متنكّباً قوسَه فيرمى الصيد مع رعيته فجاء ابراهيم عم الى منزله فقال السلام عليكم يا اهل البيت قال فسكتتْ فلم تردّ عليه الا ان تكون ردّتْ فى نفسها فقال هل من منزل فقالت لا هَيمُ الله اذنْ فقال فكيف طعامكم ولبنكم وشاؤكم فذكرت جهداً فقالت اما الطعامَ فلا طعام وأما الشاء فانما نحلب الشاة بعد الشاة المصر وأما الماء فعَلَى ما ترى من الغلاظ فقال اين رب البيت قالت فى حاجته قال فإذا جاء فأقرئيه السلام وقولى له غيّر عتبة بيتك ورجع ابراهيم الى منزله وأقبل اسماعيل راجعاً الى منزله بعد ذلك بما شاء الله عزوجل فلما انتهى الى منزله سأل امراته هل جاءك احد فأخبرته بإبراهيم وقوله وما قالتْ له ففارقها وأقام ما شاء الله عز وجل ان يقيم وكانت العماليق هم وُلاة الحكم بمكّة فضيّعوا حرمات الحرم واستحلوا منه أمورا عظاماً ونالوا ما لم يكونوا ينالون فقام فيهم رجل منهم يقال له عموق فقال يا قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم مَن اهلك من هذه

الامم فلا تفعلوا تواصّاَوا ولا تستخفّوا بحرم الله عز وجل وهو موضع بيته فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا فى هلكة أنفسهم

ثم ان جُرهُماً وقطوراء وهما أبنا عمّ خرجوا سيّارةً من اليمن أجدبت البلاد عليهم فساروا بذراريهم وأموالهم فلما قدموا مكة رأوا فيها ماءً معيناً وشجراً ملتفّا ونباتاً كثيراً وسعة من البلاد ودفئاً فى الشتاء فقالوا ان هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فاعجبهم ونزلوا به وكان لا يخرج من اليمن قوم الا وليهم ملك يُقيم أمرهم منه فيهم جروا عليها واعتادوها ولو كانوا نفراً يسيرا فكان مضاض بن عمرو على قومه من جرهم أعلى مكة بقُعَيقِعان فما حاز ونزل السُمَيدَع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز وذهب العماليق الى ان ينازعوهم أمرهم فعلتّ ايديهم على العماليق وأخرجوهم من الحرم كله فصاروا فى أطرافه لا يدخلونه وجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا وأثروا فكان مضاض يعشّر كل من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشّر كل من دخل من أسفلها وكل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه وكانوا قوما عربا وكان اللسان عربيا

وكان ابراهيم يزور اسماعيل فلما نظر الى جُرهُم نظر الى لسان عجيب وسمع كلاماً حسناً ونظر اسماعيل الى رعلة بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها الى ابيها فتزوّجها فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل فجاء الى بيت اسماعيل فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله فقامت اليه المراة فردّت عليه السلام ورحّبت به فقال كيف عيشكم ولبنكم وماشيتُكم قالت خير عيشٍ بحمد الله عز وجل نحن في لبن كثير ولحم كثير وماؤنا طيب قال هل من حبّ قالت يكون ان شاء الله ونحن في نعم قال بارك الله لكم

قال ابو الجهم فكان ابى يقول ليس احد يخلى على اللحم والماء بغير مكة الا اشتكى بطنه ولعمرى لو وجد عندها حبًّا لدعا فيه بالبركة فكانت ارض زرع

ويقال ان ابراهيم عم قال لها ما طعامكم قالت اللحم واللبن قال فما شرابكم قالت اللبن والماء قال بارك الله لكم في طعامكم وشرابكم فاللبن طعام وشراب قالت فانزل رحمك الله فاطعمْ واشربْ قال انى لا استطيع النزول قالت فانى أرا ك شعثاً أفلا أغسل راسك

وأدهنه قال بلى إن شئت فجاءته بالمقام وهو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهاة ملقى فى بيت اسماعيل فوضع عليه قدمه اليمنى وقدّم اليها راسه وهو على دابّته فغسلتْ شق راسه الأيمن فلما فرغت حوّلت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدّم اليها راسه فغسلت شق راسه الأيسر فالأثر الذى في المقام من ذلك

قال ابو الجهم فقد رأيت موضع العقب والاصبع

وعن الواقدى عن غير حديث ابى الجهم ان ابا سعيد الخدرى سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام فقال كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم الا ان الله جل ثناؤه اراد ان يجعل المقام آيةً من آياته

قال ابو الجهم فلما فرغتْ يعنى المراة من غسل راس ابراهيم عم قال لها اذا جاء اسماعيل فقولى له أثبتْ عتبةَ بابك فانها صلاح المنزل فلما جاء اسماعيل قال لها هل جاءك احد بعدى فأخبرتْه بابراهيم وبما صنعتْ به ثم قال لها هل قال لك ان تقولى لى شيئاً قالت قال لى أثبت عتبة بابك فانّ صلاح المنزل العتبة ففرح اسماعيل وقال لها

اندرين من هو قالت لا قال هذا خليل الله ابراهيم ابى واما قوله عتبة بابك فقد أمرنى ان اقرّك وقد كنتِ علىّ كريمةً وقد ازددتِ علىّ كرامة فصاحت وبكت فقال ما لك قالت الا اكون علمتُ من هو فأكرمه وأصنعَ به غير الذى صنعتُ فقال لها اسماعيل لا تبكى ولا تجزعى فقد أحسنتِ ولم تكونى تقدرين ان تفعلى فوق الذى فعلتِ ولم يكن ليزيدك على الذى صنع بك

فولدتْ لاسماعيل عشرة ذكور احدهم نابت فلما بلغ اسماعيل ثلاثين سنة وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة اوحى الله جل ثناؤه الى ابراهيم ان ابْنِ لى بيتًا فقال ابراهيم اى ربّ أين أبنيه فأوحىَ الله اليه ان اتّبع السكينة وهى ريح لها وجْه وجناحان ومع ابراهيم الملك والصرد فانتهوا بابراهيم الى مكة فنزل اسماعيل الى الموضع الذى بوّأه الله جل وعز لابراهيم وموضع البيت ربوة حمراء مَدَرة مُشرفة على ما حولها فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وليس معهما غيرهما أساس البيت يريدان أساس ادم الاوّل فحفرا عن ربض البيت يعنى حوله فوجدا صخرة لا يطيقها الا ثلاثون رجلا وحفرا حتى ياتى أساس ادم ثم بنى

عليه وحلقت السكينة كانها سحابة على موضع البيت فقالت ابن
عليّ فلذلك لا يطوف بالبيت احد أبداً كافر ولا جبّار الا رأيتّ
عليه السكينة فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فجعل طوله في السماء
تسع أذرع وعرضه في الارض ثلاثين ذراعا وطوله في الارض اثنين
وعشرين ذراعاً وأدخل الحِجْر وهو سبع اذرع في البيت وكان قبل
ذلك زرْباً لغنم اسماعيل وانما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم
يجعل له سقفاً وجعل له باباً وحفر له بئراً عند بابه خزانة للبيت يُلقى
فيها ما أُهدِيَ للبيت وجعل الركن عَلَما للناس فذهب اسماعيل الى
الوادي يطلب حجراً ونزل جبريل بالحجر الاسود وكان قد رُفع الى
السماء حين غرقت الارض كما رُفع البيت فنزل به جبريل فوضعه
ابراهيم موضع الركن وجاء اسماعيل بالحجر من الوادي فوجد ابراهيم
قد وضع الحجر فقال من اين هذا ومن جاءك به قال ابراهيم من لم
يَكِلْني اليك ولا الى حجرك

وعن الواقدي ايضا من غير حديث ابي الجهم ان يزيد بن رومان
قال سمعت ابن الزبير يقول ان ابراهيم عم ابتغى الحجر فناداه من

فوق ابى قُبَيس الا انا هذا فرَقى اليه ابراهيم فأخذه فوضعه موضعه الذى هو فيه اليوم وكان الله جل ثناؤه لما غرقت الارض استودع ابا قبيس الركن وقال اذا رأيتَ خليلى يبنى لى بيتاً فأعْطِهِ الركن فأعطاه الركن

وعن غير ابن الزبير ان ابا قبيس لذلك كان يُسمّى فى الجاهلية الأمين لوفائه بما استودعه الله اياه

قال ابو الجهم ولما فرغ ابراهيم من بناء البيت وأدخل الحجر فى البيت جعل المقام لاصقاً بالبيت عن يمين الداخل فلما كانت قريش قصر الخشب عليهم أخرجوا الحجر وكان ما أخرجوا منه سبع أذرع وأمر ابراهيم بعد فراغه من البناء ان يؤذّن فى الناس بالحجّ فقال يا ربّ وما يبلغ صوتى قال الله جل ثناؤه أذّنْ وعلىّ البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال فنادى وأدخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل بوجْهه شرقاً وغرباً يقول يا ايها الناس كُتب عليكم الحجّ الى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم عزّ وجل فأجابه مَن تحت البحور السبعة

ومَن بين المشرق والمغرب الى منقطع التراب من أطراف الارض كلها لبّيك اللهمّ لبيك أفلا تراهُم يأتون يلبّون فمَن حجّ من يومه الى يوم القيامة فهو ممّن استجاب لله جل وعز وذلك قول الله جل ثناؤه فيه آيات بيّنات مقامُ ابرهيم(١) يعنى نداء ابراهيم على المقام بالحج فهى الآية

قال الواقدى وقد رُوى ايضا ان الآية هى أثر ابراهيم على المقام

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وأقامه على حدود الحرم وأمره ان ينصب عليه الحجارة ففعل ابراهيم ذلك وكان اوّل من أقام إنصاب الحرم ويُريه اياها جبريل فلما كان اليوم السابع من ذى الحجة خطب ابراهيم عم بمكّة حين زاغت الشمس قائما واسماعيل جالس ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبّيان مُحرِمَين مع كل واحد منهما إداوة يحملها وعصًى يتوّكأ عليها فسُمّى ذلك اليوم يوم التروية فأتيا مِنى فصلّيا

---

(١) س ٣ آ ٩١ .

بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وكانا نزلا فى الجانب الأيمن
ثم أقاما حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج يمشى هو واسماعيل
حتى أتيا عَرَفَة وجبريل معهما يُريهما الأعلام حتى نزلا بنَمِرَة وجعل
يُريه أعلام عَرَفات وكان ابراهيم قد عرفها قبل ذلك فقال ابراهيم قد
عرفتُ فسُمّيتْ عَرَفات فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل عم حتى
انتهى بهما الى موضع المسجد اليوم فقام ابراهيم فتكلّم بكلمات واسماعيل
جالس ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما الى الهضاب فقاما على
أرجُلهما يدعُوَانِ الى ان زاغت الشمس وذهب الشعاع ثم دفعا من عَرَفَة
على أقدامهما حتى انتهيا الى جَمْع فنزلا فصلّى ابراهيم المغرب والعشاء
فى ذلك الموضع الذى يُصَلَّى فيه اليوم ثم باتا حتى إذا طلع الفجر
وقفا على قُزَح فلما أسفرا قبل طلوع الشمس دفعا على أرجُلهما
حتى انتهيا الى مُحَسِّر فأسرعا حتى قطعاه ثم عادا الى مشيهما الاول ثم
رميا جمرة العَقَبَة بسبع حصيات حملاها من جمع ثم نزلا من مِنًى فى
الجانب الأيمن ثم ذبحا فى المنحر اليوم وحلقا رؤوسهما ثم أقاما أيام
مِنًى يرميان الجمارَ حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين و راجعين

وصدرا يوم الصدر فصلّيا الظهر بالأبطح وكل هذا يُريه جبريل عم

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الحج انطلق الى منزله بالشام وكان يحجّ البيت كل عام وحجّته سارةُ وحجّته اسحاق ويعقوب والأسباط والأنبياء كلّهم وحجّه موسى بن عمران سـم

روى الواقدي بإسناد له الى ابن عباس رضه قال مرّ موسى عم بصفاح الروحاء يلبّي تُجاوِبُهُ الجبال عليه عباءتان قطوانيّتان من عباء الشام *

وعن جابر بن عبد الله قال حجّ هارون بن ... الله اليه ... فمرّ بالمدينة يريد الشام فمرض بالمدينة فأوصى ان يُدفن بأُصل أُحُد ولا يعلم به يهود مخافة ان ينبشوه فدفنوه فقبره هناك

وعن ابن عباس ان الحواريين كانوا اذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا البيت

وعن ابن الزبير ان الحواريين خلعوا نعالهم حين دخلوا الحرم إعظاما ان ينعلوا فيه

ثم توفّى الله خليله ابراهيم صلعم بعد ان وجه اليه ملك الموت فاستنظره ابراهيم ثم أعاده اليه لما أراد قبضه وأخبره بما أُمِر به فسلّم

ابراهيم لأمر ربّه عز وجل فقال له مَلَك الموت يا خليل الله على ايّ حال تحبّ ان أقبضك قال تقبضني وأنا ساجد فقبضه وهو ساجد فصعد بروحه الى الله عز وجل ودُفن ابراهيم عم بالشام وعاش اسماعيل عم بعد ابيه ما عاش وتوفّي بمكة فدُفن داخل الحجر مما يلي باب الكعبة وهنالك قبر امّه هاجر دُفن معها وكانت توفّيت قبله

ولما توفّي اسماعيل عم ولي البيت بعده ابنه نابت ولم يأت احدٌ من ولده بغيره ثم مات ودفن في الحجر مع امّه وقبله نبت مضاض فولي البيت بعده جدّه مضاض بن عمرو ثم أخواله من جُرهُم وقاموا عليه فكانوا هم وُلاته وحُجّابه وولاة الأحكام بمكّة وكان البيت قد دخله السيل من أعلى مكّة فانهدم فأعادته جُرهُم على بناء ابراهيم وجعلت له مصراعين وقفلا

قال ابن اسحاق ثم ان جُرهُما وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا المُلك بها ومع مضاض بومئذ بنو اسماعيل وبنو نابت والى ولاية البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض من قعيقعان في كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدّتها من الرماح

والدرى والسوق والجعاب بعضهم بذلك معه فمال ما سُمّى قُعَيقِعانُ الا لذلك وخرج السميدع من اجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ما سُمّى اجياد اجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه

وعن ابن اسحاق يقول انما سمى اجياداً لان مضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة

وقيل بل امر بعض الملوك عمرو مُسمّى بضرب رقاب مئة كان يقال لسانه بوسط الأجياد وهذا ونحوه أصحّ من تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن اسحاق قال ثم ان القوم تداعوا للصلح فاصطلحوا فقالا سلالا فتفاصل السميدع وتصدقت قط وراء فمقال ما سُمّى فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح و ساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا على مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه امر مكة وصار مُلكها له نحر للناس واطعمهم فأطبخ الناس وأكلوا فيقال ما سُمّيت المطابخُ المطابخ الا لذلك وبعض اهل العلم يزعم انها انما سميت بذلك لما كان تُبّع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذى كان من مضاض والسميدع اوّل بغى كان بمكة فيما يزعمون

* ثم نشر الله ولد اسماعيل بمكة وأخوالهم من جُرهُم ولاة البيت والحكّام بمكة لا ينازعهم ولد اسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم وإعظاماً للحرمة ان يكون بها بغيٌ او قتال

فلما ضاقت مكة على ولد اسماعيل انتشروا فى البلاد فلا يناوون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم

ثم ان جُرهُم بغوا بمكة واستحلّوا خلالاً من الحرمة وظلموا من دخلها من غير اهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها فرقّ امرهم فلما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغُبشان من خزاعة أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً لا يبغى فيها احدٌ الا أخرجته وكانت تسمّى الناسّة ولا يريدها ملك يستحلّ حرمتها الا هلك مكانه فيقال ما سُمّيت بكّة الا انها كانت تبكّ أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً فلم يزل اهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويحافظون على حرمتها فقال انه اجتمع رأي بني اسماعيل وخوارهم على ان لا يدعُوا احداً

أحدث في حرم الله حدثاً الا غيّروه ثم لم يرجع اليه و يقال بل كان ذلك مما سنّ لهم اوّلهم فصارت سُنّة فيهم يدينون بها ثم خلف من خلف بعدهم على ذلك يرون فيه رأيهم وتكبر مواقعه الظلم في حرم الله والتعدى به في نفوسهم يعتقدون ان العاصي فيه معاقب في دنياه في نفسه وماله وأن الحالف عند البيت حانثا يخوف عليه مما أصاب مثله من فعل فعْله وأن دعاء المظلوم عنده وخصوصاً في الشهر الحرام مجاب في ظالمه . ويذكرون في ذلك أشياء أراها الله اياهم صوناً لحرمه الكريم وبيته لبيت خليله ابراهيم عـم

ذكر الواقدى من حديث عبد المطلب بن ربيعه بن الحارث قال عدا رجل من بني خُناعه من هُذيل على ابن عمّ له وظلمه واضطره فناشده بالرحم وعظّم عليه فأبى الا ظلمه فقال والله لألحقنّ بحرم الله في هذا الشهر ولأدعُونّ الله عليك قال له ابن عمّه مستهزئاً به هذه ناقتي فلانه فانا اقعدك ظهرها فاذهب واجتهد فأعطاه ناقة وخرج حتى جاء الحرم في الشهر الحرام فقال اللهمّ اني أدعوك جاهدا مضطرًّا على ابن عمّ فلان ترميه بداءٍ لا دواء له ثم انصرف فوجد

ابن عمّه ود رُمِى فى بطنه فصار مثل الزق فما زال يسمح حتى انشق

قال عبد المطلب فحدثتُ بهذا الحديث ابن عباس فقال انا رأيت رجلاً دعا على ابن عمّ له بالعمى يعنى فى الحرم فرأيته يقاد اكمه العينين

وعن ابن عباس قال سمعتُ عمر بن الخطاب رضه يسئل رجلا من بنى سُليم عن ذهاب بصره فقال الرجل يا امير المومنين كنّا بنى ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عمّ فكنّا نظامه ونضطهده فكان يُذكرنا الله والرحم وكنّا اهل الجاهلية نرتكب كل الأمور فلما رأى ابن عمنا انّا لا نكفّ عنه ولا نردّ اليه ظلامته أمهل حتى اذا دخلت الأشهر الحرم اتى الى الحرم فجعل يرفع يديه الى الله جل ثناؤه ويقول

لاهُمّ أدعوك دعاءً جاهداً * اقتل بنى الضبعاء الا واحدا

ثم اضرب الرجْل فذرْه قاعدا * اعمى اذا قيد يعنّى القائدا

قال فمات إخوتى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد وبقيتُ انا فعميتُ ورمانى الله عزوجل فى رِجْلىّ وكما ترى فلبس يلائمنى قائدٌ

قال ابن عباس سمعت عمر يقول سبحان الله ان هذا لهو العجب قال سمعت عمر يسئل ابن عمّهم الذي دعا عليهم فقال دعوت عليهم كل ليلة في ليالي رجب الشهر كله بهذا الدعاء فاهلكوا في تسعة أشهر وأصاب الباقي ما اصابه

قال ابن عباس وعدا رجل على ابن عمّ له فاستاق ذودا له فخرج يطلبه حتى أصابه في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت ليس لك قال فأحلف قال إذَنْ أحلف فحلف عند المقام بالله الخالق ربّ هذا البيت ما هنّ لك فقال له لا سبيل لك عليه فقام ربّ الذود بين الركن والمقام باسطاً يديه يدعو على صاحبه فما برح مقامه يدعو عليه حتى ذلّه فذهب عقله فجعل يصيح بمكّة مالي والذود مالي ولفلان ربّ الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود فدفعها الى المظلوم فخرج بها وبقي الاخرى ذاهباً حتى تردّى من جبل فمات فأكلته السباع

وكان عمر بن الخطاب رضه يقول لو وجدت قاتل الخطاب في الحرم ما هجته وكان يقول لان أذنب بركبه سبعين ذنباً أحبّ اليّ

من ان أدىب دىسا واحداً فى الحـرم وأُركبه خـارج الحرم محادىـه
لـداب عـرق

ودكـر رحمه ىومـا وهو حليفه ما كان ىعاقب ىه من حانـف طلماً
ىعىى فى الحـرم رمن الجاهليـه فقال ان الناس لىرتكبـون ما هو أعظم
منها ثم لا ىُعجّـل لهم من العقوىـه مثل ما كان ىعجل لأُولائـك فما
ىـرون دلـك فقالوا انت اعلم ىا امىر المؤمنىن قال ان الله جـل ثناؤه
جعل فى الجاهليه اد لا دىـن حُرمه حرّمها الله وعظّمها وىرّفها وجعل
العقوىـه لمن اىـ حلّ شىئا مما حـرّم الله لىمىكل عن انتهاك ما حرّم
الله ىىعجـل العقوىه فلما ىعث الله رسوله صلعم أوعدهم ومااد هكـوا
مما حُرّم الساعه فقال والساعه أدهى وأمرّ فأخّر العداب الى ىوم القىامه
وأراهم الله عزوجل استجابه ىعضهم لىعض لىىاهوا عن الطلم وأخّر اهل
الاسـلام لىـوم الجمع ىسىجىب الله لمـن ىىاء واتقـوا الله وكونـوا
مع الصادقىـن

ومن المشهور فى هدا الباب امر اىـاف وىائله وهما صىما قرىـش
الىاس أقامهما على زمزم ىىحرون عىدهما دكروا انهما كانا رجلا وامراه

من جُرهُم إساف بن بغي ونائلة بنت ذئب فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ويقال بل أحدثا فيها فمسخهما الله والله اعلم وأمرهما معدود فيما بلغت اليه جُرهُم من الاستخفاف بحرمة الحرم وقلة مبالاتهم بالمعاصي فيه مع ما أراهم الله من عظيم الآية بمسخهما حجرين فما نهاهم ذلك عن قبيح فعلهم ما كانوا عليه حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدي آخرين من عباده فكان من أمرهم مع خُزاعة ما كان فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن وحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكها حُزنا شديدا فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الاكبر

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرُ
بلى نحن كنّا اهلها فأزالنا * صروف الليالي والجدود العواثر
وكنّا وُلاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعزّ فما يحظى لدينا المكاثر

مَلَكْنا فعززنا فأعظِمْ بمُلكنا * فلَبسُ نحيّ غيرنا ثم فاخر

الم ينكحوا من غير شخص علمتَه * فابناؤه منّا ونحن الأصاهر

فان تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها * فانّ لها حالاً وفيها التشاجر

فأخرَجَنا منها المليكُ بقُدرَةٍ * كذلك يا للناس تجري المقادر

أقول اذا نام الخليُّ ولم أنَمْ * أذا العرش لا يبعد سُهَيل وعامر

وبُدِّلتُ منها أوجُهاً لا أُحِبُّها * قبائل منها حِمْيَرٌ ويُحابِر

وصِرنا احاديثاً وكنّا بغِبْطَةٍ * بذلك عضّتنا السنون الغوابر

فسَحّتْ دموعُ العين تبكي لِبلدة * بها حَرَمٌ أمنٌ وفيها المشاعر

وتبكي لبيت ليس يُؤذَى حمامُه * تَظَلُّ به أمْناً وفيه العصافر

وفيه وحوشٌ لا تُرام أنيسةً * اذا خرجَتْ منه فليست تُغادر

وقال عمرو بن الحارث ايضا يذكر بكرا وغُبْشان وساكن مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا ايّها الناس سيروا انّ قصْرَكم * ان تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حُثّوا المَطيّ وأرخوا من أزِمّتها * قبل الممات وقضّوا ما تقضّونا

كنّا أناساً كما كنتم فغيَّرنا * دَهْرٌ فانتم كما كنّا تكونونا

قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم بالشعر ان هذه الابيات أوّل شعر قيل في العرب وانها وُجِدَت مكتوبةً في حجر باليمن ولم يُسَمّ لنا قائلها

ثم ان غُبشان من خُزاعة وَلِيَت البيت دون بني بكر بن عبد مناة وغبشان لقب واسمه الحارث وخزاعة يقول انهم من ولد قمعة بن الياس بن مُضر وان أباهم عمرو بن لُحَيّ هو عمرو بن لحي بن قمعة وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون انهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من غسّان

وقد رُوِي ان رسول الله صلعم قال رأيت عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف يجرّ قُصْبه في النار فسألتُه عمّن بيني وبينه من الامم فقال هلكوا فقيل له ومَن عمرو بن لحي قال ابو هؤلاء من خزاعة وهو اوّل من غيّر الحنيفية دين ابراهيم وأوّل من نصب الاوثان حول الكعبة فإن كان رسول الله صلعم قال هذا فرسول الله اعلمُ وما قال فهو الحقّ وعمرو بن ربيعة الذي تنتسب اليه خزاعة يقال هو عمرو بن لحي وانّ حارثة

بن ثعلبة بن عمرو خلف على ام لحى ولحى هو ربيعة بعد ان ولدت من قمعة ولحى صغير فتبنّاه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين الى قمعة بالولادة وفق ما روى ان رسول الله صلعم قاله والى حارثة بن ثعلبة بالتبنّى والانتساب به موجود كثيرا فى العرب

فلما وليت خزاعة البيت حفظوه مما كانت جرهم استباحته وترافدوا على تعظيمه والذب عنه وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبشانى ثم قومه من بعده وقريش اذ ذاك حلول وصرم متقطعون وبيوتات متفرّقون فى قومهم من بنى كنانة فأقامت خزاعة على ولاية البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حُلَيل ابن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وبعده انتقلت ولاية البيت الى قُصَىّ بن كِلاب

وكان من حديث قُصَىّ انه لما هلك ابوه كِلاب بن مُرّة خلّف ولديه زُهْرة وقُصَيّا مع أمّهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل بن عُذْرة وزُهْرة يومئذ رجل وقُصَىّ فطيمٌ فقدم مكّة بعد مهلك كلاب حاجٌّ

من قضاعة فيهم ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عُذرة فتزوّج فاطمة بنت سعد فاحتملها الى بلاده فاحتملت ابنها قُصيّا لصغره وأقام زهرة في قومه فولدت فاطمة لربيعة رزاحا فكان اخا قُصيّ لأمّه وكان لربيعة بنون ثلاثة من امراة اخرى وهُم حُنّ ومحمود وجَلْهُمة بنو ربيعة وأقام قصيّ بأرض قُضاعة لا ينسب الا الى ربيعة بن حرام فناضل يوماً رجلا من قضاعة يُدعَى رُفَيعاً فنضله قصيّ وهو يومئذ شابّ فغضب المنضول فوقع بينهما كلامٌ حتى تقاولا وتنازعا فقال رُفَيع ألا تلحق ببلدك وبقومك فانك لست منّا فرجع قصيّ الى امّه وقد وجد في نفسه مما قال له فسألها عن ذلك فقالت او قد قال هذا انت والله يا بنيّ أكرم منه نفساً ووالداً ونسباً وأشرف منزلا انت ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهْر بن مالك ابن النضر بن كنانة القرشيّ وقومُك بمكّة عند البيت الحرام وفيما حوله يَفِد العرب الى ذلك البيت وقد قالتْ لي كاهنةٌ رأتْك هذا يلي أمراً جليلا فطِبْ نفسا فأجمع قصيّ الخروج الى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قُضاعة وضاق ذرعاً بالمقام فيهم

فقالت له انه لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاجّ العرب فانّي أخشى عليك ان يصيبك بعض الناس فأقام قصيّ حتى اذا دخل الشهر الحرام وخرج حاجّ قضاعة خرج معهم وهم يظنّون انه انما يريد الحجّ ثم يرجع الى بلادهم حتى قدم مكّة فلما فرغ من الحجّ أقام بها وعاكفه القُضاعيّون على الخروج معهم فأبى وكان رجلا جلدا نهدا فلم يلبث ان خطب الى حُليل بن حُبشيّة ابنته حُبّى فعرف حُليل النسب ورغب في الرجل فزوّجه وحُليل يومئذ يلي امر مكّة والحكم فيها وحجابة البيت فأقام قصيّ معه بمكّة وولدت له حُبّى ابنه عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزّى وعبدا

فلما انتشر ولد قصيّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حُليل فرأى قصيّ انه أولى بالكعبة وبأمر مكّة من خُزاعة وبني بكر وأن قُريشا فُرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلّم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم الى إخراج خزاعة وبني بكر من مكّة فأجابوه الى ذلك وكتب عند ذلك قصيّ الى اخيه من امه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ومعه إخوته لأبيه حُنّ ومحمود

وجَلْهُمَة فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب وهم مُجمِعون لنُصْرة قصىّ والقيام معه فلما اجتمع الناس بمكّة وفرغوا من الحجّ ولم يبق الا ان يصدر الناس كان اوّل ما تعرّض له قصىّ من المناسك امر الإجازة للناس بالحجّ وكانتْ صُوفَة هى التى تلى ذلك مع الدفع بهم من عَرَفَة ورمْى الجمار وهُم ولد الغَوث بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر والغوث هو اوّل من ولى ذلك منهم وذلك ان امّه كانت امراةً من جُرهُم وكانت لا تلد فنذرتْ لله إن هى ولدت ولداً أن تصدّق به على الكعبة عبداً لها فخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث وكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاوّل مع أخواله من جُرهُم فولى الإجازة بالناس من عَرَفَة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مُرّ بن أدّ ابو الغوث لوفاء نذر امّه

انى جعلتُ رَبِّ من بَنِيّهْ * ربيطةً بمكّة العَلِيّهْ

فباركَنّ لى بها أليّهْ * واجعلْه لى من صالح البَرِيّهْ

وكان الغوث بن مُرّ زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهُمّ انّى تابعٌ تباعَهْ * ان كان إثمٌ فعلَى قُضاعَهْ

وذلك ان قضاعة كان منهم يستحلّون الحُرمة الجاهليّة فكانت صُوفة تدفع بالناس من عَرَفة وتُجيز بهم اذا نفروا من مِنًى حتى اذا كان يوم النفر أتوا لرَمْي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذَوُو الحاجات المستعجلون يأتونه فيقولون له قُمْ فارْمِ حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له وَيلَك قُمْ فارْمِ بنا فيأبَى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرَمَى ورمى الناس معه فإذا فرغوا من رَمْي الجمار وأرادوا النفر من مِنًى أخذت صُوفة بجانبَي العقبة فحبسوا الناسَ وقالوا أجيزي صوفة فلم يَجُزْ أحدٌ من الناس حتى يمرّوا فإذا نفذت صوفةُ ومضت خُلِّيَ سبيلُ الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدُد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بني سعد بن كعب في آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة بن عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد فكان صفوان هو الذي يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ثم بنوه من بعد حتى كان آخرهم الذي

فقام بها كرب بن صفوان وفي ذلك يقول ابن مغراء السعدي

لا يبرحُ الناسُ ما حجّوا مُعرَّفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

فأما قول ذي الأصبع العدواني واسمه حُرثان بن عمرو وقيل له ذو الأصبع لأن حيّة لدغته في أصبعه فقطعها

عذيرَ الحيّ من عدوا ن كانوا حيّة الأرض

بغى بعضُهم ظلماً فلم يُرْعِ على بعض

ومنهم كانت الساداتُ والموفون بالقرض

ومنهم من يُجيز الناسَ بالسُّنّة والفرض

ومنهم حَكَمٌ يقضي فلا يُنقَض ما يقضي

وإنما قال ذلك لأن الإفاضة من المزدلفة كانت في عدوان وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيّارة عُميلة بن الأعزل فقال حُوط بن عبد العُزّى زادت أبا سيّارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عوراء وذكروا أنه أجاز عليها أربعين سنة [illegible] قالوا وكان إذا وقف بالناس يقول اتقوا الله ربكم وأصلحوا أموالكم واحفظوا [illegible]

وقاتلوا أعداءكم الهمّ حبّبْ د ن دساءنا وبغّض ىس رعائىا واجعل امر الناس بأيدي صلحائنا ثم تقول اذ صوا على بركة الله وفيه يقول شاعرٌ من العرب

نحن دفعنا عن ابي سيّارهْ * وعن مواليه بني فزارهْ
حتى أجار سالماً حمارهْ * مستقبل القبلة يدعو جارهْ

وقوله حكمٌ يعني يعني عامر بن ظرب العدواني وكانت العرب لا تكون بينها نائرةٌ ولا مُعضلة في قضاء الّا اسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختُصم اليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه في رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمراة أتجعله رجلاً او امراة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى انظر في امركم فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلّب امره وينظر في شأنه ولا يتوجه له فيه وجهٌ وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سُخيل واذا راحت قال مسيت والله يا سخيل وذلك انها كانت تؤخّر بالسرح حتى يسبقها بعض الناس وأرأت سهره وقلقه

قراره على فراشه قالت له ما لك لا أبا لك ما عراك في ليلتك
هذه قال وَيلك دَعِيني امرٌ لبس من شانك ثم عادت له بمثل
قولها فقال في نفسه عسى ان تأتي مما انا فيه بفرج فقال وَيحك
اُختُصِمَ اليّ في ميراث خُنثَى أأجعله رجلا او امراة فوالله ما أدري
ما أصنع وما يتوجّه لي فيه وجهٌ فقالت سبحان الله لا أبا لك أتبع
القضاء المَبال أقْعِدْه فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان
بال من حيث تبول المراة فهي امراة قال مَسِّي سُخيلُ بعدها أو
صَبِّحي فَرِّجْتِها والله ثم خرج على الناس حين اصبح فقضى بالذي
أشارت به عليه

وهذا كله من الخبر معترض قطع اتصال حديث صوفة وقصيّ فنرجع
لان اليه ونَصِله بموضع انقطاعه حيث ذُكِر ان صوفة هي التي
كانت تلي الإجازة بالناس من مِنًى والدفع بهم من عَرَفة وان
قُصَيًّا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم والقيام به دونهم واستدعى
امظاهرته على ذلك اخاه رزاحًا فوصله مع مَن ذُكِر وصولُه معه

فلما كان ذلك العام فعلت صُوفة كما كانت تفعل قد عرفت

ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخُزاعة فأتاهم قصيّ بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقُضاعة عند العقبة فقال نحن أولى بهذا الأمر منكم فقاتلوه الناس قتالا شديدا ثم انهزمتْ صوفة وغلبهم قصيّ على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازتْ عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصيّ وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة وانه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكّة فلما انحازوا عنه بَاداهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً وفشت الجراح فيهم وأكثر ذلك في خزاعة ثم انهم تداعوا الى الصلح وإلى ان يحكّموا بينهم رجلًا من العرب فحكّموا يَعْمَرَ بن عوف بن كنانة فقضى بينهم بأنّ قُصَيّا أولى بالكعبة وأمر مكّة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصيّ من خزاعة وبني بكر موضوعٌ يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُؤَدّاةٌ وأن يُخَلّى بين قصيّ وبين الكعبة ومكّة فسُمّي يَعْمَر بن عوف يومئذ الشَّدّاخ لما شدخ من الدماء ووضع منها ويقال الشُّدّاخ

أيضا فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة
وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا انه قد أقرّ للعرب ما كانوا
عليه وذلك انه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقرّ
آل صفوان وعدوان والنسأة ومُرّة بن عوف على ما كانوا عليه حتى
جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله ومرّة بن عوف هم اهل وقد
تقدّم ذكرهم وأما النساة فهم بنو فقيم بن عدي بن عامر بن
ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن الياس بن مُضَر وهم الذين كانوا ينسئون الشهور على
العرب في الجاهلية فيحلّون الشهر من أشهر الحرم ويحرّمون مكانه
الشهر من أشهر الحلّ ويؤخّرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله سبحانه
انما النسيءُ زيادةٌ في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرّمونه
عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله زيّن لهم سوءُ اعمالهم والله لا يهدي القوم
الكافرين (١) وكان اول من نسأ الشهور على العرب وأحلّ منها ما

---

(١) س ٩ آ ٣٧

ما أحلّ وحرّمت فيها ما حرّم القلمّس وهو حُذيفة بن عبد بن فُقيم بن عدي وتوالت بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو ثُمامة جُنادة بن عوف بن أميّة بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمّس قال الزبير وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال انه نسأ اربعين سنة وكانت العرب اذا فرغت من حجّها اجتمعت اليه فحرّم الأشهر الحرم الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فإذا أراد ان يحلّ منها شيئا أحلّ المحرّم فأحلّوه وحرّم مكانه صفرا فحرّموا ليواطئوا عدّة الأربعة الأشهر الحرم • فإذا ارادوا الصدر قام فيهم فقال اللهمّ اني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول ونسأتُ الآخر للعام المقبل وفي ذلك يقول عُمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يفتخر بالنسأة على العرب

لقد علمتْ معدّ أنّ قومي * كرام الناس انّ لهم كراما

فأيّ الناس فاتونا بوترٍ * وأيّ الناس لم نُعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معدّ * شهور الحل نجعلها حراما

وهذا كان شأن النسأة في الجاهلية وأقرّه قصي على ما كان عليه مع

سائر ما ذكر اقراره العرب عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصيّ أوّل بني كعب بن لوي أصاب مُلكا أطاع له به قومُه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كلّه وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ويزعم الناس ان قريشا هابوا قطْع الشجر من الحرم في منازلهم فقطعها قصيّ بيده وأعوانه فسمّته قريش مجمِّعاً لما جمع من أمرها وتيمّنت بأمره فما تُنكح امرأة ولا يتزوّج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواءً لحرب قوم غيرهم الا في داره يعقده لهم بعضُ ولده ولا يعذر غلامٌ الا في داره ولا تُدّرع جارية من قريش الا في داره يُشَقّ عليها فيها دِرْعُها اذا بلغت ذلك ثم تُدّرع ثم ينطلق بها الى أهلها ولا تخرج عِيرٌ من قريش فيرحلون الا من داره ولا يقدمون الا نزلوا في داره فكان أمره في قومه في حياته ومن بعد موته كالدين المتّبع لا يُعمل بغيره واتّخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي امورها

ولما فرغ قصيّ من حربه انصرف اخوه رزاح الى بلاده بمن معه

من قومه فلما استقرّ في بلاده نشره الله ونشر ولده فهما قبيلا عُذْرة اليوم
فهذا حديث قصيّ في ولايته البيت بعد حُليل بن حُبْشيّة وإخراج
خزاعة منه وخزاعةُ تزعم ان حُليلا أوصى بذلك قصيّا وأمره به حين
انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال انت أولى بالكعبة
وبالقيام عليها وبأمر مكّة من خزاعة فعند ذلك طلب قصيّ
ما طلب

قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك من غيرهم والله اعلم

وقد ذكر الواقدي الأمرين على نحو ما ذكرهما ابن اسحاق قال
وقد سمعنا في ذلك وجها آخر وذكر ان ابا غُبْشان رجلا من خزاعة
كان ولي الكعبة فباع مفاتيحها من قصي بن كلاب ىعاً وذكر غيره انه باع
منه مفاتيح الكعبة بزقّ خمر فلذلك قيل اخسر صفقةً من ابي غبشان

وذكر الواقدي ايضا بإسناد له ان رجلا من قُضاعة يقال له ابو
الشموس حدث عمر بن الخطاب رضه وهو خليفة حديث قصي
بن كلاب وكيف استعان بإخوته على خزاعة فاستمع له عمر
وتعجب لأول الحديث وقال ذكّرتنا أمرًا كان دبر منّا والحمد لله

ربّ العالمين ان الله عزوجل ليصنع لهذا الحى من قريش وهُم أولى الناس ان يتّقوا الله وتحسن سيرة مَن ولى منهم بصنع الله لهم جعل فيهم الامانة وقبل ذلك النبوة

قالوا ولما كبر قصيّ ورقّ كان عبد الدار بكْره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العُزّى وعبدٌ قال قصيّ لعبد الدار اما والله يا بُنيّ لألحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء الا انت بيدك ولا يشرب رجل بمكّة الا من سقايتك ولا يأكل احد من اهل الحرم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها الا فى دارك فأعطاه دارَه دارَ الندوة التى لا تقضى قريش امراً من امورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خَرْجًا تُخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعامًا للحاجّ فيأكله مَن لم تكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيًّا فرضها على قريش فقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل

الحرم وإن الحاج ضيف الله وزوّار بيته وهُم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحجّ حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منًى فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنًى للناس حتى ينقضي الحجّ فلما كبر قصيّ ورقّ كان عبد الدار ابنه وجعل اليه كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصي لا يخالف ولا يردّ عليه شيء صنعه ثم ان قصي هلك فأقام أمره في قومه بنوه من بعده فاختطوا مكّة رباعا بعد الذي كان قصيّ قطع لقومه بها فكانوا يُقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بني عبد مناف بن قصيّ عبدَ شمس وهاشما والمطّلب ونوفلاً أجمعوا ان يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار مما كان قصيّ جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم

لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت
طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم، يرون أنهم أحق به من
بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدار
يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم، فكان صاحبُ أمر
بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسنّهم،
وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن
عبد الدار، وكانت بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصي، وبنو زهرة بن
كلاب، وبنو تيم بن مرّة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد
مناف، وكانت بنو مخزوم بن يقظة بن مرّة، وبنو سهم بن عمرو بن
هُصيص بن كعب، وبنو جُمح بن عمرو بن هصيص، وبنو عديّ بن
كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤي ومُحارب بن فهر
فلم يكونوا مع أحد من الفريقين، فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا
على أن لا يتخاذلوا ولا يُسلم بعضهم بعضا ما بلّ بحرٌ صوفةً،
فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فوضعوها لأحلافهم في
المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا هم وحلفاؤهم

ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسُمّوا المطيّبين وتعاقد بنو عبد الدار هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكّداً على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسُمّوا الأحلاف ثم سُونِدَ بين القبائل ولُزَّ بعضها ببعض فعُبّيت زُهرَة لبني جُمَح وعُبّيت تَيم لبني مخزوم وعبّيت بنو الحارث بن فهر لبني عدي ثم قالوا لِتُفْنِ كل قبيلة مَن عُبّيت اليها فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب اذ تداعوا الى الصلح على ان يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله صلعم ما كان من حِلْفٍ في الجاهلية فانّ الاسلام لم يَزِدْهُ الا شدّة فهذا حلف المطيّبين وقد كان في قريش حلف اخر بعده وهو حلف الفضول تداعت اليه قبائل من قريش واجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة لشرفه وسنّه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا

يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تُرَدّ عليه مَظلِمَتُه فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول

واختُلف في السبب الذي دعا قريشاً الى هذا الحلف ولمَ سُمّي بهذا الاسم فأما ما دعاهم اليه فذكر الزبير وغيره ان رجلا من اهل اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمرا ومعه بضاعة له فاشتراها رجل من بني سهم ويقال انه العاصي بن وائل فلَوَى الرجل بحقه فسأله ماله فأبى عليه وسأله متاعه فأبى عليه فجاء الى بني سهم يستعديهم عليه فاغلظوا له فعرف ان لا سبيل الى ماله فطوّف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك قام على الحِجْر ويقال بل أشرف على ابي قُبَيس حين اخذت قريش مجالسها ثم نادى بأعلا صوته

يآل فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعتُه * ببطن مكّة نائي الدار والنَفَر
وأشعَثٍ محرِمٍ لم يَقضِ حُرمته * بين الاله وبين الحِجْر والحَجَر
أقائمٌ من بني سهْم بذمّتهم * ام ذاهبٌ في ضلالٍ مالُ مُعتمر

فلما سمعت ذلك قريش أعظموه وتكلموا فيه فقال المطيبون والله لئن قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف وقال الأحلاف والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون فقال ناس من قريش تعالوا فلنكن حلفاء فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف فلذلك قيل له حلف الفضول واجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان وصنع لهم طعاما كثيرا وكان رسول الله صلعم يومئذ معهم قبل ان يُوحى اليه فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطّلب وزُهرة وأسد وتيم فتحالفوا على ان لا يُظلم بمكّة غريبٌ ولا قريب ولا حرّ ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقّه ويؤدّوا اليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به الى البيت فغُسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا الى الرجل الذي يعدى على الرجل المستصرخ العاصي بن وائل او عمره فقالوا والله لا نفارقك حتى تُؤدّي اليه حقّه فأعطى الرجل حقّه فمكثوا كذلك لا يُظلم احدٌ حقّه بمكّة الا اخذوه له

وقال رسول الله صلعم لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفا

ما أحبّ ان لي به حُمُر النَعَم ولو أُدْعى به في الاسلام لأجبتُ

وحكى الزبير ايضا انه انما سُمّي حلف الفضول لانهم تحالفوا على ان لا يتركوا لأحد عند احد فضلاً الا اخذوه وقيل انما سُمي بذلك لانه لمّا تداعى له مَن ذُكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيّبين والأحلاف بأسرهم وسمّوه حلف الفضول عيبًا له وقالوا هذا من فضول القوم

وقيل بل كان هذا الحلف على مثل حلف تقدّم انه نفرٌ من جُرْهُم يقال لهم الفضل وفضّال والفُضيل فسُمّي لذلك هذا الأخير حلف الفضول وأيّ ما كان من ذلك فهي مأثرة لقريش من مآثرها الكرام وأثارها العظام بالنهم فيه ببركة حضور رسول الله صلعم فهو وان كان فعلاً جاهليًّا دعتهم السياسة اليه فقد صار بحضور رسول الله صلعم وما قاله بعد النبوة فيه وإكباره من أمره حُكْمًا شرعيًا وفعْلا نبويا

وقد نشأ بين حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عقبة بن ابي سفيان رضي معاوية والوليد يومئذ امير المدينة من قبله منازعةٌ في مال كان بينهما بذي المروة وكان

الوليد تحامل على حسين في حقه لسلطانه فقال له حسين أحلف بالله لتنصفنّي من حقّي او لآخذنّ سيفي ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله صلعم ثم لأدعونّ بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفي ثم لأقومنّ معه حتى يُنصَف من حقه او نموتَ جميعاً وبلغت المِسوَرَ بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك وبلغتْ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليدَ أنصف الحسينَ من حقه حتى رضي ولم تكن بنو عبد شمس دخلتْ في هذا الحلف وقد سأل عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جُبَير بن مُطْعِم اذ قدم عليه حين قُتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وكان محمد بن جبير أعلم قريش كلّما دخل عليه. قال يا ابا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس وبني نوفل أبني عبد مناف في حلف الفضول قال انت أعلم قال عبد الملك لتُخبِرنّي يا ابا سعيد بالحقّ من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا منه نحن وأنتم قال صدقتَ فكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو ان رجلاً

وحده خرج من قومه كخرجتُ من بنى عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول وكانت لقريش أحلام عظام كانوا منها فى جاهليتهم على مثل السلطان الضابط عناية من الله بهم ومنّاً منه سبحانه عليهم هم سُكّان الحرم وأهل الله وحُجّاب بيته وأهل السقاية والرفادة والرياسة واللواء والندوة ومكارم مكّة وكانوا على إرثٍ من دين ابراهيم واسماعيل صلّى الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاجّ وتعظيم الحرم ومنعه من البغى فيه والإلحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم الا انه دخلتْ على اوّلهم أحداثٌ غيّرت أصول الحنيفيّة عندهم وطال الزمان حتى أفضى ذلك بهم الى جَهَلات بشعائر الدين وضلّالات عن سنن التوحيد تدارك الله ذلك كله بنبيّه محمد صلعم فهَدَى من الضلالة وعلّم من الجهالة فيقال انه كان اول من غيّر الحنيفيّة دين ابراهيم عم ونصب الأوثان حول الكعبة ودعا الى عبادتها عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن اليـاس بن مضر

روى ابو هُرَيرة انه سمع رسول الله صلعم يقول لأكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحىّ بن قمعة بن خندف يجرّ

قُصْبه في النار فما رأيتُ رجلًا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال
أكثمُ عسى ان يضُرّني شبهُه يا نبيّ الله قال لا لأنّك مؤمن وهو كافر
انه كان أول من غيّر دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحّر البحيرة
وسيّب السائبة ووصّل الوصيلة وحمى الحامي فالبحيرة عند العرب
الناقة تشقّ أذنها ولا يُركب ظهرها ولا يُجزّ وبرُها ولا يشرب لبنها الا
ضيفٌ او يتصدّق به وتُهمل لآلهتهم والسائبة الناقة التي ينذر
الرجل ان برئ من مرضه او أصاب امرا يطلبه ان يسيّبها ترعى
لا ينتفع بها والوصيلة التي تلد أمّها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبها
لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمّها ومعها ذكرٌ في بطن
فيقولون وصلت اخاها فيسيّب اخوها معها فلا يُنتفع به والحامي
الفحل اذا نُتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهنّ ذكرٌ حمي ظهره
فلم يُركب ولم يُجزّ وبره وخُلّي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه
بغير ذلك

فلما بعث الله رسوله محمدا صلعم أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة

ولا سائبه ولا وصيله ولا حام ولاكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون

وذكر بعض اهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكه الى الشام في بعض اموره فلما قدم مآب من ارض البلقاء و بها يومئذ العماليق وهم من ولد عملاق ويقال عمليق بن لاود بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها ونستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطوني منها صنما فأسير به الى ارض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكه فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق ويزعمون ان أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل انه لا يظعن من مكه ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبه حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره

فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعُمرة والوقوف على عرفة والمُزدلفة وهدى البُدْن والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش اذا أهلّوا قالوا لبّيك اللهمّ لبّيك لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحّدونه بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمد صلعم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهُم مُشركون (١) اى ما يوحّدوني بمعرفة حقّي الا جعلوا معي شريكا من خلقي وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ عكفوا عليها قصّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسوله صلعم فقال وقالوا لا تَذَرُنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونسْرا وقد أضلّوا كثيرا (٢)

---

(١) س ١٢ آ ١٠٦

(٢) س ٧١ آ ٢٣-٢٤

وذكر الواقدي بإسناد له عن ابي هُريرة ان اول ما عبدتْ الأصنام في زمن نوح عم وانّ ودّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسْراً كانوا رجالا صالحين من قوم نوح اهل عبادة وفضل فماتوا فوجد عليهم أهلوهم وتوحّش الناس لفقْدهم فقال لهم رجل منهم ألا أصوّرهم لكم صوراً من خشب فتنظرون اليهم وتسكنون الى رويتهم قالوا بلى إن قدرتَ قال انا أقدر على تصويرهم ولا أقدر على ان أنفخ الروح فيهم فجاء بالصور كهيئتهم أحياء فأخذ اهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها في منزلهم ينظرون اليها فأذهب ذلك بعض حزنهم فكانوا على ذلك ما شاء الله حتى هلك ذلك القرن ثم خلف قرن اخر ثم ثالثٌ بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الاول حتى هلكوا ثم خلف القرن الرابع فقالوا لو أنّا عبدْنا هولاء لَقرّبونا الى الله وشفعوا لنا عنده ولا يزيدوننا الا خيرا انما نريد ما يقرّبنا منه فعبدوها حتى هلكوا وعبدها من بعدهم فلما غرقت الأرض زمن نوح عم غرقتْ تلك الأصنام فمكثتْ ما شاء الله ان تمكث ثم استخرجها عمرو بن لُحَيّ ففرّقها في القبائل فالله تعالى اعلم

وقد خرّج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس
رضه موقوفا عليه في التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصرا ان ودّاً
وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما
هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان أنصبوا في مجالسهم التي كانوا
يجلسون أنصابا وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك
أولائك ونسخ العلم عُبدت

قال ابن اسحاق واتّخذ اهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه
وإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسّح به حين يركب فكان ذلك آخر
ما يصنع حين يتوجّه الى سفره وإذا قدم من سفره تمسّح به فكان
اول ما يبدأ به قبل ان يدخل على اهله فلما بعث الله رسوله
محمداً صلعم التوحيد قالت قريش أجعل الآلهة الها واحداً انّ
هذا لشيء عُجابٌ وكانت العرب قد اتّخذتْ مع الكعبة طواغيت
وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة لها سدنةٌ وحُجّابٌ وتُهدى لها
كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف
فضل الكعبة عليها لانّها قد عرفت انها بيتُ ابراهيم عم ومسجده

وسنمرّ في تضاعيف هذا الكتاب بعض أخبار هذه الطوائف وكيف
جعل الله عاقبة أمرها خسرا وأزهق الحقّ باطلها وعفا الاسلام آثارها
وأكمل الله تعالى دينه وتمّم نوره ونعمته ونصر دين الهدى والحقّ
فأظهره على الدين كله ومع اصفاق العرب مُضرها ويمنها على هذا
الضلال فقد كان وقع الى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به
ووقع ايضا دين النصرانية بنجران من ارض العرب على ما نذكره
فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تُبّع الآخر وهو تبان أسعد ابو
كرب بن مُلكيكرب بن زيد وهو تبّع الاول ابن عمرو ذي الأذعار
ابن أبرهة ذي المنار وتبان أسعد هو الذي قدم المدينة
وساق الحبرين من يهود الى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه وكان
قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مرّ بها
في بدأته فلم يهِج أهلها وخلّف بين أظهرهم ابنا له فقُتل غيلة
فقدمها وهو مُجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له
هذا الحيّ من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بني النجار وقد
كان رجل من بني عديّ بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من

اصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده في عذق له يجدّه فضربه بمنجله فقتله فزعم الأنصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله انّ قومنا لكرامٌ فبينما تبّع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبْران من أحبار اليهود من بني قُرَيظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانّك ان أبَيتَ الا ما تريد حِيلَ بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة فقال لهما ولمَ ذلك قالا هي مهاجر نبيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون دارَه وقرارَه فتناهى ورأى ان لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتّبعهما على دينهما وهذا الحيّ من الأنصار يزعمون انه انما كان حَنَقُ تبّع على هذا الحيّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ثم انصرف عنهم ولذلك قال في شعره

حَنَقاً على سِبْطَين حَلاَّ يَثرِباً * أولى لهم بعقاب يومٍ مُفسِدِ

وذكر ابن هشام ان الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع وكان تبّع وقومه

أصحاب أوثان يعبدونها فتوجّه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى
اذا كان بين عُسْفان وأمَج أتاه نفرٌ من هُذَيل بن مُدرِكة فقالوا له
ايها الملك ألا ندلّك على بيت مالٍ داثرٍ غفلته الملوك
قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا
بيتٌ بمكّة يعبده أهله ويصلّون عنده وانما أراد الهُذَليّون هلاكه
بذلك لِما عرفوا من هلاك مَن أراده من الملوك وبغى عنده
فلما أجمع لِما قالوا أرسل الى الحَبْرَين فسألهما عن ذلك فقالا
له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله اتّخذه
في الارض لنفسه غيره ولئن فعلتَ ما دَعَوك اليه لتهلَكَنّ ولَيَهلَكَنّ
جميعاً قال فما ذا تأمرانني ان أصنع اذا قدمتُ عليه قالا تصنع عنده
ما يصنع أهله تطوف به وتعظّمه وتكرّمه وتحلق راسك عنده وتذلّل
له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما
والله انه لبَيتُ أبينا ابراهيم وانه لَكما أخبرناك ولكن أهله حالوا
بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يُهرِقون
عنده وهم نجسٌ أهل شرك اوكما قالا له فعرف نُصْحهما وصدق

حدد بها فقرّب النعور من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى
حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق راسه وأقام بمكة
ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس . تُطعم أهلها وسقيهم العسل
ورأى في المنام ان يكسو البيت فكساه الخصف ثم أرى ان
يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى ان يكسوه أحسن من
ذلك فكساه المُلاء والوصائل فكان تُبّع فيما يزعمون أول من
كسا البيت وأوصى به ولاته من جُرهُم وأمرهم بتطهيره وألّا يقرّبوه
دما ولا ميتة ولا ميلادا وهي المحائض وجعل له بابا ومفتاحا ثم
خرج متوجّها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا
دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى
يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ويقال انه لما دنا من اليمن
ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد
فارقت ديننا ودعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم فقالوا
فحاكمنا الى النار قال نعم وكانت باليمن فيما يزعمون أهل اليمن
نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّدَيها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلتْ نحوهم حادوا عنها وهابوها فذَمَّرَهم من حضر من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتْهم فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخَرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباهُهما لم تضرّهما وأصفقتْ عند ذلك حِمْيَرُ على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

قال ابن اسحاق وقد حدثنى محدّث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتّبعوا النار ليردّوها وقالوا من ردّها فهو أولى بالحق فدَنَا منها رجالٌ حمير بأوثانهم ليردّوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلُوَانِ التوراة وتنكص حتى ردّاها الى مخرجها الذى خرجتْ منه فأصفقت عند ذلك حميرُ على دينهما فالله أعلم اىّ ذلك كان وكان رئامٌ بيتا لهم يعظّمونه وينحرون عنده ويكلَّمون منه اذ كانوا على شركهم فقال

الحيران لتُبّع انما هو شيطان به نُهيم فحلّ به ممّا و به قال فشأنكما
به فاستخرجا منه فما يزعم أهل اليمن كلما أسود قد بحاه ثم هدما
ذلك البيت

قال ابن اسحاق فمقاداه اليوم كما ذُكر لى بها أثار الدماء التى
كانت تُهَراق عليه

وتُبع هذا هو احد الملوك الذين وطئوا البلاد ودوّخوا الأرض
ودانت لهم الممالك وبه قال انه المسمّى فى قول الله تعالى أَهُمْ خيرٌ
أم قومُ تُبّعٍ والذين من قبلهم أهلكْناهم (١) وذلك لانه لما أمن فى
آخر عمره ووحّد خالفته حمير وتفرّقوا عنه فانتقم الله منهم

وحكى الحسن بن احمد الهمدانى انه اوّل ملك بشّر برسول
الله صلعم وأمن به وهو الذى رتّب الملوك وأنبأ الملوك من قومه
فى قبائل العرب والعجم ومدائنها وأمصارها وكان لكلّ قبيلة من
العرب ولكلّ حيّ من العجم ملك من قومه إمّا حميرى وإمّا كهلانى

---

(١) س ٤٤ آ ٣٦

يسمع له ويطاع ويُذكر انه جمع الملوك وأبناء الملوك والأقاول وأبناء الأقاول من قومه وقال لهم ايها الناس انّ الدهر يفقد أكثره ولم يبق الا أقلّه وان الكبير اذا قلّ الى النقصان احرى منه الى الزيادة سارعوا الى المكارم فانها تقرّبكم الى الفلاح واعملوا على انه من سلم من يومه لا يسلم من غده ومن سلم من الغد لا يسلم مما بعده وانكم لتؤثرون مآثر الآباء والاجداد وتصيرون الى ما صاروا اليه والموت كل يوم أقرب الى المرء من حبل وريده منه ولكل زمان أهل ولكل دائرة سبب وسبب بطلان هذه الغمرة التي من عزّ وبها نتّزمن هو دونه ظهور نبي يعزّ الله به دينه ويخصّه بالكتاب المبين على ناس من المرسلين رحمةً للمؤمنين وحجة على الكافرين فلذلك ذلك عندكم وعند أبنائكم بعدكم وأبناء أبنائكم قرنا فقرنا وجيلا فجيلا فتوقعوا ظهوره ولا تفوتوا به ولتجتهدوا في نصرة على كافة الأحياء حتى يفيء الناس الى أمره وأنشد له

سهدتُ على أحمد انه * رسولٌ من الله باري النسم
فلو مدّ دهري الى دهره * لكنتُ وزيرا له وابن عم

وألزمتُ طاعته كل مَن * على الارض من عرب أو عجم
ولاكن قولى له دائماً * سلام على احمد فى الأمم

فى ابيات ذكرها وأشعار غير هذه أثبتها فى إكليله كثيرا منها قال وذكروا ان الملوك وأبناء الملوك من حِميَر وكهلان لم تزل تتوقّع ظهور النبى صلعم وتبشر به وتوصى بالطاعة له والايمان به والجهاد معه والقيام بنصره منذ ذلك العصر الى ان ظهر رسول الله صلعم فكانوا بذلك حين بُعث من أحرص الناس على نصره وطاعته فمنهم مَن سمع له وأطاع وآمن به قبل ان يراه ومنهم من وصل اليه كتابه فسمع وأطاع وآمن وصدّق ومنهم من آواه ونصره وأيّده وجاهد فى سبيل الله دونه نطق بذلك الكتاب المبين فى قوله تعالى والذين تبوّؤا الدارَ والايمانَ من قبلهم يحبّون مَن هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويُؤثِرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (١) وقوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

(١) س ٥٩ آ ٩ .

بابى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذِلّة على المومنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم (١) الى اخر الآية

قال الهمدانى عن ابى الحسن الخزاعى بال انهم همدان ثم أشار الى ذكر سيف بن ذى يزن النبى صلعم وما أتاه من أمره الى جدّه عبد المطلب عند وفادته عليه قال وذكروا انه لم يكن لسيف بن ذى يزن ذلك العلم فى صفة النبى صلعم الا من جهة تُبّع وما تناهى اليه مما كان ألقاه اليهم وعرّفهم به من خبر النبى صلعم وسنذكر خبر سيف هذا فى موضعه ان شاء الله تعالى

وأما موقع النصرانية بأرض العرب فقد كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على الانجيل أهلُ فضل واستقامة من اهل دينهم لهم راسٌ يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع اصل ذلك الدين بنجران وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل

---

(١) س ٥ آ ٥٩

ذلك الذي يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا
به فحدّث وهب بن منبه ان فيميون كان رجلا صالحا مجتهدا
زاهدا في الدنيا مُجاب الدعوة وكان سائحا ينزل القرى لا يُعرف
في قرية الا خرج منها الى قرية لا يُعرف بها وكان لا يأكل الا من
كسب يده وكان بنّاءً يعمل الطين وكان يعظّم الأحد فإذا كان يوم
الأحد لم يعمل فيه شيئا وخرج الى فلاة من الأرض فصلّى فيها
حتى يمسي قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك
مستخفيا ففطن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له صالح فأحبّه صالح
حبّا لم يحبّه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له
فيميون حتى خرج مرّة في يوم الأحد الى فلاة من الأرض كما كان يصنع
وقد تبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا
منه لا يحب ان يعلم بمكانه وقام فيميون يصلّي فبينا هو يصلّي اذ أقبل
نحوه التنّين الحيّة ذات الرؤس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت
ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فصرخ يا فيميون التنّين
قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها

وامسى فانصرف وعرف انه قد عُرِف وعرف صالحٌ انه قد رأى
مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله انى ما أحببتُ شيئاً قطّ حبّك
وقد أردتُ صحبتك والكينونة معك حيث كنتَ قال ما شئتَ أمرى
كما ترى فانْ علمتَ انك تَقوَى عليه فنَعَمْ فلزِمَه صالح وقد كاد أهل
القرية يفطنون لشانه وكان اذا فاء جاءه العبدُ به الضُرّ دعا له فشُفِىَ
فإذا دُعِىَ به الى أحد به ضرٌّ لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن
ضرير فسأل عن شان فيميون فقيل له انه لا يأتى أحدا دعاه ولكنه
رجل يعمل للناس من البنيان بالأجرّ فعمد الرجل الى ابنه ذلك
فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له يا فيميون انى قد
أردتُ ان أعمل فى بيتى عملاً فانطلقْ معى حتى تنظر اليه فأشارطك
عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد ان تعمل من
بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الثوب عن الصبىّ وقال يا فيميون
عبد من عباد الله أصابه ما ترى فأدعُ الله له فدعا له فيميون فقام الصبى
ليس له باس وعرف فيميون انه قد عُرِف فخرج من القرية واتبعه
صالح فبينا هو يمشى فى بعض الشام اذ مرّ بشجرة عظيمة فناداه منها

رجلٌ فقال يا فيميون ما زِلْتُ أنتظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعتُ صوتك فعرفتُ انك هو لا تبرح حتى تقوم عليّ فانى ميّت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فاختطفتْهما سيّارةٌ من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرهم لها عيدٌ في كل سنة اذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحُلِيّ النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوماً فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحاً آخرُ فكان فيميون اذا قام من الليل يصلّي في بيت أسكنه اياه سيّدُه استسرج له البيتُ نوراً حتى يُصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيّدُه فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون انما انتم في باطل انّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ولو دعوتُ عليها الاهي الذي أعبد أَهْلَكَها وهو الله وحده لا شريك له فقال له سيّده فافعل فانك ان فعلتَ دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه فقام فيميون فتطهّر وصلّى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعفتْها من أصلها

فألقتْها فأتبعه عند ذلك أهل نجْران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ثم دخلتْ عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجْران فيما ذكر وهب بن منبّه في حديثه هذا واما محمد بن كعب القُرَظي وبعض أهل نجران فذكروا ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحْر فلما نزلها فيميون ولم يسمّه محمد بن كعب ولا شركاءه في الحديث قالوا رجلٌ نزلها ابتَنَى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحرُ فجعل أهل نجران يُرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلّمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران فكان اذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحّد اللهَ وعَبَدَه وجعلْ يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فَقِهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال له يا ابن أخي انك لن تحمله أخشَى ضعْفك عنه والثامر ابو عبد الله بن الثامر لا يظنّ الا ان ابنه يختلف

الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضنّ
به عنه وتخوّف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يُبْق لله اسماً
يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدحٌ حتى اذا أحصاها أوقد لها ناراً
ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مرّ بذلك الاسم الأعظم
قذف فيها بقدحه فوثب القدحُ حتى خرج منها لم يضرّه شيئاً فأخذه
ثم أتى صاحبه فأخبره انه قد علم الاسم الذى كتمه فقال وما هو
كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال اى ابن أخى قد أصبته
فأمسكْ على نفسك وما أظنّ ان تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا
دخل نجران لم يلق أحدا به ضُرٌّ الا قال له يا عبد الله أتوحّد الله
وتدخل فى دينى فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول
نعم فيوحّد الله ويُسلم ويدعو له فيُشفى حتى لم يبق بنجران أحد به
ضرّ الا أتاه فاتّبعه على أمره ودعا له فعُوفى حتى رُفع شأنه الى ملك
نجران فدعاه فقال أفسدت علىّ أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى
لامثّلنّ بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل
فيُطرح على رأسه فيقع الى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به الى

ماء نجران يجور لا يقع أحد فيها الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس
به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك والله لا تقدر على
قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به وانك إن فعلت سلّطت
الله عليّ فقتلتني فوحّد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن
الثامر ثم ضربه بعصى في يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله
وهلك الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن
الثامر وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم ما
أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران

قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض اهل
نجران عن عبد الله بن الثامر والله اعلم اي ذلك كان وحديث عبد
الله بن الثامر هذا قد ورد في الصحيح مرفوعا الى النبي صلعم من
طرق ثابتة خرجه مسلم بن الحجّاج من حديث صُهيب وغيره وبين
حديث ابن اسحاق اختلاف وفيه مع ذلك زوائد يحسن لاجلها
اعادةُ الخبر

فروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ان رسول الله صلعم

قال كان ملك فيمن كان قبلهم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك
اني قد كبرتُ فابعثْ اليّ غلاماً أعلّمه السحر فبعث اليه غلاماً
يعلّمه فكان في طريقه اذا سلك راهبٌ فقعد اليه وسمع كلامه
فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد اليه فإذا أتى
الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيتَ الساحر
فقُل حبسني أهلي وإذا خشيتَ أهلك فقل حبسني الساحر
فبينما هو كذلك اذ أتى على دابّة عظيمة قد حبست الناس فقال
اليوم أعْلَمُ الساحرُ أفضلُ ام الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال اللهم
ان كان امر الراهب أحبّ اليك من امر الساحر فاقتلْ هذه الدابّة
حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره
فقال له الراهب اي بُنَيَّ انت اليوم أفضل منّي قد بلغ من أمرك
ما أرى وانك ستُبتلى وإذا ابتُليتَ فلا تدلّ عليّ وكان الغلام
يبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي الناس وكذا سائر الأدواء فسمع
جليسٌ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك
أجمع ان انت شفيتني قال اني لا أشفي احداً انما يشفي الله فإن

أمنت بالله دعوتُ الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك مَن ردّ عليك بصرك قال ربّي قال ولك ربّ غيري قال ربّي وربّك فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اى بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال الغلام انى لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوُضع في مفرق راسه فشقّه حتى وقع شقّاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فوُضع المنشار في مفرق راسه فشقّه به حتى وقع شقّاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست

تعالى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد
واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ
سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب
الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع
السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتي الملك
فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن
الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال
من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا
حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها
الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق فهذا حديث مسلم عن
عبد الله بن التامر وأهل نجران وإن وقعت الأسماء فيه مبهمة وقد
فسرها العلماء بما ورد من ذلك مفسرا في حديث ابن اسحاق
وغيره وجعلوا ذلك كله حديثا واحدا

وذكر ابن اسحاق انه لما كان من اجتماع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ما تقدّم الحديث به سار اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيّرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخدّ لهم الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنوده ذلك أنزل الله على نبيه محمد صلعم قُتِل أصحابُ الأخدود ألنار ذات الوقود إذ هُم عليها قعودٌ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد (١) الى آخر الآية والأخدود هنا هو الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد ومنه قيل لأثر السيف والسوط والسكين ونحوه في الجلد أخدود قال ابن اسحاق ويقال كان في من قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وامامهم

وحدث عن عبد الله بن الثامر انه حدث ان رجلا من اهل نجران

---

(١) س ٨٥ آ ١-٤

حفر خَربةً من خَرِب نجران فى زمان عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه مُمسكاً عليها بيده فإذا أُخِّرت يدُه عنها تنبعث دماً وإذا أُرسلت يدُه ردّها عليها فأمسكت دمها فى يده خاتمٌ مكتوبٌ فيه ربّى الله فكُتب فيه الى عمر فكتب اليهم أن أَقِرّوه على حاله وردّوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا

وذو نواس هذا هو زرعة بن تبّان اسعد ابى كرب وهو تُبّع الآخر وقد تقدّم خبره وابنه زرعة ذو نواس هذا كان من صغار بنيه وصار اليه مُلك اليمن وأمر حمير بعد ابيه بزمان وذلك انه ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ربيعة بن نصر بن ابى حارثة بن عمرو بن عامر وكان من سادات اليمن وأهل الشرف منها وهو صاحب الرؤيا التى يعرف من تأويلها استيلاء الحبشة على اليمن والبشارة بظهور النبى صلعم وذلك انه رأى رؤيا هالته وفُظِع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجّماً من اهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم انى قد رأيتُ رؤياً هالتنى وفُظِعتُ بها فاخبرونى

بها وبتأويلها قالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال إني إن
أخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم عن تأويلها انه لا يعرف تأويلها
الا من عرفها قبل ان أخبره بها فقال له رجل منهم فإن كان الملك
يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما
يُخبرانه بما سأل عنه فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فقال
اني رأيتُ رؤيا هالتني وفظعتُ بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها
أصبت تأويلها فقال أفعلُ رأيت حُممة ، خرجتْ من ظُلُمة ،
فوقعتْ بأرض تَهِمة ، فأكلتْ منها كل ذات جُمجُمة ، فقال له
الملك ما أخطأتَ منها شيئاً يا سطيح فما عندك في تأويلها فقال
أحلفُ بما بين الحرّتين من حنش ، لتهبطنّ أرضكم الحبش ،
فليملكنّ ما بين أبين الى جُرَش ، فقال الملك وأبيك يا سطيح ان
هذا لنا لغائظٌ مُوجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده قال بل بعده
بحين ، أكثر من ستين او سبعين ، يمضين من السنين ، قال أفيدوم
ذلك من ملكهم ام ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ،
ثم يُقتلون ويُخرجون منها هاربين ، قال ومن يلي ذلك من قتلهم

وإخراجهم قال يليه أرمُ ذي يزن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم احداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبيّ زكيّ يأتيه الوحيُ من قبل العليّ قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهْر بن ملك بن النظر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يُجمَع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المُحسِنون ، يشقى فيه المُسيئون ، قال أحقّ ما تُخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق ، اذا اتّسق ، انّ ما انبأتُك به لحقّ ، ثم قدم عليه شِقّ فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتّفقان ام يختلفان فقال نعم رأيتُ حُمَمَة ، خرجتْ من ظُلُمَة ، فوقعتْ بين روضة وأكمه ، فأكلتْ منها كل ذات نسمه ، فلما قال له ذلك عرف ان قد اتّفقا وان قولهما واحد الا ان سطيحاً قال وقعتْ بِتَهَمَة فأكلتْ منها كل ذات جُمْجُمَة فقال الملك ما اخطأتَ يا شقّ منها شيئًا فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرّتين من انسانْ ، ليَهبطنّ أرضكم السودانْ ، فليغلبنّ على كل طفلة البنانْ ،

ولتملكن ما بين أبين الى نجران ، قال له الملك وأبيك يا شق

ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن في زماني ام بعده قال لا بل

بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم اشد الهوان ،

قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدنيّ ولا مُدنّ ، يخرج

من بيت ذي يزن فلا يترك احدا منهم باليمن ، قال أفيدوم

سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مُرسل ، يأتي بالحق والعدل ،

بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل ،

قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الوُلاة ، يُدعى فيه من السماء

بدعوات ، يُسمع منها الأحياء والأموات يُجمع فيه الناس للميقات ،

يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ، قال أحقّ ما تقول قال أيْ وربّ

السماء والارض ، وما بينهما من رفع وخفض ، انّ ما انبأتك لحق ما

فيه أمض فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل

بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس

يقال له سابور فأسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر فيما

يقال النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي

بن ربيعة بن نصر ذلك الملك وقد تقدّم قول من قال من العلماء ان النعمان من ولد قنص بن معد

وقد قيل أيضا ان النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضر وهو حصن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات وهو الذى ذكره عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تُجْبَى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلّله كلسا فللطير فى ذراه وُكور
لم يهبه رَيبُ المنون فباد الملكُ عنه فبابُه مهجور

وأما شق وسطيح فانّ شقا هو ابن صعب بن يشكر بن رهم أنمار بن نزار الذى نحمله وجميعهم وكان شق انسان فما زعموا انما له يد واحدة ورجل واحدة ولذلك سُمّى بشق وسطيح هو ربيع بن ربيعة من بنى ذئب بن عدى بن مازن بن غسان وكانت العرب تسمّيه الذئبى واياه عنى ميمون بن قيس الأعشى بقوله

ما نظرتْ ذاتُ أشفار كنظرتها * حقا كما نظر الذئبى اذ سجعا

وانما قيل له سطيح لانه كان له جسد مُلقى له رأس وليس له

حوارح فمما ذكروا وكان لا يقدر على الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس وذكر انه قيل له أنّى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلّم الله موسى منه فهو يؤدّي اليّ من ذلك ما يؤديه وعاش سطيح بعد هذا الحديث زمانا طويلا حتى أدرك مولد رسول الله صلعم

وذكر الخطابي وغيره من حديث هاني بن هاني المخزومي وأتت عليه مائة وخمسون سنة انه لما كانت الليلة التي وُلد فيها رسول الله صلعم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وغاضت بحيرة ساوه وفاض وادي السماوة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك الف عام ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشجّعا حتى اذا عيل صبره رأى ألاّ يدّخر ذلك عن مرازبته وزرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النار وازداد غمّا الى غمّه ثم أخبر

بما رأى وما هاله من ذلك فقال الموبذان وأنا أصلح اللهُ الملكَ قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا ثم قصّ عليه رؤياه فقال اي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدثٌ يكون من ناحية العرب وكان أعلمهم في أنفسهم فكتب عند ذلك كسرى الى النعمان بن المنذر ان يوجّه اليه برجل عالم بما يريد ان يسأله عنه فوجّه اليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقيلة الغسّاني فلما قدم عليه قال له الملك أَلَكَ علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرني الملك عمّا أحبّ فإن كان عندي منه علم والّا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجّه اليه فيه فقال له علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فسَلْه عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى أتى سطيحاً وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وكلّمه فلم يردّ عليه سطيح جواباً فأنشد عبد المسيح يقول

أَصَمُّ أَمْ يسمعُ غِطْرِيفُ اليمنْ * أَمْ فادَ فازْلَمَّ بهِ شأوُ العننْ

يا فاصلَ الخُطّةِ أعيتْ من ومن * أتاكَ شيخُ الحيّ من آلِ سَنَن

وأمّه من آلِ ذئبِ بن حجن * أزرقُ ممهى النابِ صرّارُ الأذن

رسولُ قَيل العُجْم يَسْري للوَسَن * لا يَرهَبُ الرَّعْد ولا رَيب الزمن
تجوبُ في الأرض عَلَنْداةٌ شَزَن * ترفَعُني وَجْنٌ وتَهْوي بي وُجُن
حتى أتى عاري الجآجي والقَطَن * تَلُفُّه في الريح بَوْغاءُ الدِّمَن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول، عبد المسيح، أتى إلى سطيح،
على جُمَيل مشيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملكُ بني
ساسان، لارتجاس الإيوان، وخُمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى
إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعتْ دجلة وانتشرت في
بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض
وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس فليست الشام
لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكاتٌ، على عدد الشُرُفات،
وكل ما هو آت آتٍ، ثم قضى سطيح مكانه فأقدم عبد المسيح على
كسرى فأخبره بما قاله سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا
قد كانت أمور فملك منهم عشرة إلى أربع سنين وملك الباقون
إلى خلافة عثمان رضه

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن

بشان أسعد ابي كرب وسار بأهل اليمن يريد ان يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى اذا كان بأرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهليهم فكلّموا أخا له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له اقتل أخاك حسان ونملّكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك الا ذا رُعَين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه وقال ذو رعين

الا من يشتري سهرا بنوم * سعيدٌ من يبيت قرير عَين

فأمّا حميرٌ غدرت وخانت * فمعذرةُ الإله لذي رُعَين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن فلما نزل اليمن مُنع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحُزاة من الكهّان والعرّافين عما به فقال له قائل منهم والله ما قتل رجل قطّ أخاه او ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن

حتى خاض الى ذى رُعَين فقال له ذو رعين انّ لى عندك براءةً قال وما هى قال الكتاب الذى دفعتُ اليك فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى انه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرّقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير

تُقتّلُ أبناها وتَنفي سراتَها * وتبني بأيديها لها الذُلَّ حميرُ

تُدمّرُ دُنياها بطيش حُلومها * وما ضيّعتْ من دينها فهو أكثر

كذاك القرونُ قبل ذاك بظُلمها * وإسرافها تأتي الشرورُ فتخسَرُ

وكان لخنيعة امرأً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكان يُرسل الى الغلام من ابناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه وجنده قد أخذ مِسْواكاً فجعله فى فيه علامة للفراغ من حديثه فعله حتى بعث الى زُرْعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسّان وكان صبيّاً صغيراً حين قُتل حسّان ثم شبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله

عرف ما يريد به فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً فخبأه بين قدمه ونعله
ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله
ثم حزّ رأسه فوضعه في الكوّة التي كان يُشرف منها ووضع مسواكه
في فيه ثم خرج على الناس فسألوه فأشار لهم الى الرأس فنظروا فإذا
رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا
ما ينبغي ان يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملّكوه فاجتمعت
عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وسمّى يوسف وأقام
في ملكه سنين قال ابن قتيبة ثمانيا وستين سنة الى ان كان منه في
اهل نجران ما تقدّم ذكره فكان ذلك سبباً لاستيصال مُلكه واستيلاء
الحبشة على اليمن .

*
* *

ذكر دخول الحبشة ارض اليمن

واستيلائهم على ملكها وذكر السبب في ذلك

مع ما يتصل به من امر الفيل

ولما انتهى زُرعة ذو نواس الى ما انتهى اليه في أهل نجران من
التحريق والقتل افلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان
على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى
أتى قيصر صاحب الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره
بما بلغ منهم فقال له بَعُدت بلادك منا ولكني سأكتب لك
الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو اقرب الى بلادك
فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره فقدم دوس على النجاشي
بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا
منهم يقال له أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط
البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس

فى حِمْيَر ومن أطاعه من ممادل الـ من فلما المعوا ابهرم دو بواس وأصحابه
فلما رأى دو بواس ما برل به وبعومه وجّه فرسه الى البحر ثم صربه
فأدحله فيه فحاص به وصحصاح البحر حتى أفضى به الى عمره
فأدحله فيه فكان آحر العهد به ودحل أرباط اليمن فملكها وأقام بها سنين
فى سلطانه ذلك ثم نارعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحبشى
حتى تفرّق الحبشة عليهما فانحار الى كل واحد منهما طائفةٌ منهم
ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى أرباط
انك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا
فابرزْ لى وابرزُ لك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فأرسل
اليه أرباط أنصفتَ فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا حادرا وكان
ذا دين فى النصرانية وخرج اليه أرباط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا
وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عَوْدة يمنع ظهره
فرفع أرباط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على
جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فلذلك سمى
أبرهة الاشرم وحمل عودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله وانصرف

جند أرياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة أرياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضبا شديدا وقال عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهةُ رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي وكتب اليه ايها الملك انما كان أرياطُ عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكل طاعتُه لك الا اني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسمُ الملك وبعثتُ اليه بجراب من تراب أرضي ليضعه تحت قدميه فيبرّ قسمُه فيّ فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيك امري وأقام بها ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف اليها حج العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بني فُقيم بن

عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرج
حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم لحق بأرضه فأخبر بذلك
أبرهة وحلف ليسيرنّ الى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة
فتهيّأت وتجهّزت ثم ساروا وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك
العرب فأعظموه وفُظِعوا به ورأوا جهاده حقّا عليهم حين سمعوا
بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان
من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه
ومَن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله
وما يريد من هدمه وإخرابه فأجابه من أجابه الى ذلك ثم عرض له
فقاتله فهُزِم ذو نفر وأصحابه وأُخِذ له ذو نفر وأُتى به أسيراً فلما
أراد قتله قال له ذو نفر ايّها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون
بقائي معك خيراً لك من قتلي وكان أبرهة رجلا حليما فتركه من
القتل وحبسه عنده في وثاق ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما
خرج له حتى اذا كان بأرض خَثعَم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى
في قبيلَى خَثعَمَ شَهرَانَ وناهِس ومَن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه

أبرهة وأخذ له نُفَيل أسيرا فأُتي به فلما همّ بقتله قال له نفيل أيها
الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على
قبيلي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلّى سبيله وخرج به
معه يدله حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعتّب بن
مالك الثقفي في رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن
عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس
بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات إنما تريد البيت الذي
بمكّة ونحن نبعث معك من يدلّك عليه فتجاوز عنهم واللاتُ
بيتٌ لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة فبعثوا معه أبا
رغال يدلّه على الطريق إلى مكّة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى
أنزله المغمّس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمتْ قبره
العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس فلما نزل أبرهة المغمّس
بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى
انتهى إلى مكّة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم
وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطّلب بن هاشم وهو يومئذ كبير

قريش وسيدها فهمّت قريش وكنانة وهُذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حُناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لك اني لم آتِ لحربكم انما جئتُ لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتِني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم او كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته وحَرَمه وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال حناطة فانطلقْ اليه فانه قد أمرني ان آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نَفْر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشية ما عندي غناء في شيء

فما نزل بك الا ان أُنيسا سائس الفيل صديق لي فسأرسل اليه فأوصيه بك وأعظّم عليه حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك قال حسْبي فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطّلب سيّد قريش وصاحب عين مكة يُطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذِنْ له عليه وانفعْه عنده بما استطعت قال أفعلُ وكلّم أنيس أبرهة قال له ايها الملك هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك وأُحِبُّ ان تأذن له فيكلّمك في حاجته ووصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجمله وأعظمه فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يردّ عليّ الملكُ مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنتُ أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدتُ فيك

حين كلّمتنى أتكلّمنى فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتَ لتهدمه لا تكلّمنى فيه قال عبد المطلب انى انا ربُّ الإبل وان للبيت ربّاً سيمنعه قال وما كان ليمتنع منّى قال أنت وذاك ويزعموا أهل العلم انه كان ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة يعْمر بن نُفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بَكر وخُويلد بن واثلة الهُذيلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تِهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فالله أعلم أكان ذلك أم لا فردّ ابرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شُعَف الجبال والشعاب تخوّفاً عليهم من معرّة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة

لَاهُمَّ إِنَّ ٱلْعَبْدَ يَمـْـنَعُ رَحْلَهُ فَٱمْنَعْ حِلَالَكْ

لا يغلبنّ صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة وهيّأ فيله وعبّأ جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مُجمِع لهدم البيت والانصراف الى اليمن فلما وجّهوا الفيل الى مكة قام نُفيل بن حبيب الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال ابرُك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتدّ حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى وضربوه في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجّهوه راجعا الى اليمن فقام يُهرول ووجّهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجّهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجّهوه الى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمّص والعدس لا تصيب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت

وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله من نقمته بهم

أين المفرّ والإلهُ الطالبُ * والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ

وقال نفيل أيضا

ألا حُيِّيتِ عنّا يا رُدينا * نَعِمْناكم مع الإصباح عينا

رُدينةُ لو رأيتِ ولا تريهِ * لدى جَنْبِ المحصّبِ ما رأينا

إذا لعذرتِني وحمدتِ أمري * ولم تأسَي على ما فات بَيْنا

حمدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً * وخفتُ حجارةً تُلقَى علينا

فكل القوم يسأل عن نُفَيلٍ * كأنّ عليّ للحُبشانِ دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهةُ في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملةً أنملةً كلما سقطتْ منه أنملةٌ اتبعتْها منه مِدّةٌ تمُثُّ قيحاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرْخ الطائر فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه فيما يزعمون ويقال انه

أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر والحرمل والحنظل والعشر ذلك العام

فلما بعث الله محمد صلعم كان مما يعدّ الله على قريش من نعمة عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم فقال تبارك وتعالى (١) الم ترى كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول

وقالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيتُ قائد الفيل وسائسه بمكّة أعميين مُقعَدين يستطعمان

قال ابن اسحاق فلما ردّ الله الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة أعظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوّهم فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون ما صنع الله بالحبشة وما ردّ عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى

---

(١) س ١٠٥

فتنكّبوا عن بطن مكّة إنها * كانت قديماً لا يُرام حريمُها

لم تُخلَق الشِعرَى لياليَ حُرِّمَتْ * إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها

سائلْ اميرَ الجيش عنها ما رأى * ولَسَوفَ يُنبي الجاهلين عليمها

ستّون ألفاً لم يَئُوبوا أرضَهم * بل لم يَعِش بعد الإياب سقيمُها

كانت بها عادٌ وجُرْهُم قبلهم * والله من فوق العِباد يُقيمُها

وقال ابو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي من قصيدة سيأتي ذكرها بجملتها

فقوموا فصلّوا ربّكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء مصدّق * غداةَ ابي يكسومَ هادي الكتائب

كتيبتُه بالسهل تمسي ورَجْلُه * على القاذفات في رؤوس المناقب

فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردّهم * جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب

فوَلّوا سِراعاً هاربين ولم يؤُب * الى اهله بالحُبش غيرُ عصائب

وقالت سُبَيعَة بنت الأحبّ بن ربيعة من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور لابنها خارجة بن عبد مناف بن كعب بن

سعد بن سهم بن مرّة تعظّم عليه حُرْمة مكّة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تُبّعاً وتذلّله لها والفيل وهلاك جيشه عندها

أبُنَـــيّ لا تَـظْـلِـمْ بمكّـة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ * واحْـفَـظْ محارِمَهـا بُنيّ ولا يَغُرَّنْكَ الغُرور

أبُنَـيّ مَـن يَظْلِمْ بمكّـة يَلْقَ أطرافَ الشرور * أبنـيّ يضرب وجهـه ويلـح بخدّيـه السعيـر

أبنـيّ قـد جرّبْتُهـا فوجدتُ ظالمَهـا يبور * اللـهُ آمَنَهـا ومـا بُنِيَتْ بعَرْصَتِهـا قُصور

واللـهُ آمَنَ طيـرهـا * والعُصْمُ تأمَـن في ثبيـر * ولقـد غزاهـا تُبّـعٌ فكسـا بَنِيّتهـا الحبيـر

وأذلّ ربّـي مُلْـكَـه فيهـا فأوفى بالنُـذور * يمشي إليهـا حافيـاً بفنائهـا ألفـا بعيـر

ويظـلّ يُطعمُ أهلَهـا لَحْمَ المَهارِي والجَزور * يَسْقيهِم العسلَ المُصفّى والرحيضَ من الشعيـر

والفـيـل أهْلـكَ جـ ـشـه * يـرمـون فـيـهـا بالصخـور

والله أُهْلكَ في أقـصـى البـلاد * وفي الأعـاجـم والخـزيـر

فـاَسـمـعْ إذا حـدثـت وافـهمْ * كـيـف عاقـبـةُ الأمـور

ولم يزل شعراء اهل الجاهلية يذكرون ذلك في أشعارهم معدين

بصُنع الله فيه وقد جرى على ذلك شعراء الاسلام فقال الفرزدق

بن غالب التميمي يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويعرض

للحجّاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجّاجُ حين طغى به * غِنى قال انّي مُرتقٍ في السلالم

فكان كما قال ابن نوح سأرْتقي * الى جبل من خشية الماء عاصم

رمى اللهُ في جُثْمانه مثل ما رمى * عن القبلة البيضاء ذات المحارم

جُنودا يسوقُ الفيل حتى أعادهم * هباءً وكانوا مُطْرِخمّي الطراخم

نُصِرتَ كنَصْرِ البيت اذ ساق فيله * اليه عظيمُ المشركين الأعاجم

قال ابن اسحاق فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن

أبرهة وبه كان يُكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة أخوه

مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن
ذي يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ما هم
فيه وسأله ان يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء
من الروم فلم يشكه فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو
عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكى اليه أمر
الحبشة فقال له النعمان انّ لي على كسرى وفادةً في كل عام فأقم
حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان
كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل
القنقل العظيم فيما يزعمون يُضرب فيه الياقوت والزبرجد
واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في
مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يُستر بالثياب حتى
يجلس في مجلسه ذلك ثم يُدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في
مجلسه كُشفت عنه الثياب ولا يراه رجلٌ لم يره قبل ذلك الا برك
هيبة له فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك وقيل انه لما دخل عليه
طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا لأحمق يدخل عليّ من هذا الباب

الطويل ثم يطأطئ راسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلتُ هذا لِهَمّي
لانه يضيق عنه كل شيء ثم قال ايها الملك غَلَبَنا على بلادنا الأغْرِبَة فقال
كسرى ايّ الأغربة الحبشة ام الهند قال بل الحبشة فجئتُك لتنصُرَني
ويكون مُلك بلادي لك قال بَعُدَتْ بلادك مع قلّة خيرها فلم أكن
لأُوَرّطَ جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك ثم أجازه
بعشرة الاف درهم وافٍ وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك
سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال
ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه فقال عمدتَ الى حباء الملك تنثُرُه للناس
فقال وما أصنعُ بهذا ما جبال أرضي التي جئتُ منها الا ذهب
وفضّة يرغّبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال ما ذا ترون في امر هذا
الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك انّ في سجونك رجالاً
حبستَهم للقتل فلو انك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي
أردتَ منهم وإن يظفروا كان ذلك مُلكا ازددتَه فبعث معه كسرى
من كان في سجونه وكانوا ثماني مائة رجل واستعمل عليهم
وَهْرِزَ وكان ذا سنّ فيهم وافضلهم حسباً وبيتاً فخرجوا في ثماني

سفائن فغرقت سفينتان ووصلت الى ساحل عدن ست سفائن فجمع
سيف الى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك
حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال وهرز أنصفت وخرج اليه
مسروق بن أبرهة ملك الحبش وجمع اليه جنده فأرسل اليهم وهرز
ابنا له ليقاتلهم فاختبر قتالهم فقُتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم
فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرز أروني ملكهم فقالوا له أترى
رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم
قالوا ذاك ملكهم قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال علامَ هو قالوا قد
تحوّل على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال على ما هو
قالوا على البغلة قال وهرزُ بنتُ الحمار ذلّ وذلّ مُلكه اني سأرميه
فإن رأيتم أصحابه لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم فاني قد أخطأت
الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبتُ الرجل
فآحملوا عليهم ثم وتّر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوتّرها غيره من شدتها
وأمر بحاجبيه فعُصّبتا له ثم رماه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت
النُشابة في رأسه حتى خرجتْ من قفاه ونُكس عن دابته واستدارت

الحبشة ولابث به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابها قال لا يدخل رايتي منكسة ابدا اهدموا الباب فهُدم ثم دخلها ناصبا رايته وقال في ذلك ابو الصلت بن ابى ربيعة الثقفى ويُروى لابنه امية بن ابى الصلت

لنطلب الوتر امثال ابن ذى يزن * ريّم فى البحر للأعداء أحوالا
حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم * انك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درّهم من عُصبة خرجوا * ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة غُلبا أساورةً * أُسْدا تربّب فى الغيضات أشبالا
أرسلت أُسْدا على سُود الكلاب فقد * أضحى شريدُهم فى الأرض فُلّالا
فاشربْ هنيئا عليك التاجُ مرتفعا * فى راس غُمْدان دارا منك محْلالا
واشربْ هنيئا فقد شالتْ نعامتُهم * وأَسْبِل اليوم فى بُرديك إسبالا
تلك المكارمُ لا قعْبان من لبنٍ * شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

واقام وهرز فى الفُرس باليمن فمن بقية ذلك الجنس من الفرس

الأبناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن منذ دخلها أرباط الى ان أخرجهم الفرس عنها في اثنين وسبعين وفي ما ذكره سطيح وشق في تاويل رؤيا ربيعة بن نصر ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان ثم مات فأمر كسرى ابن التينجان ثم نزله وولّى باذان فلم يزل عليها حتى بعث الله محمد صلعم فلما بلغ مبعثه كسرى كتب الى باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبيّ فسر اليه فاستتبه فإن تاب والاّ فابعث الىّ براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلعم فكتب اليه رسول الله صلعم ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى على يدي ابنه شيرويه في اليوم الذي قال رسول الله صلعم فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلعم فقالت الرسل من الفرس الى من نحن يا رسول الله قال انتم منّا والينا اهل البيت

قال الزهرى فمن ثمّ قال رسول الله صلعم سَلْمانُ منّا أهلَ البيت

وكل هذه الأخبار وإن قطعتْ بعض ما كنّا بسبيله من امر بني قُصَىّ فلها ايضا من الافادة بنحو ما قصدناه وحُسْن الأمتاع بالشأن المُناسب لِما اعتمدناه ما يُحسِن اعتراضها وينظم فى سلك واحدٍ مع ما مرّ من ذلك او يأتى اغراضها وعاينا بمعونة الله فى تجديد الترتيب لذلك كله تطبيق المفصل وردّ هذه الأحاديث المفرّقة فى حكم الحديث المتّصل فنطيل ولا نملّ ونقصّر فلا نخلّ كل ذلك ببركة المختار الذى يمّمْنا تخليد أوّليّته ونيّمْنا اظهار أوليته وقصدنا خدمة أثاره وسيرته صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين وصحابته وكنّا انتهينا من شأن بنى قُصَىّ بعده الى ما تراضوا به بينهم من الصلح على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتكون حجابة البيت واللواء والندوة لبنى عبد الدار على نحو ما جعله قُصَىّ الى ابنهم

وولّى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف وذلك ان عبد شمس كان رجلا سفّاراً قلّ ما يُقيم بمكّة وكان مُقِلاًّ ذا ولدٍ كثير وكان هاشم موسِراً وكان فيما يزعمون اذا حضر الحجّ قام صبيحةَ هلال ذى الحجّة

فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها فيحض قومه على رفادة الحاج التي سنّها لهم قصيّ ويقول لهم في خطبته يا معشر قريش انتم سادة العرب وأحسنها وجوهاً وأعظمها احلاماً وأوسط العرب انساباً وأقرب العرب بالعرب ارحاماً يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصّكم بجواره دون بني اسماعيل حفظ منكم أحسن ما حفظ جارٌ من جاره انه يأتيكم في هذا الموسم زوّارُ الله يعظّمون حرمة بيته فهم ضيفُ الله وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفُه فأكرموا ضيفه وزوّاره فانهم يأتون شعثاً غُبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أزحفوا وأرملوا فأقروهم وأغنوهم فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتُكموه وأنا مخرجٌ من طيب مالي وحلاله ما لم تُقطع فيه رحمٌ ولم يُؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعله وأسألكم بحرمة هذا البيت ألّا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم الا طيبا لم يُقطع فيه رحمٌ ولم يُؤخذ غصبا فكانت بنو كعب بن لؤي وسائر قريش يجتهدون في ذلك ويترافدون عليه ويخرجون ذلك من أموالهم حتى دانوا به

هاشم بن عبد مناف فصنعه في داره حتى ان كان اهلُ المشرق ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم يُخرِج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش اهل يسار وربّما أرسل كل انسان منهم بمائة مثقال هرقلية وكان هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل في موضع زمزم من قبل ان تحفر ثم يُستقى فيها من الآبار التي بمكّة فيشرب الحاجّ وكان يُطعمهم اوّل ما يُطعِمهم بمكّة قبل التروية بيوم ثم بمنًى وبجمع وعرفة يثرد لهم الخُبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء فيُطعِمهم ويُسقيهم حتى يصدروا

وكان اسم هاشم عمرا ويقال له عمرو العُلى وانما سُمّي هاشما لهشمه الخبز بمكّة لقومه وهو فيما يذكرون اول من سنّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وفي ذلك يقول بعض شعرائهم

عمرو العُلى هشم الثريد لقومه * قوم بمكّة مُسنتين عجاف

سُنّت اليه الرحلتان كلاهما * سفرُ الشتاء ورحلةُ الأصياف

وذلك ان قريشا كانوا قوماً تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكّة انما تقدم

عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ويتبايعون فيما بينهم ويبيعون
ممّن حولهم من العرب فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم الى الشام
وكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو مَن حوله فيأكلون
وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم الى شرف نفسه وكرم
فعاله فذُكر لقيصر فدعا به فلما رآه وكلّمه أعجب به وأدناه فلما رأى
هاشم مكانه منه طلب منه امانا لقومه ليقدموا بلاده بتجارتهم فأجابه
الى ذلك وكتب لهم قيصر كتاب امان لمن أتى منهم فأقبل هاشم
بذلك الكتاب فكلّما مرّ بحيّ من أحياء العرب أخذ من أشرافهم
ايلافا لقومه يأمنون به عندهم وفي أرضهم من غير حِلف انما هو امان
الطريق وانه وفي اخذ ذلك ممّن بين مكّة والشام فأتى قومه
بأعظم شيء أتوا به قطّ بركة فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم
معهم ليوفي بهم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب فلم يزل يوفيهم اياه
ويجمع بينهم وبين العرب حتى قدم بهم الشام فهلك هاشم في
سفرة تلك بغزّة من ارض الشام وكان اول بني عبد مناف هلكا

وخرج المطّلب بن عبد مناف وهو يسمى الفيض لسماحته وفضله

الى اليمن فأخذ من ملوكهم اماناً لمن تجر من قومه الى بلادهم ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن كان على طريقه من العرب كما فعل اخوه هاشم حتى أتى مكّة ثم رجع الى اليمن فمات بردمان

وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى ملك الحبشة فأخذ منه اماناً كذلك لمن تجر من قريش الى بلاده ثم اخذ الايلاف من العرب الذين على الطريق حتى بلغ مكة وتوفّي بها فقبره بالحجون

وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد ابيه الى العراق فأخذ عهداً من كِسرَى لتجار قريش ثم أقبل ياخذ الايلاف ممن مرّ به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع الى العراق فمات بسلمان من ناحية العراق فجبر الله قريشاً بهولاء النفر الأربعة من بني عبد مناف فنمتْ اموالهم واتّسعتْ تجارتهم فكان بنو عبد مناف يسمّون لأجل ذلك المجبرين والعرب تسمّيهم أقداح النضار لطيب أحسابهم وكرم فعالهم

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيهم جمعاً حين أتاه نعيّ نوفل منهم وكان آخرهم مُلكاً

يا ليلةً هيّجتِ لبلابي * إحدى ليالي العتابِ

ومـا أقاسي من هموم وما * عاينتُ من رُزء المصاب

إذا تذكّرتُ أخي نوفلاً * ذكّرني بالأوّلتاب

ذكّرني بالأُزر الحُمْرِ والـ * أردية الصُّفْر القشاب

أربعةٌ كلّهمُ سيّدٌ * أبناء ساداتٍ لسادات

ميْتٌ بردمان وميْتٌ بسلـ * ـمان وميْتٌ دون عزّاب

وميّتٌ أسكن لحداً لدى * المحجون شرقيّ النِّصاب

أخلصهم عبدُ مناف فهُم * من لوم من لام بمَنْجاب

إنّ المُغيرات وأبناءها * من خير أحياءٍ وأموات

وإنما سمّاهم المُغيرات لأنّ عبد مناف أباهُم كان اسمه المغيرة فقيل المطرود فيما يزعمون لقد قلت فأحسنتَ ولو كان أفحل مما هو كان أحسن فقال انظروني ليالي فمكث أياما ثم قال

يا عين جُودي وأذري الدمع وانهمري * وابكي على السرّ من كعب المُغيرات

يا عين واستحفري بالدمع واحتفلي * وابكي حبيبة نفسي في المُلِمّات

وابكي على كل قنّاص أخى نعبٍ * ضخم الدسيعه وقّاب الكريهات

محض الضريبه عالى الهمّ محتلقٍ * جلد المحصره ناءٍ بالعظيمات

صعب البديهه لا نكسٍ ولا وكلٍ * ماضي العزيمه متلاف الكريمات

صقرٍ توسّط من كعبٍ اذا نسبوا * بحبوحة المجد والسمّ الرفيعات

ثم اتّدى القنص والقنّاص مطلبا * واستجوط بى بعد فصاب نخقات

أمسى بوثمان عنّا اليوم مغتربا * يا لهف نفسي عليه دون أموات

وابكى لتلك الوبل إمّا كنت باكية * لفقد شمس تشرقى الشهّات

وهاشم فى ضريح وشط بلقعة * تسفي الرياح عليه بين غزّات

ونوفلٍ كان دون القوم خالصتى * أمسى بسلمان فى رمس بموماة

لم القَ مثلهم عجما ولا عربا * اذا استقلّت بهم أدم المطيّات

أمست ديارهم منهم معطّلة * وقد يكونون زينا فى السريّات

أفناهم الدهر ام كلّت سيوفهم * ام كل من عاش ازواد المنيّات

أصبحت ارضى من الأقوام بعدهم * بسط الوجوه وإلقاء التحيّات

ياعين وابكى ابا الشعث الشجّات * يبكينه حسّرا مثل البليّات

يبكين أكرمَ من يمشي على قدمٍ * يُعْوِلْنَه بدموع بعد عَبْرات

يبكين شخصاً طويلَ الباع ذا فَخَرٍ * آبي الهضيمة فرّاجَ الجليلات

يبكين عَمْرو العُلا اذ حان مَصْرَعُهُ * سَمْحَ السجيّة بسّامَ العشيّات

يبكينه مُستكينات على حَزَنٍ * يا طُول ذلك من حُزْنٍ وعَولات

يبكين لمّا جلاهُنّ الزمانُ له * خُضْرَ الخُدود كامثال الحميّات

محتزمات على اوساطهنّ لما * جرّ الزمانُ من احداث المصيبات

أبيتُ ليلى أراعى النجمَ من ألَمٍ * ابكى وبكى معى شَجْوِى بُنيّات

ما فى القُروم لهم عِدْلٌ ولا خَطَرٌ * ولا لمن تركوا شَرْوَى بقيّات

أبناؤهم خيرُ أبناءٍ وأنفسُهم * خيرُ النفوس لدى جَهْدِ الأليّات

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ * ومن طِمِرّةٍ نَهْبٍ فى طِمِرّات

ومن سيوفٍ من الهندىّ مُخْلَصةٍ * ومن رماحٍ كأشطان الركيّات

ومن سوابغ مما يُفضِلون بها * عند المسائل من بذل العطيّات

فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معى * لم أحْصِ أفعالَهم تلك الهَنيّات

هُمُ المُدِلّون إمّا مَعْشَرٌ فخروا * عند الفخار بأنساب نقيّات

زينُ البيوت التى خلّوا مساكنَها * فأصبحَتْ منهـمُ وَحْشاً خاليات
أقـول والعيـن لا ترقى مدامعُها * لا يُبعِد الله أصحابَ الرربَّات

وكان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدينة فتزوّج بها سَلمَى بنت عمرو احد بنى عدى بن النجّار وكانتْ قبله عند أُحَيحة بن الجُلاح فيما ذكر ابن اسحاق قال وكانتْ لاتنكح الرجالَ لِشرفها حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها إن كرهتْ رجلاً فارقته فولدتْ لهاشم عبد المطّلب فسمّته شَيبَة فتركه هاشمٌ عندها حتى كان وصيفاً او فوق ذلك ثم خرج اليه عمّه المطّلب ليقبضه فيُلحِقه ببلده وقومه فقالتْ له سَلمَى لستُ بمُرسلة معك فقال لها المطّلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى انّ ابن اخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن اهل بيت شرف فى قومنا نَلِى كثيراً من أمورهم وقومُه وعشيرتُه وبلدُه خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم اوكما قال وقال شيبة لعمّه المطّلب فيما يزعمون لستُ بمفارقها الا ان تأذنَ لى فأذنتْ له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكّة مُردِفَه على بعيره فقالتْ قريشٌ عبدُ المطّلب

اىماعه فيها سُمّى شيبة عبد المطّلب فقال المطّلب . نحكم انما هو ابن اخى هاشم قدمت به من يثرب

وذكر الزبير ان شيبة انما سُمّى عبد المطّلب لان عمّه المطلب لما قدم به من يثرب ودخل به مكّة ضحوةً مُردفه خلفه والناس فى أسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحّبون به ويقولون من هذا معك فيقول عبدٌ لى ابتعتُه بيثرب فلما كان العشية ألبسه حلّة ابتاعها له ثم أجلسه فى مجلس بنى عبد مناف وأخبرهم وخبره فجعل بعد ذلك يخرج فى تلك الحلّة فيطوف فى سكك مكّة وكان أحسن الناس فيقولون هذا عبد المطّلب لقول المطلب فيه ذلك فلجّ اسمه عبدُ المطلب وتُرك شيبةُ وكان يقال لعبد المطلب شيبة الحمد وانما سمّى شيبة لانه كانت فى ذؤابته شعرة بيضاء

ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون من أمره فيهم وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه احدٌ من آبائه وأحبه قومه وعظم خطرُه فيهم ويقال كان يُعرف فى وجه عبد المطلب نور النبوة وهيبة الملك

قال الزبير ومكارم عبد المطلب اكثر من ان أُحيط بها كان سيّد
قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً و بهاءً وفعالاً وكمالاً فصلّى الله
على المنتخب من ذريته المخصوص بأولية الفخر وأخريته وعلى
آله الأكرمين وعترته وسلّم تسليماً

***

ذكر حفر عبد المطلب زمزم

وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

قد تقدّم الخبر عن زمزم انها بئر اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام
التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير وكانت جُرْهُم دفنتها حين ظعنوا
من مكة بين صمئ قريش إساف ونائلة عند منحر قريش فبقي امرها
كذلك الى ان أُمِرَ عبد المطلب بن هاشم بحفرها

فذكر ابن اسحاق وغيره من حديث علي بن ابي طالب رضه
قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آتٍ فقال احفر طيبه
قلت وما طيبه ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعتُ الى مضجعي
فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونه قلت وما المضنونه ثم ذهب
عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر
زمزم قلت وما زمزم قال لا تُنزف ابدا ولا تُذمّ، تسقي الحجيج الاعظم،
وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم، عند قرية النمل

فلما بُيّن له شانها ودُلّ على موضعها وعرف انه قد صُدِق غدا بمِعوَله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولدٌ غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطيّ كبّر فعرفتْ قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل وانّ لنا فيها حقّا فأشرِكنا معك فيها قال ما أنا بفاعلٍ انّ هذا الأمر خُصِصتُ به دونكم وأُعطِيتُه من بينكم قالوا له فأنصِفنا فانّا غير تارِكيك حتى نخاصمك فيها قال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمْكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هُذَيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض اذ ذاك مَفاوِز قال فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه وظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا مَن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انّا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوّف على نفسه وأصحابه قال ما ذا ترون قالوا ما رأينا الا تَبَعٌ لرأيك فمُرْنا بما شئت قال فانّى أرى ان تحفروا كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة فكلّما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلًا فضَيْعَةُ رجل واحد أيسرُ من ضيعة ركب جميعاً قالوا نِعْمَ ما أمرت به فقام كل رجل منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لأصحابه والله انّ القاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لعَجْزٌ فعسى الله ان يرزقنا ماءً ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدّم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرتْ من تحت خُفّها عينٌ من ماءٍ عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلمّ الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قُضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك

فى زمزم أبداً انّ الذى سقاكِ الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاكِ زمزمَ فآرجع الى سقايتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها

وفى غير حديث على بن ابى طالب رضه ان عبد المطلب قيل له حين أُمِر بحفْر زمزم

ثم ادْعُ بالماء الرَّواء غير الكَدِر

تَسقى حجيجَ الله فى كل مَبَرّ * ليس يُخاف منه شىءٌ ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أُمرتُ ان أحفر زمزم قالوا فهَلْ بُيّن لك أين هى قال لا قالوا فآرجعْ الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقّاً من الله يُبيّن لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأُتِى فقيل له احفْر زمزم انّك إن حفرتَها لم تَندَمْ ، وهى تُراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تُنزَف أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، يُنذَرُ فيها ناذرٌ لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين

الفرث والدم ، وزعموا انه حين قيل له ذلك قال وأين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغرابُ غدا فغدا عبد المطلب ومعه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين إساف ونائلة الذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر فقامت اليه قريش حين رأوا جدّه فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين الذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث ذبّ عنّي فوالله لأمضينّ لما أُمرتُ به فلما عرفوا انه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر وكفّوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطيّ فكبّر وعرف انه قد صُدق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جُرهُم فيها حين خرجت من مكّة ووجد فيها أسيافا قلعيّة وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شِرك وحقّ قال لا ولكن هلمّ الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال أجعلُ للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على

شيء كان له ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفتَ فجعل قدحين أصفرين للكعبة وجعل قدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح الذى يضرب بها عند هُبَل وهبل صنم فى جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم وهو الذى عنى ابو سفيان بن حرب لمّا نادى يوم أُحُد أعْلُ هبل اى اظهرْ دينك وقام عبد المطلب يدعو الله وضرب صاحبُ القداح فخرج الأصفرين على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلّف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أوّل ذهب حُليته الكعبةُ فيما يزعمون

وذكر الزبير ان عبد المطلب لما أنبط الماء فى زمزم حفرها فى القرار ثم بحرها حتى لا تنزف ثم بنى عليها حوضاً فطفق هو وابنه ينزعان عليها فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج وكان قوم حَسَدَة من قريش لا يزالون يكسرون حوضه ذلك بالليل ويغتسلون فيه فيُصلحه عبد المطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبد

المطلب ربّه فقيل له في المنام قل اللهمّ انّي لا أُحِلّها لِمغتسل وهي لِشارب حِلّ وبلّ فقام عبد المطلب في المسجد فنادى بالذي رأى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه احدٌ من قريش او يغتسل فيه الّا رُمِيَ في جسده بِداءٍ حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته فرقاً

وذكر الزبير ايضا ان عبد المطلب لما حفر زمزم وأدرك منها ما ادرك وجدت قريش في انفسها ممّا أُعطِي فلقيه خُوَيلد بن اسد بن عبد العُزّى فقال يا ابن سَلمَى لقد سُقِيتَ ماءً رِغدا ونثلت عادِيَةً حُشُداً قال يا ابن اسد أمَا انّك تشرك في فضلها والله لا يساعفني احدٌ عليها ببِرّ ولا يقوم معي بأزر الّا بذلتُ له خير الصهر فقال خويلد بن اسد

أقول وما قولي عليهم بِسُبّةٍ * اليك ابن سَلمَى انت حافِرُ زَمْزَمِ

حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركْضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب ما وجدتُ أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد

ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة وكانت خارجاً من مكة آبار حفائر قديمة من عهد مُرّة بن كعب وكلاب بن مرّة وكبراء قريش الاوّل منها يشربون فعفّت زمزم على تلك البئار التي كانت قبلها يسقي عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب

وكان عبد المطلب فيما يزعمون والله اعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن وُلِد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لَينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء به فأطاعوه وقالوا كيف تصنع قال ليأخذْ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم آئتوني ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة وكان هبل على بئر في جوف الكعبة يُجمَع فيها ما يُهدَى للكعبة وكان عند هبل قِداحٌ سبعة بها يضربون على ما يريدون والى ما تخرج به

القداح يضربون في أمورهم فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب
على بنيّ هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر وأعطى كل رجل
منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أحبّ
بني أبيه إليه فيما يزعموا فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا
أخطأه فقد أشوى فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام
عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحبُ القداح فخرج
القداح على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به
إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا ماذا
تريد يا عبد المطلب قال أذبحُه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه
أبدا حتى تُعذِر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه
فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
وكان عبد الله ابن أخت القوم أمه وأمّ أخويه الزبير وأبي طالب
فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن عائذ بن عمر بن
مخزوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا
فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز فإنّ

بها عرّافةٌ لها تابعٌ فتسئلها ثم انت على راس امرك إن أمَرَتْك
بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرجٌ قبلته
فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخَيْبَرَ فركبوا
حتى جاءوها فسألوها وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما اراد
به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عنّي اليوم حتى ياتيني تابعي
فأسئله فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب
يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فبكم
قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم
قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح
فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم
وإن خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم
فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد
المطلب يدعو الله ثم قرّبوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب
عند هبل يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا
من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا

فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل وما زالوا كذلك يزيدون عشرا فعشرا من الابل ويضربون عليها كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش قد انتهى رضى ربّك يا عبد المطلب فزعموا ان عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرّات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية والثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح في كلتيهما على الابل فنُحرت ثم تُركت لا يُصدّ عنها انسانٌ ولا يُمنع ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمرّ به فيما يزعمون على امرأة من بنى اسد بن عبد العُزّى وهى اخت ورقة بن نوفل بن اسد وهى عند الكعبة

قال الراوى وكان عبد الله احسن رجل رؤى في قريش قط فقالت له حين نظرت الى وجهه اين تذهب يا عبد الله قال مع ابى قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع علىّ الآن قال انا مع ابى لا استطيع خلافه ولا فراقه

فخرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن
زهرة بن كلاب بن مرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة سنا وشرفا فزوجه
ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ افضل امراة فى قريش نسبا
وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين املكها مكانه فوقع عليها
فحملت برسول الله صلعم ثم خرج من عندها فأتى المراة التى عرضت
عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علىّ اليوم ما عرضت
بالامس قالت له فارقك النورُ الذى كان معك بالامس فليس
لى بك اليوم حاجةٌ وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل
وكان قد تنصّر واتّبع الكتب انه كائن فى هذه الامّة نبىّ وقيل
ان عبد الله انما دخل على امراة كانت له مع آمنة ابنة وهب وقد
عمل فى طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فأبطأت عليه
لما رأت به من اثار الطين فخرج من عندها فتوضّأ وغسل ما كان
به من ذلك ثم خرج عامدا الى آمنة فمرّ بها فدعته الى نفسها
فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد
رسول الله صلعم ثم مرّ بامراته تلك فقال لها هل لك قالت

لا مررتَ بي و بين عينيك غـرّةٌ فدعوتُك فأبيتَ ودخلتَ على آمنة فذهبتْ بها فزعموا ان امرأته تلك كانت تحدّث انه مرّ بها وبين عينيه مثل غـرّة الفَرَس قالت فدعوتُه رجاء ان تكون تلك لي فأبى عليّ ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلعم فكان رسول الله صلعم أوسط قومه نسباً وأعظمهم شرفاً من قبل ابيه وأمّه ويزعمون فيما يتحدّث الناس والله اعلم ان أمّه كانت تحدّث انها أُتِيَتْ حين حملتْ به فقيل لها انكِ قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة فاذا وقع الى الارض فقولي أُعيذُه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، ثم سَمّيه محمداً، ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ابو رسول الله صلعم ان هلك وأمّه حامل به هذا قول ابن اسحاق وخالفه كثير من العلماء فقالوا ان النبي صلعم كان في المهد حين توفي ابوه ذكره الدولابي وغيره

وذكر ابن ابي خيثمة انه كان ابن شهرين وقيل اكثر من ذلك والله اعلم

وولد رسول الله صلعم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت
من شهر ربيع الاول عام الفيل قيل بعد الفيل بخمسين يوما

وحكى الواقدى عن سليمان بن سُحيم قال كان بمكّة يهودى يقال
له يوسف فلما كان اليوم الذى وُلد فيه رسول الله صلعم قبل ان يعلم
به احدٌ من قريش قال يا معشر قريش قد وُلد نبى هذه الامّة فى
بحّرتكم هذه فى بلدتكم هذه الليلة وجعل يطوف فى انديتهم فلا يجد
خبراً حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له وُلد لابن
عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة

وقال حسان بن ثابت والله انى لَغلام يَفَعَةٌ ابنُ سبع سنين
او ثمان أعقِلُ كلّما اسمع اذ سمعتُ يهودياً يصرخ على أُطُمة
بيَثْرِب يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا قالوا له ويلك ما لك
قال طلع الليلة نجم احمد الذى وُلد به

ويذكر ابن السكن من حديث عثمان بن ابى العاصى عن امّه
فاطمة بنت عبد الله انها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله

صلعم ليلاً قالت وما شئ انظر اليه من البيت الا نورٌ وانى لأنظر الى النجوم تدنو حتى انى لأقول ليقعنّ علىّ

وذكر بقىّ بن مخلد فى تفسيره ان ابليس رنّ اربع رنّات رنّة حين لُعن ورنّة حين أُهبط ورنّة حين وُلد رسول الله صلعم ورنّة حين أُنزلت فاتحة الكتاب

قال ابن اسحاق فلما وضعته أمّه أرسلتْ الى جدّه عبد المطلب انه قد وُلد لك غلام فأْتِه فانظرْ اليه فأتاه ونظر اليه وحدّثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمِرَتْ ان تُسمّيَه

فيزعمون ان عبد المطلب اخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكّر له ما اعطاه ثم خرج به الى أمّه فدفعه اليها

ويروى ان عبد المطلب انما سمّاه محمدا لرؤيا رآها زعموا انه أُرى فى منامه كأنّ سلسلة من فضّة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنّها شجرة على كل ورقة منها نورٌ وإذا اهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها فعُبّرت له بمولود يكون من صُلبه يتبعه اهل

المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سمّاه محمداً مع ما حدثته به أمّه ولا يُعرف في العرب احدٌ تُسمّى بهذا الاسم قبله سوى نفر سمّوا به من اجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن أُحَيحة بن الجلاح وآخر من ربيعة وكان أباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك ممّن كان عنده علمٌ بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي صلعم وتقارُب زمانه وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ذَكَرٌ ان يسمّيه محمداً ففعلوا ذلك رجاءً ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته

وقد وقع في موضع اخر ان هؤلاء النفر كانوا اربعة ولم يذكر فيهم محمد بن أحيحة وحديثهم مخالف لما ذكرناه خلافاً يسيرا

وروينا من حديث عبد الملك بن ابي سَوِيّة عن ابيه عن جدّه قال سألتُ محمد بن عديّ بن ربيعة كيف سمّاك ابوك محمداً فقال سألتُ ابي عمّا سألتني عنه فقال خرجتُ رابعَ اربعة من بني تميم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن دارم وأسامة بن

مالك بن جندب ويزيد بن ربيعة نريد ابن جفنة ملك غسان
فلما شارفنا الشام نزلنا الى غدير عليه شجرات وقربه شخص قائم
فتحدثنا فاستمع كلامنا وأشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي
لغه اهل هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مُضَر قال من اى المضريين
قلنا من خِندِف قال اما انه يُبعث فيكم وشيكاً نبىٌّ خاتم النبيين
فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فقلتُ له ما اسمه قال
محمد فرجعنا من عند ابن جفنة فوُلد لكل رجل منا ابنٌ فسمّاه محمداً
والتمس لرسول الله صلعم الرُضَعاء فاسترضع له امرأةٌ من بنى
سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت ابى ذُؤَيب وكانت تحدّث انها
خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه فى نسوة من بنى
سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وفى سنة شهباء لم تُبق لنا شيئاً
قالت فخرجتُ على أتانٍ لى قمراء معنا شارفٌ لنا والله ما تبضّ بقطرة
وما ننام ليلنا اجمع مع صبيّنا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى
ثديَىّ ما يُغنيه وما فى شارفنا ما تُغذّيه ولكنّا نرجو الغيثَ والفرج
فخرجتُ على اتانى تلك فلقد أدمتُ بالركب حتى شق ذلك

علىهم صُ ءْ ها وعجعاً حىى ودمىا مكّىه ىلىمس الرصعاء فما مىّىا امرأه
الا وقد عُرِص علىها رسـول الله صلعـم و ىأىـاه اذا قىـل لها انه ىىـمٌ
وذلـك أتـا اىما كـىّا ىرجو المعـروف من اىى الصىىّ فكـىّا ىقول
ىىـمٌ ما عسـى ان ىصىـع امّـه وجـدّه فـكـىّا ىكـرهـه لـذلـك فما
ىقىت امراه قدمتْ معى الا أخذت رصىعاً عىرى فلما احمعىا الانطلاق
قلتُ لصاحبـى والله انى لأكرَهُ ان ارجـع من ىىن صواحبـى ولم
آخذ رصىعاً والله لاذهبـنّ الى ذلـك الىىىم فلآخذنّـه قال لا علىـك
ان ىفعـلى عسى الله ان ىجعـل لىا فىه ىركه قالت فذهبتُ الىه
فاخذتُه وما حملىى على أخْذه الا انى لم اجد عىره فلما اخذتُه رجعتُ
ىه الى رحْلى فلما وصعتُه فى حجرى اقىل علىه ثدْىاىَ ىما شاء من لىن
فشـرب حىى روى وسرب معه اخوه حىى روى ىم ىاما وما كىّا ىىام
معه قىل ذلـك وقـام روجـى الى ىارقىـا ىلـك فـاذا انها لحافـلّ
فحلب مىها ما سرب وشربـتُ حىى اىتهىىا رىّـا وسِىعا ىه ىىىا ىحىر
لىلـىه ىقول صاحبـى حىن اصىحىا ىعلّمِى والله ىا حلىمه لقد اخـذت
ىسمه مىاركه قلتُ والله انى لأرجو ذلـك ىم خرجىا وركىتُ اىانى

وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليّ شيء من
حُمُرهم حتى ان صواحبي ليَقُلن لي يا بنت ابي ذُؤيب ويحك
اربعي علينا أليست هذه اتانك التي كنت خرجتِ عليها فأقول
لهنّ بلى والله انها لهي فيَقُلنَ والله ان لها لشأناً قالت ثم قدمنا
منازلنا من بني سعد وما اعلم ارضاً من ارض الله أجدب منها فكانت
غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شِباعاً لُبّاناً فنحلب ونشرب وما
يحلب انسان قطرةً من لبن ولا يجدها في ضرْع حتى كان الحاضر
من قومنا يقولون لرُعيانهم وَيْلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي
ذؤيب فتروح اغنامُهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبّانا
فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سَنَتَاه و فصلتُه
وكان يشبّ شباباً لا يشبهه الغلمانُ فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً
جفْراً فقدمنا به على امّه ونحن أحرصُ شيءٍ على مكثه فينا لما كنّا نرى
من بركته فكلّمنا امّه وقلتُ لها لو تركتِ بنيّ عندي حتى يغلظ
فاني اخشى عليه وباء مكّة فلم نزل بها حتى ردّته معنا فرجعنا به فوالله
انه بعد مقدمنا به بأشهُر مع اخيه لفي بهْمٍ لنا خلف بيوتنا اذ اتانا

أخوه يشتدّ فقال لي ولأبيه ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعًا وجْهُه قالت فالتزمتُه والتزمه أبوه فقلنا ما لك يا بُنيّ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقّا بطني فالتمسا فيه شيئا ما أدري ما هو قالت فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمّه فقالت ما أقدمك به يا ظئر ولقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلتُ قد بلغ اللهُ بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوّفت الأحداث عليه وأدّيتُه إليك كما تُحبّين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتُها قالت أفتخوّفت عليه الشيطانَ قلتُ نعم قالت كلّا والله ما للشيطان عليه سبيلٌ وإن لبُنيّ لشأنا أفلا أخبرُك خبره قالت بلى قالت رأيتُ حين حملتُ به أنه خرج منّي نورٌ أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام ثم حملتُ به فوالله ما رأيت

من حمل قط كان اخف ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالأرض رافع راسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة

ويروى ان نفرًا من اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورات امى حين حملت بى انه خرج منها نورٌ أضاء لها قصور الشام واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهمًا لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمّته فوزننى بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امّته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من امّته فوزننى بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بأمّته لوزنها

وكان رسول الله صلعم يقول ما من نبىّ الا وقد رعى الغنم قيل وانت يا رسول الله قال وانا وكان يقول لأصحابه انا أعربكم انا قرشىّ واسترضعت فى بنى سعد بن بكر

وزعم الناس فيما يتحدّثون والله اعلم ان امّه السعدية لما قدمت به مكّة أضلّها في الناس وهي مُقبِلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فأتت عبدَ المطلب فقالت له اني قدمتُ بمحمّد هذه الليلة فلما كنتُ بأعلى مكّة أضلّني فوالله ما ادري اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يردّه فيزعمون انه وجده وَرَقَةُ بن نوفل ورجلٌ آخر من قريش فأتيا به عبدَ المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة ويعوّذه ويدعو له ثم ارسل به الى امّه آمنة

وذكر بعض اهل العلم ان ممّا هاج امّه السعدية على ردّه مع ما ذكرتْ لامّه مما اخبرتْها عنه ان نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسالوها عنه وقلّبوه ثم قالوا لها لنأخُذَنّ هذا الغلام فلنذهبَنّ به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلامٌ كائنٌ له شأنٌ نحن نعرف امره فلم تَكَدْ تنفلت به منهم

وذكر الواقدي ان امّه حليمة السعدية بعد ان رجعت به من عند امّه حضرت به سُوقَ ذي المجاز وبها يومئذ عرّاف من هوازن يؤتى

اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلعم والى الحُمرة في عينيه والى خاتم النبوّة صاح يا معشر العرب فاجتمع اليه اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبيّ وانسلّت به حليمة فجعل الناس يقولون ايّ صبيّ هو فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا وقد انطلقت به امّه فيقال له ما هو فيقول رايت غلاماً وآلهته ليغلبنّ اهل دينكم وليكسرنّ أصنامكم وليظهرنّ أمْرَه عليكم فطُلب بعكاظ فلم يوجد ورجعت به حليمة الى منزلها فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس واذ نزل بهم عرّاف فأخرج اليه صبيان اهل الحاضر وأبت حليمة ان تخرجه اليه الى ان غفلت عن رسول الله صلعم فخرج من المظلّة فرآه العرّاف ودعاه فأبى رسول الله صلعم ودخل الخيمة فجهد بهم العراف ان يخرج اليه فأبت فقال هذا نبيّ

وقد عرضه عمّه ابو طالب على عائف من لهب كان اذا قدم مكه اتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فأتاه به ابو طالب وهو غلام مع من ياتيه فقال فنظر الى رسول الله صلعم ثم شغله عنه شيء فقال ابن الغلام عليّ به فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيّبه عنه فجعل

يقول ويلكم ردّوا عليّ الغلام الذي رايتُ آنفاً فوالله ليكوننّ له شأن وانطلق به ابوطالب

وكانت حليمة بعد رجوعها به من مكّة لا تَدَعُهُ ان يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه يوماً في الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت في هذا الحرّ فقالت اختُه يا امّاه ما وجد اخي حرّاً رايتُ غمامةً تظلّه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع تقول امّها احقّ يا بُنيّة قالت اى والله قال تقول حليمة اعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني

وكان ابن عباس رضه يقول رجع الى امّه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول رُدّ اليها وهو ابن اربع سنين هذا كلّه من الواقدى

قال ابن اسحاق فكان رسول الله صلعم مع امّه آمنة وجدّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ويُنبته الله نباتاً حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلعم ست سنين توفّيت امّه بالأبواء بين مكّة والمدينة وكانت قد قدمت به على اخواله من بني عدى بن النجّار تُزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكّة وكان رسول الله

صلعم مع جدّه عبد المطلب وكان يُوضَع لعبد المطّلب فراش في ظلّ الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احدٌ من بنيه اجلالاً له فكان رسول الله صلعم ياتي وهو غلام جفرٌ حتى يجلس عليه فياخذه اعمامُه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب اذا راى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأناً ثم يُجلِسه معه عليه ويمسح ظهَره بيده ويسرّه ما يراه يصنع

قالوا وكانت أم أيمن تحدّث تقول كنتُ أحضن رسول الله صلعم فغفلتُ عنه يوما فلم أدرِ الا بعبد المطلب قائماً على راسي يقول يا بركة قلتُ لبّيك قال أتدرين اين وجدتُ ابني قلتُ لا ادرى قال وجدتُه مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فانّ اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبيّ هذه الامّة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا ياكل طعاما الا قال عليّ بابني فيُؤتَى به اليه

وحدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه انهم خرجوا عمّاراً وعبد المطلب يومئذ حيّ بمكّة ومعهم رجل من يهود تيماء صحبهم للتجارة يريد مكّة واليمن فنظر الى عبد المطلب فقال انّا نجد في

كتابنا الذي لم يبدل انه يخرج من صحيفتي، هذا شيء بعلمنا وقومه قبل عاد

وجلس عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران وكان صديقا له وهو يحادثه ويقول انا نجد صفة نبيّ بقي من ولد اسمعيل هذا مولده من صفته كذا وكذا وأتى رسول الله صلعم على هذا الحديث فنظر اليه الأسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه فقال هو هذا فقال الأسقف ما هذا منك قال ابني قال الأسقف لا ما نجد اباه حيّاً قال عبد المطلب هو ابن ابني مات ابوه وامّه حُبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه

وخرج رسول الله صلعم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الرّدم فرآه قوم من بني مُدْلج فدعوه فنظروا الى قدميه والى اثره ثم خرجوا في طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا منك قال ابني قالوا فاحتفظ به فانا لم نر قدما قطّ أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمعْ ما يقول هولاء فكان ابو طالب يحتفظ به

وقد روى ابو داوود السجستاني من حديث ابن عباس رضه قال
ان نفرا من قريش اتوا امرأة كاهنة فقالوا اخبرينا بأقربنا شبهاً بصاحب
هذا المقام قالت ان جررتم على السهلة عباءةً ومشيتم عليها أنبأتكم
بأقربكم شبها به فجرّوا عليها عباءةً ثم مشوا عليها فرأت أثر قدم محمد
صلعم فقالت هذا والله اقربكم شبها به

قال ابن عباس فمكثوا بعد عشرين سنة ثم بُعث محمد صلعم

ولما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد النبي
صلعم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته وتمدحه ويذكرون
ما كان من حسن بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد
المطلب بن هاشم في اناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء
فأذن لهم فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه واستأذنه في الكلام
فقال ان كنت ممن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك
فقال عبد المطلب ان الله قد احلّك ايها الملك محلاً رفيعا صعبا
منيعا شامخا باذخا وأنبتك نباتا طابت أرومته وعزّت
جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم موطن وأطيب

معدن، وأنت ايها الملك راسُ العرب الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومَعقِلها الذي اليه يلجأ العباد، سلفُك خير سلف، وأنت لنا منه خير خلف، فلن يهلك من انت سلفه، ولن يهلك من انت خلفه، نحن ايها الملك اهلُ حرمِ الله وسدنة بيته، اشخصنا اليك الذي ابهجنا، لكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفدُ التهنئة، ولا وفد المرزئة، فقال له سيف وأيّهم انت ايها المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم قال ادْنُه فأدناه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال لهم مرحبا وأهلاً قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وانتم اهل الليل والنهار فلكُم الكرامة ما أقمتم والحِباء اذ ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يَصِلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه انتباهه فأرسل الى عبد المطلب فقال له اني مفوضٌ اليك من سِرّ علمي سِرّا لو يكون غيرك لم أَبُح له به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مخبوءا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغٌ أمرَه، اني أجِدُ في الكتاب المكنون،

والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا، خبراً
عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامّة،
ولرهطك كافّة، ولك خاصّة، فقال له عبد المطلب مثلك أيها
الملك سرّ وبرّ، فما هو فداك أهل الوبر زُمَراً بعد زمر، فقال
له اذا وُلد بتهامة، غلامٌ بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم
به الزعامة، الى يوم القيامة، فقال له عبد المطلب لقد أُبتَ بخير ما
آبَ بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارة
اياي ما ازدادُ به سروراً فقال له ابن ذي يزن هذا حينه الذي يُولد
فيه أو قد وُلِدَ، اسمه محمد، يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، قد
ولدناه مراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعلٌ له منّا أنصاراً، يعزّ بهم أولياؤه،
ويذلّ بهم أعداؤه، ويضرب بهم الناسَ عن عُرض، ويستبيح بهم كرائم
الأرض، ويكسر الصلبان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر
الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن
المنكر ويُبطله، فقال له عبد المطلب، عزّ جدّك، وعلا كعبك، ودام
مُلكك، وطال عمرك، فهل الملك سارّي بإفصاح، فقد أوضح لي

ببعض الإيضاح، فقال له ابن ذي يزن والبيت ذي الحُجُب، والعلامات والنُصُب، انّك يا عبد المطلب، لَجَدّه غير الكذب، فخرّ عبد المطلب ساجداً فقال له ارفعْ راسك، ثلج صدرك، وعلا امرك، هل أحسَسْتَ بشيء ممّا ذكرتُ لك، فقال عبد المطلب كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوّجته كريمة من كرائم قومه فجاءت بغلام فسمّيته محمداً فمات ابوه وأمّه وكفلته انا فقال له ابن ذي يزن انّ الذي قلتُ لك كما قلتُ فاحفظ ابنك واحذرْ عليه اليهود فانّهم أعداؤه ولن يجعل الله عليه سبيلا واطوِ ما ذكرتُ لك دون هولاء الرهط الذين معك فانّي لا آمن ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهُم فاعلون وأبناؤهم ولولا اني أعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرْتُ بخيلي ورَجْلي حتى أصير بيثرب دار مُلكه فانّي اجدُ في الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام أمره وأهل النصرة له وموضع قبره ولولا اني اقِي عليه الآفات واحذرُ عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سنّه بذكره ولكني صارفٌ ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم

أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبُد وعشرة اماءٍ وحِلّس من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضّة وكرش مملوءة عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كلّه وقال له اذا حال الحول فائتني فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني احدكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فانّه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكرُه وفخره وشرفه فاذا قيل له ما ذلك قال لهم ستعلمون بنبأه ولو بعد حين وحديث سيف بن ذي يزن هذا عن غير ابن اسحاق وهو عندنا بالاسناد

وقد تقدّم ما ألقاه تبّع الاخر الى ملوك حميرَ وأبنائهم من امر رسول الله صلعم وان علم سيف بذلك انما كان من تلك الجهة والله اعلم

ثم ان عبد المطلب بن هاشم هلك عن سنّ عالية مختلف في حقيقتها أدناها فيما اذ هي الحقّ ووقفتْ عليه خمس وتسعون سنة ذكره الزبير وأعلاها فيما ذكره الزبير ايضا عن نوفل بن عُمارة قال كان عبد بن

الأرض بيثرب عبد المطلب وبلغ عبد مائة وعشرين سنة وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة

وقال محمد بن سعيد بن المسيّب رح لمّا حضرت الوفاة عبدَ المطلب وعرف انه ميتٌ جمع بناته وكُنّ ستًّا صفيّة وبرّة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأُمَيمَة وأَرْوَى فقال لهنّ ابكين عليّ حتى أسمع ما تَقُلن قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهنّ شعرا ترثيه به وأنشدته اياه فأشار برأسه وقد أُصْمِتَ ان هكذا فابكينني

وذكر ابن اسحاق تلك الأشعار وقال ابن هشام انه لم ير احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها

وقال ابن اسحاق وقال حُذيفة بن غانم اخو بني عدي بن كعب يبكي عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قُصَيّ على قريش وفضل ولده من بعده عليهم

أعَينيّ جُودا بالدموع على الصدر ✽ ولا تسأما أُسقيتُما سَبَلَ القطر

وجودا بدمع واسفحا كلّ شارق ✽ بُكاء امرئٍ لم يشوه نائبُ الدهر

وسُحّا وجُمّا واسجُما ما بقيتُما ✽ على ذي حياء من قريش وذي ستر

على رجلٍ جلدِ القوى ذي حفيظة * جميل المُحَيّا غير نِكس ولا هذْر

على خير حافٍ من مَعَدّ وناعل * كريم المساعي طيّب الخِيم والنجْر

على شيبة الحمد الذي كان وجْهُه * يُضيء سواد الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخير هاشم * وعبد مناف ذلك السيّد الفهر

طَوَى زمزماً عند المقام فأصبحتْ * سقايتُه فخراً على كل ذي فخر

لِيَبْكِ عليه كلّ عانٍ بكُربَةٍ * وآل قُصَيّ من مُقِلّ وذي وفر

بنوه سَراةٌ كَهْلُهُم وشبابُهم * تَفَلّقُ عنهم بيضةُ الطائر الصقر

قُصَيّ الذي عادَى كنانة كلَّها * ورابط بيت الله في العُسْر واليُسْر

فإن تك غالته المنايا وصرْفُها * فقد عاش ميمونَ النقيبة والأمر

وأبقَى رجالاً سادةً غير عُزّلٍ * مصاليتَ أمثال الرُدَينيّة السُمْر

أبو عُتبة المُلقَى إليّ جِباءه * أغرّ هِجَانُ اللون من نَفَرٍ غُرّ

وحمزةُ مِثْلُ البدر يهتزّ للنّدى * نَقِيُّ الثياب والذمام من الغدر

وعبد مناف ماجدٌ ذو حفيظة * وصولٌ لذي القربى رحيمٌ بذي الصهر

كُهولُهمُ خيرُ الكهول ونَسْلُهم * كنَسْل الملوك لا تَبورُ ولا تحري

متى ما تُلاقي منهمُ الدهرَ ناشئاً * تجِدْه بإجريّا اوائله يجري

هُمُ مَلَكوا البطحاء مجداً وعزّةً * اذا استبَقَ الخيراتِ في سالف العصر

وهُمْ حضروا والناسُ بادٍ فريقُهم * وليس بها الا شيوخ بني عمرو

بَنَوها دياراً جمّةً وطَوَوا بها * بئاراً تسُحّ الماء من ثبَج بحر

لكي يشرب الحجّاجُ منها وغيرهم * اذا ابتدروها صُبْحَ تابعة النحر

ثلاثة ايام تظلّ ركابُهم * مُخيّسةً بين الأخاشب والحِجر

وقِدْماً غنينا قبل ذلك حقبةً * ولا نستقي الا بخُمٍّ او الحَفر

همُ يغفرون الذنبَ ينقَمُ دونه * ويعفون عن قول السفاهة والهُجر

أخارج امّا أهلكنّ فلا تزل * لهم شاكراً حتى تُغيَّب في القبر

ولا تنسَ ما أسدى ابنُ لبنى فانّه * قد اسدى يداً محقوقة منك بالشكر

وأنت ابنُ لبنى من قُصيّ اذا انتموا * بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصدر

وأمسك سترٌ من خزاعة جوهرٌ * اذا حصّل الأنساب يوماً ذوو الخُبْر

الى سبأ الأبطال تُنمى وتنتمي * وأكرِمْ بها منسوبةً في ذُرى الزُّهْر

ابن لُبْنى هو ابو لهب عبد العُزى بن عبد المطلب وهو ابو عتبة الذي

ذكره قبل في هذا الشعر وكانت امّه امراة من خزاعة اسمها لُبْنى بنت هاجر ولذلك قال وأمّك سِرٌّ من خزاعة ونمّاها الى سباء الأبطال بناءً على ما قدمناه في انتماء خزاعة الى عمرو بن عامر من غسّان وانتفائهم من المُضَرّية والبد التي ذكرها هذا الشاعر انها ترتبت عليه لأبي لهب

وذكر ابن اسحاق انه كان أخذ بغُرم اربعة آلاف درهم بمكّة فوقف بها فمرّ به ابو لهب فافتكّه ونسب الزبير هذا الشعر لحذافة بن غانم ودليله قوله أخارجَ إمّا أهلِكَنّ البيت فانّ خارجة هو ابن حذافة وحُذَيفة الذي نسب ابن اسحاق اليه الشعر هو اخو حذافة ولا نعرف له ابنٌ يُسَمّى خارجة وانما هو والد ابي جهم بن حذيفة واسم ابي جهم عبيد وهو الذي بعث اليه رسول الله صلعم بالخميصة ذات الأعلام التي الهَتْه عن صلاته وأمر ان يؤتى بأنبجانيه

ولما هلك عبد المطلب ولي زمزم والسقاية عليها ابنه العبّاس وهو يومئذ من أحدث اخوته سنًّا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهي بيده فأقرّها له رسول الله صلعم له على ما مضى من ولايته وكان رسول الله صلعم يُجلّه إجلال الولدِ الوالدَ ولذلك يقول كُرَيبٌ مولى ابن عباس

وما ىىعى لرسول الله صلعم ان ىُجِلّ الا والداً او عمّا فصىلةٌ خصّ اللهُ
ىها العباسَ دون من سواه وقال صلعم احفطوىى فى عمّى العباس فانّ
عمّ الرجل صِنْوُ أبيه وطلع ىوماً على رسول الله صلعم فقال هذا العباس
أجوَدُ قريش كفّا وأوصلها ولم ىزل العباس سيّداً فى الجاهلية والاسلام
ىمىع الجارَ وىىذل المال وىعطى فى النوائب وقال الزبير وكان ىقال كان
للعباس بن عبد المطلب ثوب لعارى بنى هاشم وجفنة لجائعهم ومقطرة
لجاهلهم والمقطرةُ خشبةٌ ذات سلسلة ىُحبَس فيها الناس وفى ذلك
ىقول ابراهيم بن على بن هرمة

وكانت لِعبّاسٍ ثلاثٌ ىَعُدّها * اذا ما جنابُ الحىّ أصبح أشهَبا
فسلسلةٌ ىىهى الظلوم وجفنةٌ * ىُباحُ فىكسوها السنام المرعّبا
وحُلّةُ عصبٍ ما ىزال معدّةٌ * لِعارٍ ضرىكٍ ثوبه قد ىهذّبا

وقال ابن شهاب لقد جاء الله بالاسلام وإنّ جفنة العباس لتدور
على فقراء بنى هاشم وانّ قيده وسوطه لَمعدّ لسفهائهم قال وكان ابن
عُمَر ىقول هذا والله السرف تُطعِم الجائع وتؤدّب السفيه وكان ابو

بكر وعُمَر رضهما في ولايتهما لا تَلقَى العباس واحدٌ منهما وهو راكب الا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يُبلِّغ منزله أو مجلسه فيفارقه

وبقى رسول الله صلعم بعد مهلك جدّه عبد المطلب مع عمّه ابى طالب فكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون وذلك ان عبد الله ابا رسول الله صلعم وأبا طالب اخوان لأبٍ وأمّ فكان ابو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلعم بعد جدّه فكان اليه ومعه

وذكر الواقدى ان ابا طالب كان مُقِلًّا من المال وكانت له قطعة من الابل تكون بعُرَنة فيبدو اليها فيكون فيها ويُؤتى بلبنها اذا كان حاضراً بمكة فكان عيال ابى طالب اذا اكلوا جميعا او فُرادى لم يشبعوا وإذا اكل معهم رسول الله صلعم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يعشّيهم او يغدّيهم يقول كما انتم حتى ياتى ابنى فياتى رسول الله صلعم فياكل معهم فيفضلون من طعامهم وإن كان لبناً شرب رسول الله صلعم أولّهم ثم يناول العيال القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد وإن كان احدهم ليشرب قعباً وحده

فيقول ابو طالب انه لمبارك . وكان الصبيان يصبحون شعثاً رمصاً ويُصبح رسول الله صلعم دهيناً كحيلاً

. قالت ام ايمن وكانت تحتضن رسول الله ما رايت رسول الله صلعم شكا جوعاً قط ولا عطشا وكان يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربةً فربّما عرضنا عليه الغداء فيقول لا أريده انا شبعان

قال ابن اسحاق ثم ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيّأ للرحيل صبّ به رسول الله صلعم فيما يزعمون فرقّ له ابو طالب وقال والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه ابدا او كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهبٌ يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم اهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهبٌ اليه يصير علمُهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلّمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته

يزعمون انه رأى رسول الله صلعم فى الركب حين اقبلوا وغمامةٌ تُظِلّه من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين اظلّت الشجرة وتهصّرتْ اغصانُ الشجرة على رسول الله صلعم حتى استظلّ تحتها فلما راى ذلك بَحيرا نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصُنع ثم ارسل اليهم فقال انّى قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش وأُحبُّ ان تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم فقال رجل منهم والله والله يا بَحيرا ان لك اليوم لشأناً ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنّ نمرّ بك كثيراً فما شأنك اليوم قال له بَحيرا صدقتَ قد كان ما تقول ولكنّكم ضيفٌ وقد احببتُ ان أُكرِمَكم وأصنع لكم طعاماً فتاكلوا منه كلّكم فاجتمعوا اليه وتخلّف رسول الله صلعم من بين القوم لحداثة سِنّه فى رحال القوم فلما نظر بَحيرا فى القوم لم يرَ الصِفَة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلّفنّ احدٌ منكم عن طعامى قالوا له يا بَحيرا ما تخلّف عنك احدٌ ينبغى له ان ياتيك الا غلامٌ وهو احدثُ القوم سنّاً فتخلّف فى رحالهم قال لا تفعلوا ادْعوه فليحضُرْ هذا الطعامَ

معكم فقال رجل من قريش واللّات والعُزّى ان كان للؤما بنا ان يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام اسالك بحق اللّات والعزّى الّا ما أخبرتني عمّا أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلعم قال لا تسالني باللّات والعزّى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً قط بُغْضَهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عمّا أسالك عنه قال له سَلْني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره ويُخبره رسول الله صلعم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده فلما فرغ اقبل على عمّه ابى طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بآبنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيّا قال فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وأمّه حُبلى به قال صدقتَ فارجع

بابن اخيك الى بلده واحذرْ عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغنّه شرًّا فانه كائنٌ لابن اخيك هذا شأنٌ عظيم فأسرِعْ به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا راوا من رسول الله صلعم مثل ما رای بحيرا فی ذلك السفر الذی كان فيه مع عمّه ابی طالب فارادوه فردّهم عنه بحيرا وذكّرهم الله وما يجدون فی الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشبّ رسول الله صلعم و يكلؤه الله و يحفظه و يحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ ان كان رجلاً افضل قومه مروءةً وأحسنهم خُلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم امانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التی تدنّس الرجال تنزّها وتكرّما حتى ما اسمُهُ فی قومه الا الامينُ لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله صلعم يحدّث عما كان الله يحفظه به فی صغره وأمر جاهليته انه قال لقد رايتنی فی غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما

يلعب به الغلمان كلّنا قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانّي لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكمٌ ما اراه لكمةً وجيعةً ثم قال شُدّ عليك إزارك قال فاخذتُه فشددته عليّ ثم جعلتُ احمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي

وذكر البخاري عنه صلعم انه قال ماهممتُ بشيء من امر الجاهلية الا مرّتين وروي عنه ان احدى المرّتين كان في غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني امر الغنم حتى اتي مكّة وكان بها عرس فيه لهو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك أُلقِيَ عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمةً من الله له والمرّة الاخرى مثل الأولى سواءً

وذكر الواقدي عن امّ ايمن قالت كانت بُوانة صنما تحضره قريش وتعظّمه وتنسك له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضره مع قومه وكلّم رسول الله صلعم ان يحضر ذلك العيد معهم فأبى ذلك قالت حتى رايتُ ابا طالب غضب عليه ورايتُ عمّاته غضبْنَ يومئذ اشدّ الغضب وجعلْن يقلْنَ انّا لنخاف عليك ممّا تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلْن ما تريد يا محمد ان تحضر

لقومك عبداً ولا تكثر لهم جعاً فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوباً فرعاً فقلن له ما دهاك قال انى أخشى ان يكون بى لمم فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رايت قال انى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى نبئ صلوات الله عليه وعلى آله

ولما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد فيما ذكره غير واحد من اهل العلم

وذكر الواقدى باسناد له الى نفيسة بنت منية اخت يعلى بن منية وقد رويناه ايضا من طريق ابى على بن السكن وحديث احدهما داخل فى حديث الآخر مع تقارب اللفظ وربما زاد احدهما الشيء اليسير وكلاهما ينمى الى نفيسة قالت لما بلغ رسول الله صلعم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسمٌ الا الامين لما تكاملت فيه من خصال الخير قال له ابو طالب يابن اخى انا رجل لا مال لى وقد اشتدّ الزمان علينا والحّتْ علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا

التجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت اليك وفضّلتك على غيرك لما بلغها عنك من طهارتك وإن كنتُ لاكره ان تاتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا تجد من ذلك بُدًّا وكانت خديجة رضها امراة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فيكون عيرها كعامّة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع لهم المال مضاربة وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء فقال رسول الله صلعم فلعلّها ترسل اليّ في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولى غيرك فتطلب امراً مدبراً فافترقا وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له وقبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه وعظم امانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمتُ انه يريد هذا ثم أرسلت اليه فقالت انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلًا من قومك ففعل رسول

الله صلعم ولقى ابا طالب وذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه
الله اليك فخرج مع غلامها مَيْسرة حتى قدم الشام وجعل عمومته
يوصون به اهل العير حتى قدم الشام فنزلا في سوق بُصرَى في ظلّ
شجرة قريبا من صومعة راهبٍ يقال له نَسْطورا فاطّلع الراهب الى
ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة مَن هذا الذي نزل تحت هذه
الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب
ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبيّ ثم قال له في عينيه حُمْرة
قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليت
انى أدركه حين يُؤمَر بالخروج فوَعَى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله
صلعم سوق بُصرَى فباع سِلْعَته التى خرج بها واشترى سلعة فكان
بينه وبين رجلٍ اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعُزّى
فقال رسول الله صلعم ما حلفتُ بهما قطّ فقال الرجل القول قولك ثم
قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبيّ والذى نفسى بيده انه لهو
تجده أحبارُنا منعوتا فى كتبهم فوَعَى ذلك ميسرة ثم انصرف اهل

العير جميعاً وكان ميسرة يرى رسول الله صلعم اذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى مَلَكَين يظلّانه من الشمس وهو على بعيره

قال وكان الله عز وجل قد القى على رسول الله صلعم المحبّة من ميسرة فكان كأنّه عبدٌ لرسول الله صلعم فلما رجعوا وكانوا بمرّ الظهران تقدّم رسول الله صلعم حتى دخل مكّة في ساعة الظهيرة وخديجة في عليّة لها معها نساء فيهنّ نفيسة بنت مُنية فرأت رسول الله صلعم حين دخل وهو راكب على بعيره ومَلَكان يظلّان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلعم فخبّرها بما ربحوا فسُرّت بذلك فلما دخل عليها ميسرةُ اخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رايتُ هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول الراهب نسطورا وقول الاخر الذي خالفه في البيع قالوا وقدم رسول الله صلعم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما سمّت له فلما استقرّ عندها هذا وكانت امراةً حازمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهنّ شرفاً وأكثرهنّ مالاً وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو يقدر عليه

عرضت عليه نفسها فقالت له فيما يزعمون يا ابن عمّي اني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فلما قالت له ذلك ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمّه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله حتى دخل على خُويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوّجها هكذا ذكر ابن اسحاق

وذكر الواقدي وغيره من حديث نفيسة ان خديجة أرسلتها دسيساً فدعته الى تزوّجها فلما أجاب رسول الله صلعم ارسلت الى عمّها عمرو بن أسد فحضر وزوّجها رسول الله صلعم في عمومته فزوّجه احدُهم وقال عمرو هذا الفحل لا يُقدع انفه

قال ابن هشام وأصدقها رسول الله صلعم عشرين بكرة وكانت اوّل امرأة تزوّجها ولم يتزوّج عليها غيرها حتى ماتت

قال ابن اسحاق فولدت خديجة لرسول الله صلعم ولده كلّهم الا ابراهيم القاسم وبه كان يكنى صلعم والطاهر والطيّب وزينب ورُقيّة وأم كلثوم وفاطمة وأما القاسم والطاهر والطيّب فهلكوا في الجاهلية وأما

بناته فكلّهن أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه هذا قول ابن اسحاق في ذكور البنين انهم هلكوا في الجاهلية

وقال الزبير بن بكّار وهو من أئمة هذا الشأن ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيّب وُلد بعد النبوّة ومات صغيرا

وفي مسند الفريابي ما يدلّ على انه مات قبل ان يتمّ رضاعه وبعد النبوّة وذلك ان خديجة دخل عليها رسول الله صلعم بعد موت القاسم وهي تبكي عليه فقالت يا رسول الله لو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهوّن عليّ فقال انّ له مُرضعا في الجنّة يستكمل رضاعه فقالت لو أعلمُ ذلك لهوّن عليّ فقال ان شئت أسمعتُك صوته في الجنة فقالت بل أصدّق الله ورسوله

قال ابن هشام وأما ابراهيم فأمّه مارية سُرّيّة النبي صلعم التي أهداها اليه المُقوقس من حفْن من كورة أنصنا وهي قطعة من قبط مصر وهذا هو الصهر الذي ذكره لهم رسول الله صلعم في قوله الله الله في اهل الذمّة اهل المدرَة السوداء السُحْم الجعاد فإنّ لهم نسباً وصهرا

قال مولى غُفْرة نسبهم ان ام اسمعيل النبي عم منهم وصهْرُهم ان رسول الله صلعم تسرّر فيهم

وفي حديث اخر ان رسول الله صلعم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإنّ لهم ذمّة ورَحِماً

قال ابن اسحاق وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرتْ لوَرَقة بن نوفل بن اسد بن عبد العُزّى وكان ابنَ عمّه وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامُها مَيسَرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلّانه فقال وَرَقة لئن كان هذا حقّا يا خديجة ان محمداً لَنبيُّ هذه الأمّة قد عرفتُ انه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظَر هذا زمانه او كما قال فجعل ورقةُ يستبطىء الأمر ويقول حتى متى وقال في ذلك

لَجِجتُ وكنتُ في الذِكرى لَجوجاً * لِهَمٍّ طال ما بعث النَشيجا
ووَصْفٍ من خديجة بعد وصفٍ * فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المَكّتين على رجائي * حديثَكِ أن ارى منه خروجا
بما خبّرتِنا من قول قَسٍّ * من الرُهبان أكرهُ ان يَعوجا

بان محمداً سيسود يوماً * ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم به البرية ان تموجا

فيلقى من يحاربه خساراً * ويلقى من يسالمه فلوجا

فيا ليتني اذا ما كان ذاكم * شهدت فكنت أولهم ولوجا

ولوجاً في الذي كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا

أرجي بالذي كرهوا جميعاً * الى ذي العرش ان سفلوا عروجا

وهل امر السفاهة غير كفر * بمن نختار من سمك البروجا

فان يبقوا وأبق تكن أمور * يضج الكافرون لها ضجيجا

وان أهلك فكل فتى سيلقى * من الأقدار متلفة خروجا

وقال ورقة بن نوفل ايضا في ذلك وهو مما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق

أتبكر أم انت العشية رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح

لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح

واخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح

فتاك الذي وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح

الى سوق بصرى فى الركاب التى غدت * وهن من الأحمال قُعْص دوالح

فخبّرنا عن كلّ حَبْر بعِلْمه * وللحق أبواب لهن مفاتح

بأنّ ابن عبد الله أحمد مُرسل * الى كلّ من ضمّت عليه الأباطح

وظنّى به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هُود وصالح

ومُوسى وابراهيم حتى يُرى له * بهاء ومنشورٌ من الذكر واضح

ويتبعه حيّا لؤىّ بن غالب * شبابهمُ والأشيبون الجحاجح

فإن أبق حتى يدرك الناس دهره * فانّى به مستبشر الود فارح

والا فانّى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك فى الأرض العريضة سائح

⁂

ذكر بنيان قريش الكعبة

مع دكر ما أحدثوه فى المناسك

ولما ىلغ رسول الله صلعم حمساً وعشرىں سىه احتمعت قريش
لبنيان الكعىه

قال موسى ىں عقىه وانما حمل قرىشا على ىىاىها اں السىل
كاں اىى من فوق الردم الدى صنعوا فأحربه فحافوا اں ىدحلها
الماء وكاں رحل ىقال له مُلىح سرق طىب الكعىه فأرادوا اں
ىشدوا ىىاىها وأں ىرفعوا ىابها حتى لا ىدحلها الا من شاؤوا وأعدّوا
لدلك ىفقةً وعمّالا ثم عمدوا الىها لىهدموها على شفق وحدر من
اں ىمىعهم الله الدى ارادوا

قال اىں اسحاق وكانوا ىهمّوں ىدلك وىهاىوں هدمها وانها
كانت رضماً فوق القامه فأرادوا رفعها وتسقىفها ودلك اں ىفرا
سرقوا كنز الكعىه وانما كاں ىكوں فى ىئر فى حوف الكعىه قال وكاں
الدى وُجد عنده الكىز دُوىك مولى لىنى مُلىح ىں عمرو من

خزامة فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك قال وكان البحر قد رمى بسفينة الى جُدّة لرجل من تجار الروم فتحطّمت فاخذوا خشبها فاعدّوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قِبْطىّ نجّار فتهيّأ لهم فى انفسهم بعض ما يُصلِحها وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطرَح فيها ما يُهدى لها فتتشرّق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها احدٌ الا احزألّت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هى يوماً تتشرّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائراً فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو ان يكون الله قد رضى بما أردنا عندنا عاملٌ رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحيّة فلما أجمعوا امرهم فى هدمها وبنيانها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تُدخلوا فى بنيانها من كسْبكم الا طيّباً لا تُدخلوا فيها مهْرَ بغى ولا بيع رباً ولا مَظلِمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلامَ الوليدَ بن المغيرة بن عبد

الله بن عمر بن مخزوم ثم ان قريشاً تجزّأت الكعبة فكان شقّ الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمّوا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني اسد بن عبد العزّى بن قصي ولبني عدي بن كعب وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدأكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم تُرع ويقال لم نَزغ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربّص الناسُ تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناسُ معه حتى اذا انتهى الهدمُ بهم الى الأساس اساس ابراهيم عم أفضوا الى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضاً

قال ابن اسحاق وحدثني بعض من يروي الحديث ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها

أخذوها فلما تحرّك الحجرُ تنقضت مكّةُ بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس قال وحُدِّثتُ أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود وإذا هو أنا الله ذو بكّة خلقتُها يوم خلقتُ السموات والأرض وصوّرتُ الشمس والقمر وحففتُها بسبعة أملاك حُنفاء لا تزول حتى تزول أخشباها مباركٌ لأهلها في الماء واللبن وحُدِّثتُ أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه مكّة الله الحرام يأتيها رزقُها من ثلاث سُبُل لا يُحِلّها أوّل من أهلها

وزعم ليث بن أبي سُليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلعم بأربعين سنة إن كان ما ذُكر حقاً مكتوباً فيه من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة تعملون السيّئات وتُجزَون الحسنات أجل كما لا يُجتنَى من الشوك العنبُ

قال ابن اسحاق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كلّ قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كلّ قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدّوا للقتال فقرّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ثم

تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسُمّوا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمساً ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان ابا امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسنّ قريش كلّها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اوّل من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان اوّل داخلٍ رسول الله صلعم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمدٌ فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلعم هلمّ اليّ ثوباً فأُتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلعم ثم بُني عليه

وكانت الكعبة على عهد النبي صلعم ثماني عشرة ذراعاً كانت تُكسى القباطيّ ثم كُسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف هذا قول ابن اسحاق وقال الزبير بل اول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر جماعة سواهما منهم الدارقطني ان نُتَيلة بنت

حباب امّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس وهو يومئذ صغير فنذرت إن هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وذكر الزبيران الذي أضلته نتيله بنت حباب انما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس نذرت أن تكسو البيت إن وجدته فكسته حين وجدته ثياباً بيضا فالله تعالى اعلم

قال ابن اسحاق وكانت قريش لا ادري أقبْل الفيل ام بعده ابتدعت امر الحُمْس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحُرْمة وولاة البيت وقاطنُ مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقّنا ولا مثل منزلنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحلّ كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفّت العربُ بحرمتكم وقالوا قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرّون انها من المشاعر والحجّ ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها الا انهم قالوا نحن اهل الحرم فليس ينبغي لنا ان نخرج من الحرمة ولا نعظّم غيرها كما نعظمها نحن الحُمس والحمس اهل الحرم

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحلّ والحرم مثل الذى لهم
بولادتهم اياهم يحلّ لهم ما يحلّ لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت
كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ثم ابتدعوا فى ذلك امورا لم
تكن لهم حتى قالوا لا ينبغى للحمس ان يأتقطوا الأقط ولا يسألوا
السمن وهم حُرُم ولا يدخلوا بيتا من شَعَر ولا يستظلّوا إن استظلّوا الا فى
بيوت الأدم ما كانوا حُرُما ثم رفعوا فى ذلك فقالوا لا ينبغى لاهل الحلّ
أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا
حُجّاجا او عُمّارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا اوّل طوافهم الا فى ثياب
الحُمس فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عُراةً فان تكرّم منهم
متكرّم من رجل او امراة ولم يجد ثياب أحمس فطاف فى ثيابه التى
جاء بها من الحلّ القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسّها
هو ولا احد غيره ابدا فكانت العرب تسمّى تلك الثياب اللَّقَى فحملوا
على ذلك العربَ فدانت به فوقفوا على عَرَفات وأفاضوا منها وطافوا
بالبيت عُراةً اما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهنّ ثيابها

كلّها لا ثوباً مفرّجاً عليها ثم تطوف فيه وكانوا كذلك حتى بعث الله رسوله صلعم وأنزل الله عليه حين احكم له دينه وشرع له سنن حجّه ثم افيضوا من حيث افاض الناس الآية (١) يعني قريشاً والناس العرب فرفعهم في سنّة الحجّ الى عرفات والوقوف عليه والإفاضة منها وأنزل عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عند البيت عُراة وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام (٢) يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا انه لا يحبّ المسرفين قُلْ من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيّبات من الرزق الآية كلها فوضع الله امر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث الله رسوله ولم يكن رسول الله صلعم بالموافق قومه على بعض مشاعر الحجّ والعدول عن مواقف الناس

قال جُبير بن مُطعم لقد رأيت رسول الله صلعم قبل ان ينزل عليه

---

(١) س ٢ آ ١٩٥

(٢) س ٧ آ ٢٩

الوحي وانه لوافق على نعمرة تعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم بوصفا من الله له وقد تقدّم ما أحدثوه في النسيء وما أبطل الله من حُكْمه بقوله سبحانه (١) انما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاما و يحرّمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله زيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين فأمضى ذلك عن اعادته

***

---

(١) س ٩ آ ٣٧

ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبانّ

والكهان من امر رسول الله صلعم قبل مبعثه سوى ما
تقدّم من ذلك مع ذكر شيء مما سُمِع من
ذلك عند الأصنام او هتفت به الهواتف

قال ابن اسحاق وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلعم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد انبيائهم اليهم وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تُحجَب عن ذلك وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره لا تُلقِى العربُ لذلك فيه بالًا حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب امر رسول الله صلعم وحضر مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع وحِيلَ بينها وبين المقاعد التى

كانت نقعد فيها لاستراقه فرُموا بالنجوم فعرفت الجنّ ان ذلك لأمر حدث من امر الله فى العباد يقول الله لنبيّه محمد صلعم حين بعثه يقصّ عليه خبر الجنّ اذ حُجبوا (١) قل أوحى اليّ انه استمع نفر من الجنّ فقالوا انّا سمعنا قراناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا احداً وانه تعالى جدّ ربّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً وانّا ظننّا ان لن تقول الإنس والجنّ على الله كذباً وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً وانهم ظنّوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احداً وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً وانّا لا ندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض ام اراد بهم ربّهم رشداً فلما سمعت الجنّ القران عرفت انها انما مُنعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشكِل الوحىُ بشىء من خبر السماء فَيلبَس على اهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجّة وقطع الشبهة فآمنوا وصدّقوا

(١) س ٧٢ آ ١

ثم (١) ولّوا الى قومهم مُنذِرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى الى الحق وإلى طريق مستقيم وقول الجنّ (٢) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً هو ان الرجل من العرب من قريش وغيرهم كان اذا سافر فنزل بَطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه

وذكر ان اول العرب فزع للرمىّ بالنجوم حين رُمى بها ثقيف وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان أدهى العرب وانكرها رأيا فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التى يُهتدى بها فى البرّ والبحر ويُعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس فى معائشهم هى التى يُرمى بها فهو والله طيّ الدنيا

(١) س ٤٦ آ ٢٨

(٢) س ٧٢ آ ٦

وهلاكُ هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوماً غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق فما هو

وقد قال رسول الله صلعم فيما رُوى عنه لبعض من الأنصار ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمَى به قالوا يا نبى الله كنّا نقول حين رأيناها يُرمَى بها مات مَلِكٌ مُلِّكَ مَلِكٌ وُلِد مولودٌ مات مولودٌ فقال رسول الله صلعم ليس ذلك كذلك ولكنّ الله تبارك وتعالى كان اذا قضى فى خلقه امراً سمعه حملة العرش فسبّحوا فسبّح من تحتهم لتسبيحهم فسبّح من تحت ذلك ولا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض مِمّ سبّحتم فيقولون سبّح من فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم فيقولون الا تسألون من فوقكم مِمّ سبّحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مِمّ سبّحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للأمر الذى كان فيهبط به الخبرُ من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيتحدّثوا به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهّم واختلاف ثم ياتون به الكهّان من اهل الأرض فيحدثونهم فيُخطئون ويصيبون فيحدّث

به الكهّان فيُخطئون بعضاً ويصيبون بعضاً ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها فانقطعت الكهانةُ اليوم فلا كهانة

وذكر ابو جعفر العُقيلي بإسناد له الى لُهَيب بن مالك اللهبي قال حضرتُ عند رسول الله صلعم فذُكِرت عنده الكهانة فقلتُ بأبي انت وأمّي يا رسول الله نحن اول مَن عرف حراسة السماء وزجْر الشياطين ومنْعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك انّا اجتمعنا الى كاهنٍ لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهّاننا فقُلْنا يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يُرمَى بها فانّا قد فزعنا لها وخفْنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحرٍ اخبركم الخبرَ أخيرام ضررٌ او امن او حذرٌ قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر اتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخصٌ في السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا ان أمسكوا فأمسكنا وانقضّ نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعاً صوته أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجَله عذابُه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا وَيلَهُ ما حاله، بَلبَلَه بلباله، عاوَدَه خَباله، تقطّعت حباله، وغُيّرت أحواله،

ثمّ أمسك طويلا وقال يا معشر بنى قحطان اخبركم بالحقّ والبيان، اقسمت بالكعبة والأركان، والبلد المؤتمن والسدّان، لقد مُنِع السمعَ عُتاة الجان، بثاقب بأمر ذى سلطان، من اجل مبعوث عظيم الشان، يُبعَث بالتنزيل والقران، وبالهدى وفاصل الفرقان، تبطُل به عبادةُ الأوثان، قال فقلتُ يا خطر انّك لتذكر أمراً عظيماً فما ذا ترى لقومك قال أرى لقومى ما أرى لنفسى، ان يتبعوا خير بنى الإنس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث فى مكّة دار الحُمس، بمحكم التنزيل غير اللبس، فقلنا له يا خطر وممّن هو فقال والحياة والعيش، انه لمن قريش، ليس فى حكمه طيش، ولا فى خلقه هيش، يكون فى جيش، وايّ جيش، من آل قحطان وآل ايش، فقلنا له بيّنْ لنا من ايّ قريش هو فقال والبيت ذى الدعائم، انه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، ثم قال هذا هو البيان، أخبرنى به رئيسُ الجان، ثم قال الله اكبر، جاء الحقّ وظهر، وانقطع عن الجنّ الخبر، ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله

صلعم سبحان الله لقد نطق من مثل نبوّة وانه ليبعث يوم القيامة أمّةً وحده

قال ابن اسحاق وحدثني بعض اهل العلم ان امراة من بني سهْم يقال لها الغَيْطلة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقضّ تحتها ثم قال ندر ما ندرْ يوم عقرٍ ونحرْ فقالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة اخرى فانقضّ تحتها ثم قال شَعُوبٌ ما شعوب، تُصرَع فيه كعبٌ لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ما ذا يريد انّ هذا لأمرٌ هو كائنٌ فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدْر وأُحُد بالشعْب فعرفوا انه كان الذي جاء به الى صاحبته

قال وحدثني علي بن نافع الجُرَشي ان جنْباً بطْناً من اليمن كان لهم كاهنٌ في الجاهلية فلما ذُكر امر رسول الله صلعم وانتشر في العرب قالت له جنبٌ انظُرلنا في امر هذا الرجل واجتمعوا له في اسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع راسه الى السماء طويلاً ثم جعل ينزو ثم قال ايها الناس ان الله اكرم

محمداً واصطفاه وطهّر قلبه وحشاه ومكّثه فيكم ايها الناس قليلًا ثم أسند في جبله راجعاً من حيث جاء

قال وحدثني من لا أتهمُ ان عمر بن الخطاب رضه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلعم اذ اقبل رجل من العرب يريد عمر فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعَلى شِرْكه ما فارقه بعد او لقد كان كاهناً في الجاهلية فسلّم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر هل أسلمتَ قال نعم يا امير المؤمنين قال فهل كنت كاهناً في الجاهلية فقال له الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين لقد خلْتَ فيّ واستقبلتني بأمر ما اراك قُلته لأحد من رعيّتك منذ وليت فقال عمر اللهم غُفْرا قد كنّا في الجاهلية على شرّ من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى اكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا امير المؤمنين لقد كنتُ كاهنا في الجاهلية قال فاخبرني بما جاءك به صاحبُك قال جاءني قبيل الاسلام بشهر او شَيعِه فقال الم تر الى الجنّ وإبلاسها وإياسها، من دينها ولُحوقها بالقلاص وأحلاسها، قال ابن هشام هذا الكلام سجع وليس بشعر وأنشدني بعض اهل العلم بالشعر

عَجِبتُ للجنّ وإبلاسها * وشدّها العيسَ بأحلاسها
تهوى الى مكّة تبغي الهُدَى * ما مؤمن الجنّ كأنجاسها

فقال عمر عند ذلك يحدّث الناسَ والله انّي لَعند وثنٍ من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسْمه ليُقسِّم لنا منه اذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعت قط انفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر او شيعه يقول يا ذريح، امرٌ نجيح، رجلٌ يصيح، يقول لا اله الا الله

قال ابن هشام ويقال رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول لا اله الا الله

وهذا الرجل الذي ظنّ به عمر رضه ما ظنّ هو سَواد بن قارب الدَّوسي وكان يتكهّن في الجاهلية وقد ذكر خبرَه غير ابن اسحاق فساقه سياقةً احسن من هذه وأتمّ وذكروه انه كان قائماً على جبل من جبال السراة ليلة من الليالي فأتاه آتٍ فضربه برجْله وقال قُم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لُويّ بن غالب، قال فرفعتُ رأسي وجلستُ فأدبر وهو يقول

عَجِبتُ للجنّ وتطلابها * وشدّها العيسَ بأقتابها

تهوى الى مكّة تبغي الهدى * ما صادق الجنّ ككذّابها

فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

وأتاه في الليلة الثانية فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لوى بن غالب، قال فرفعت راسي فجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجنّ وأخبارها * ورحلها العيسَ باكوارها

تهوى الى مكّة تبغي الهدى * ما مؤمنوها مثل كفّارها

فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأدبارها

وأتاه في الليلة الثالثة بعد ما نام فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لوى بن غالب، قال فرفعت راسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبتُ للجنّ وإبلاسها * ورحلها العيس بأحلاسها

تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم * وآرم بعينك الى راسها

قال فلما اصبحت اقعدت بعيرى وأتيت مكة فاذا رسول الله صلعم قد ظهر فأخبرته الخبر وبايعته

وفى بعض طرق حديثه انه أنشد رسول الله صلعم شعرا منه فى معنى ما جاء به رئيه

أتانى رئيّى بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبى من لؤى بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وشمّرت * بى العِرْمِس الوجناء وسْط السباسب
فأشهد ان الله لا ربّ غيره * وأنّك مأمون على كل غائب
وانّك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يابن الأكرمين الأطائب
فمُرْنا بما يأتيك من وحْى ربّنا * وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكُنْ لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقامٌ حميدٌ فى قومه دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلعم ثبتهم فى الدين وحضّهم على التمسّك بالاسلام . نذكره ان شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر عن وفاة رسول الله صلعم

وذكر السواد ى ل سار له قال كان ابو هريرة يحدّث ان قوما من

خَثْعَم كانوا عند صنمهم لهم جلوساً وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فقيل لأبي هريرة هل كنتَ انت تفعل ذلك فيقول قد والله فعلتُ وأكثرتُ فالحمد لله الذي انقذني بمحمّد صلعم قال ابو هريرة فبينما الخثعميون عند صنمهم اذ سمعوا هاتفاً يهتف ياتها الناس ذوو الأجسام، ومُسنِدو الحكم الى الأصنام، أكلّكم أَوْرَه كالكهام، ألا ترون ما أرى أمام، من ساطع يجلوا دُجى الظلام ذاك نبيّ سيّد الأنام، من هاشم في ذروة السنام، مستعْلِنٌ بالبلد الحرام، جاء يهدّ الكفر بالاسلام، أكرمه الرحمن من إمام، قال ابو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرّقوا فلم تمض بهم بالثمّة حتى فجاءهم خبر رسول الله صلعم انه قد ظهر بمكّة قال فما أسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامُهم ورأوا عبراً عند صنمهم

وذكر الواقدي ايضا ان رجلًا من الأنصار حدّث عمر بن الخطاب رضه قال انطلقتُ انا وصاحبان لي نريد الشام حتى اذا كنّا بقفرة من الأرض نزلنا بها فبينما نحن كذلك اذ لحقنا راكبٌ فكنّا اربعة وقد أصابنا سغبٌ شديد فالتفتُّ فإذا انا بظبية عضباء ترتع فقمتُ

حتى قربت اليها فقال الرجل الذي لحقنا حلّ سبيلها لا ابا لك
والله لقد رايتها ونحن نسلك هذه الطريق ونحن عشرة او اكثر
فتخطف بعضنا فما هو الا ان كانت هذه الظبية فما تهايج بها احد
فأبيتُ وقلتُ لا لعمرُ الله لا أحلّيها فارتحلنا وقد سددتُها معي حتى
اذا ذهب سدوف من الليل اذا هاتفٌ يهتف بنا ويقول

يأيتها الركبُ السراع الأربعة * خلّوا سبيل النافر المفزّعة
خلّوا عن العضباء في الوادي سعة * لا تذبحنّ الظبية المروّعة
فيها لأيتام صغار منفعة

قال فخلّيتُ سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام فقضينا حوائجنا ثم
أقبلنا حتى اذا كنّا بالمكان الذي كنّا فيه هتف بنا هاتفٌ من خلفنا

اياك لا تعجل وخذها من ثقة * فانّ شرّ السير سيرٌ الحقحقة
قد لاح نجمٌ فأضاء مشرقه * يخرج من ظلما عسوف موبقه
ذاك رسولٌ مفلحٌ من صدّقه * الله أعلى أمره وحقّقه

قال الرجل فأتيت مكّة فإذا رسول الله صلعم يدعو الى الاسلام فقال
عمر رض الحمد لله الذي اكرمنا بمحمّد صلعم

وَرَوينا عن ابى المنذر هشام بن محمد الكلبى باسناد متّصل اليه قال لقد لقيتُ شيوخاً من شيوخ طىء المقدّس فسألتُهم عن قصّة مازن يعنى مازن بن الغضوبة الطائى وسبب اسلامه ووفوده على رسول الله صلعم وإقطاعه أرض عمان وذلك بمنّ الله وفضله وكان مازن بأرض عمان بقرية تُدعى سُمايل قال مازن فعترتُ ذات يوم عتيرة فى الذبيحة فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول يا مازن اقبل اقبل، واسمعْ ما لا يجهلْ، هذا نبىٌّ مُرسَلْ، جاء بحقّ مُنزَلْ، فآمِنْ به كى تعزَلْ، عن حرِّ نارٍ تُشعَلْ، وقودُها بالجندلْ، قال مازن فقلتُ ان هذا والله لعجبٌ ثم عترتُ بعد ايام عتيرة اخرى فسمعتُ صوتاً أبين من الاول وهو يقول يا مازن اسمعْ تسُرّ، ظهَرَ خيرٌ وبَطَن شرّ، بُعث نبىٌّ من مُضر، بدين الله الأكبر، ودَعْ نحيتاً من حجر، تسلم من حرّ سقر، قال مازن فقلتُ انّ هذا والله لعجب وانه لخيرٌ يُراد بى وقدم علينا رجل من اهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال خرج بتهامة رجل يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله يقال له احمد فقلتُ هذا والله نبأ ما سمعتُ

فثرتُ الى الصنم فكسرتُه جذاذاً وشددتُ راحلتي ورحلتُ حتى أتيت رسول الله صلعم فشرح لي الاسلام فأسلمتُ وأنشدتُ أقول

كسّرتُ باجَرَ أجذاذاً وكان لنا * ربّاً نطيف به ضلاًّ بضلال

بالهاشميّ هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينُهُ منّا على بال

يا راكباً بلّغنْ عمراً وإخوتها * انّي لمن قال ربّي باجَرٌ قالي

وقلتُ يا رسول الله انّي امرؤ مولع بالطرب وبشرب الخمر وبالهلوك الى النساء وألحّتْ علينا السنون فأذهبْنَ الأموال وأهزلْنَ الذراري والرجال وليس لي ولدٌ فادْعُ الله ان يُذهب عنّي ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولداً فقال النبي صلعم اللهمّ أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأْتِه بالحياء وهبْ له ولدا قال مازن فأذهب الله عنّي كل ما أجد واخصبتْ عُمانُ وتزوّجتُ اربع حرائر ووهب الله لي حيّان بن مازن وأنشأتُ أقول

اليك رسول الله خبّتْ مطيّتي * تجوب الفيافي من عُمان الى العرْج

لتشفعَ لي يا خير من وطئ الثرى * فيغفر لي ربّي وأرجع بالفلْج

الى معشرٍ خالفتُ في الله دينهم * فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي

وكنتُ امرءًا بالّلهو والخمر مُولعاً * فشابنيَ حتى أذن الجِسْمُ بالنهج
فاصبحتُ همّى فى جهادٍ وشِقّى * فلّله ما صَومى ولله ما حجّى

ومما يلحق بهذا الباب من حسان أخبار الكهّان، وان كان بعد المبعث بزمان، ولاكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة فى الدلالة على صدق الرسول، والإعلام بالغيب المجهول، والإرشاد الى سَواء السبيل، ما ذكره ابو على اسمه اعيل بن القاسم فى أماليه بإسنادٍ له الى ابن الكلبى عن ابيه قال كان خُنافر بن التوأم الحميرى كاهنا وكان قد أوتى بسْطةً فى الجسم وسَعَةً فى المال وكان عاتياً فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلعم وظهر الاسلام أغار على ابل لمرادٍ فاكتسحها وخرج باهله ومالِه ولحق بالشِحْر فحالف جُوداں بن يحيى الفرضمى وكان سيداً منيعاً ونزل بوادٍ من أودية الشِحْر مُخصِب كثير الشجر من الأيك والعرين قال خُنافر وكان رَئىى فى الجاهلية لا يغيب عنّى فلما شاع الاسلام فقدتُه مدّة طويلة وساءنى ذلك فبينا انا ليلةً بذلك الوادى نائماً اذ هوى هُوِىَّ العُقاب فقال خنافرُ فقلتُ شِصار فقال اسمعْ أقُلْ قلتُ قُلْ أسمعْ فقال عِهْ تغنم، لكلّ مدة نهاية، وكلّ ذى أمد الى غاية،

قلتُ أجَل، فقال كلّ دولة الى أجَل، ثم يُتاح لها دُوَل، فاستحييتُ
البخل، ورجعت الى حقائبها المِلَل، ألستَ سحرٌ موصول، والنصح
لك مبذول، انّي آنستُ بأرض الشام، نفراً من أهل الإقدام، حكّاماً
على الحُكّام، يتذاكرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا
بالسجع المتكلّف، فأصغيتُ فرجوتُ، فعاودتُ فطمعتُ، فقلتُ بِمَ
تهيمون، والامَ تعتبرون، فقالوا خطابٌ كُبّار، جاء من عند الملك
الجبّار، فاسمعْ ما نقصّه، عن أصدق الأخبار، واسلكْ أوضح الآثار،
نتج من أنوار النهار، فقلتُ وما هذا الكلام، قالوا فرقانٌ بين الكفر
والايمان، رسول من مُضَر، من أهل المدر، ابتُعِث فظهر، فجاء بقول قد
بَهَر، وأوضح منهجاً قد دَثَر، فيه مواعظُ لمن اعتبر، ومعاذٌ لمن ادّكر، أُلِّف
بالآي الكُبَر، فقلتُ ومَن هذا المبعوث من مضر، قالوا احمد خير البشر،
فإن آمنت أعطيتَ البشر، وإن خالفت أُصليتَ سَقَر، فآمنتُ بما
حُمِلتُ، وأقبلتُ اليك أبادر، فجانبْ كلّ نجس كافر، وشايعْ كل مؤمن
طاهر، والّا فهو الفراق، لا عن تلاق، قلتُ من اين أبغي هذا الدين
قال من ذات الاجرين، والأمر النفائس، أهل المدر والطين، قلتُ أوضحْ

قال الحق بيثرب ذات النخل، والحرّة ذات النعل، فهنالك أهل الطول والفضل، والمواساة والبذل، ثم انملس عنّي فبتّ مذعوراً اراعي الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي وآذنت أعبُدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الإبل على أربابها بحولها وسقابها وأقبلت أريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل اميراً لرسول الله صلعم فبايعته على الاسلام وعلّمني من القرآن فمنّ الله عليّ بالهُدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة وقلت في ذلك

الم تر ان الله عاد بفضله * فأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا
وكشّف لي عن جَحْمَتيّ عماهما * وأوضح لي نهجي وقد كان داثرا
دعاني شصار للتي لو رفضتها * لأصليت جمراً من لظى الهوب واهرا
فأصبحت والاسلام حشو جوانحي * وجانبت من أمسى عن الحق نافرا
وكان مُضِلّي مَن هُديتُ برشده * فلله مُغْوٍ عاد بالرشد آمرا
نجوتُ بحمد الله من كل قُحْمة * تورّث هُلْكاً يومَ شايعتُ شاصرا
فقد أمنتني بعد ذاك يُحابرٌ * بما كنتُ أغشى المُنْديات يُحابرا
فمن مبلغ عنيان قومي ألوكة * بانّي من أقتال من كان كافرا

عليكم سواء القصد لا فُلّ حدّكم * فقد أصبح الاسلام للشرك قاهرا

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم حدّثه انه كان لمرداس ابي العبّاس بن مرداس السلمىّ وثنٌ يعبده وهو حجرٌ يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال للعباس اى بُنىّ اعبُدْ ضمار فانه ينفعك ويضرّك فبينا العباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سُليم كلّها * أَوْدى ضمار وعاش اهلُ المسجد
ان الذى ورث النبوّة والهُدى * بعد ابن مريم من قريش مُهتد
أَوْدى ضمارُ وكان يُعبد مرّةً * قبل الكتاب الى النبى محمد

فحرّق العباس ضمارا ولحق بالنبى صلعم فأسلم

والاخبار فى هذا الباب ممّا نُقل من ذلك عن الكهّان او سمع عند الأصنام او هتفت به هواتف الجانّ كثيرة جدا وقد أثبتنا منها ما استحسنّاه ممّا ذكره ابن اسحاق او ذكره سواه

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان ممّا دعانا الى الاسلام مع رحمة الله لنا وهُداهُ لنا كنّا

نسمع من احبار يهود كنّا اهل شرك أصحابَ أوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علمٌ ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرورٌ فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبيّ يُبْعَث الآن نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمد صلعم أجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتواعَدوننا به فبادرْناهم اليه فآمنّا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (١)

قال وحدثني صالح بن ابراهيم بن محمود بن لبيد عن سَلَمة بن سلامة بن وقش كان من اصحاب بدر قال كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنّة والنار فقال ذلك

---

(١) س ٢ آ ٨٣

لقومٍ من اهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون ان بعثاً كائنٌ بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أترى هذا كائناً انّ الناس يُبعثون بعد موتهم الى دارٍ فيها جنّةٌ ونار يُجزَون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يُحلَف به ولَوَدَّ أنّ له بحظّه من تلك النار اعظمُ تنورٍ فى الدار يُحمونه ثم يُدخِلونه اياه فيُطيّنونه عليه بأن يَنجُوَ من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان وما آية ذلك قال نبىّ مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكّة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر الىّ وأنا من أحدثهم سنّاً فقال إن يستنفدْ هذا الغلام عمرَه يُدرِكْه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمداً صلعم وهو حىّ بين أظهرنا فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويحك يا فلان ألستَ بالذى قلتَ لنا فيه ما قلتَ قال بلى ولكن ليس به

قال وحدثنى عاصم بن عمر عن شيخ من بنى قُرَيظة قال قال لى هل تدرى عَمّ كان اسلام ثعلبة بن سَعيَة وأُسَيد بن سعية وأسد بن عُبَيد نفرٍ من هذل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتهم فى الاسلام قال قلتُ لا قال فانّ رجلاً من يهود من اهل الشام يقال له

ابن الهيّبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحلّ بين أظهرنا لا والله ما راينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس افضل منه فأقام عندنا فكنّا اذا قحط عنّا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيّبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدّموا بين يدي مخرجكم صدقةً فنقول له كم فيقول صاعاً من تمر ومُدّين من شعير فنُخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرّتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمرّ السحاب ونُسقى قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاث ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قُلنا انت اعلم قال فانما قدمتُ هذه البلدة اتوكّف خروج نبيّ قد اظلّ زمانه وهذه البلدة مُهاجَرُه فكنتُ ارجو ان يُبعث فأتّبعه وقد اظلّكم زمانه فلا تُسبَقُنّ اليه يا معشر يهود فانه يُبعث بسفك الدماء وسَبْي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنّكم ذلك منه فلما بُعث رسول الله صلعم وحاصر بني قريظة قال هاؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً يا بني قريظة والله انه للنبيّ الذي

فهذا اليوم فيه ابنُ الهيّبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو
بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغنا من اخبار يهود

قال وحدثني عاصم عن محمود عن ابن عباس رضه قال حدثني
سلمان الفارسي من فيه قال كنتُ رجلاً فارسياً من اهل اصبهان من
اهل قرية يقال لها جيٌّ وكان ابي دِهقان قريته وكنتُ احبّ خلق
الله اليه لم يزل به حُبُّه اياي حتى حبسني في بيته كما تُحبَس
الجارية واجتهدتُ في المجوسية حتى كنتُ قَطِنَ النار الذي يُوقدها
لا يتركها تخبو ساعةً وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة فشُغل في بنيان له يوماً
فقال لي يا بُنيّ اني قد شغلتُ في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي
فاذهبْ اليها فاطّلعْها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي لا تحتبس
عنّي فانّك ان احتبست عني كنت أهمّ اليّ من ضيعتي وشغلتني
عن كل شيء من امري فخرجتُ أريد ضيعته التي بعثني اليها
فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى فسمعتُ أصواتهم فيها وهم
يصلّون وكنتُ لا أدري ما أمرُ الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما

سمعت أصواتهم دخلتُ اليهم انظرُ ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتُهم ورغبتُ في امرهم وقلتُ هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحن عليه فوالله ما تركتُهم حتى غربت الشمس وتركتُ ضيعة ابي فلم آتها ثم قلتُ لهم اين أصلُ هذا الدين قالوا بالشام فرجعتُ الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كلّه فلما جئتُه قال اي بنيّ اين كنتَ الم اكن عهدتُ اليك بما عهدتُ قلتُ يا ابه مررتُ بأناس يصلّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيتُ من دينهم فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس قال اي بنيّ ليس في ذلك الدين خيرٌ دينُك ودين آبائك خيرٌ منه فقلتُ له كلّا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثتُ الى النصارى فقلتُ لهم اذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلتُ لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيتُ الحديد من رجلي ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام فلما قدمتُها قلتُ مَن افضلُ اهل هذا الدين علما

قالوا الأسقف في الكنيسة فجئته فقلتُ اني قد رغبتُ في هذا
الدين وأحببتُ ان اكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلّم منك
وأصلّي معك قال ادخل فدخلتُ معه فكان رجلَ سوءٍ يامرهم بالصدقة
ويرغّبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يُعطِه
المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق فابغضتُه بُغضاً
شديداً لما رايته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلتُ
لهم ان هذا كان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فاذا جئتموه
بها اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً فقالوا لي وما علمك
بذلك قلت انا أدلّكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع
قلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه ابداً فصلبوه
ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيتُ رجلاً لا
يصلّي الخمس أرى انه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا ارغب في
الآخرة ولا أدأبَ ليلاً ونهاراً منه فأحببتُه حبّاً لم احبّه شيئاً قبله
فأقمتُ معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلتُ له يا فلان اني قد كنت
معك واحببتك حبّاً لم أحبّه شيئاً قبلك وقد حضرك من امر الله

ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني فقال اي بنيّ والله ما أعلم اليوم احداً على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدّلوا الا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب الموصل فقلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني عند موته ان ألحق بك وأخبرني انك على أمره فقال أقِمْ عندي فأقمتُ عنده فوجدتُه خير رجل على امر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبمَ تأمرني قال يا بنيّ والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه الا رجلاً بنَصِيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب نصيبين فأخبرتُه خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقمْ عندي فأقمتُ عنده فوجدته على امر صاحبيه فأقمتُ مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما حُضِرَ قلتُ له يا فلان ان فلاناً كان أوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بنيّ والله ما أعلمه بقي احدٌ على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعَمُورِيّة من

ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فأته فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال اقمْ عندي فاقمتُ عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبتُ حتى كانت لي بقراتٌ وغُنيمة ثم نزل به امرُ الله فلما حُضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال اي بنيّ والله ما أعلمه اصبح على مثل ما كنّا عليه احدٌ من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل زمانُ نبيّ مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرُه الى ارض بين حرّتين بينهما نخلٌ به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوّة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعلْ ثم مات وغُيّب فمكثتُ بعمورية ما شاء الله ان أمكث ثم مرّ بي نفرٌ من كلب تجارٌ فقلت لهم احملوني الى ارض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فأعطيتُهموها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا وادي القُرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت

ان يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي فبينا انا
عنده اذ قدم عليه ابن عمّ له من بني قريظة من المدينة فابتاعني
منه فاحتملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتُها فعرفتُها بصفة
صاحبي فأقمتُ بها وبُعث رسول الله صلعم وأقام بمكّة ما أقام لا
أسمعُ له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرقّ ثم هاجر الى المدينة
فوالله اني لفي راس عذقٍ لسيّدي اعملُ له فيه بعض العمل
وسيّدي جالس تحتي اذ اقبل ابنُ عمّ له حتى وقف عليه فقال
يا فلان قاتل الله بني قيلة والله انهم لمجتمعون بقُباءٍ على رجل
قدم عليهم من مكّة اليوم يزعمون انه نبيّ فلما سمعتُها اخذتني العُرواء
حتى ظننتُ اني سأسقط على سيّدي فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ
أقول لابن عمّه ذلك ماذا تقول فغضب سيّدي فلكمني
لكمةً شديدة ثم قال ما لك ولهذا أقبل على عملك فقلتُ
لا شيء انما أردتُ ان أستثبته عما قال وقد كان عندي شيء قد جمعتُه
فلما أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به الى رسول الله صلعم وهو بقُباءٍ
فدخلتُ عليه فقلتُ له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك

اصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلعم لأصحابه كلوا وأمسك يده فلم ياكل فقلت فى نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحوّل رسول الله صلعم الى المدينة ثم جئته به فقلت انى قد رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلعم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلعم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازةً من أصحابه علىّ شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله صلعم استدبرت به عرف انى استثبت فى شيء وُصِف لى فألقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبّله وأبكى فقال لى رسول الله صلعم تحوّل فتحوّلت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثى كما حدّثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلعم ان يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمانَ الرقّ حتى فاته مع رسول الله صلعم بدر وأُحد .

قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلعم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبى على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلعم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت الى ثلاث مائة ودية فقال لى رسول الله صلعم اذهب يا سلمان ففقّر لها فاذا فرغت فائتنى أكن انا أضعها بيدى ففقرت وأعاننى أصحابى حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج معى اليها فجعلنا نقرّب اليه الودىّ ويضعه رسول الله صلعم بيده حتى فرغت فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأدّيت النخل وبقى علىّ المال فأتى رسول الله صلعم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسىّ المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فأدّها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علىّ قال خذها فان الله سيؤدّى بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس

سلمان سيده اربعين أوقيه فأوفيتُهم حقّهم فشهدتُ مع رسول الله صلعم الخندق حُرًّا ثم لم يَفُتني معه مشهد

وعن سلمان ايضا انه قال لمّا قلتُ وأين تَقَعُ هذه من الذى عليّ يا رسول الله أخذها رسول الله صلعم فقلّبها على لسانه ثم قال خذْها فأوفهم منها فأخذتُها فأوفَيتُهم منها حقّهم كلّه اربعين أوقيه وعنه ايضا انه قال لرسول الله صلعم حين أخبره خبره ان صاحب عمّوريه قال له إئتِ كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلاً بين غَيضتين يخرج فى كل سنه من هذه الغيضه الى هذه الغيضه مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم الا شُفِي فسلْه عن هذا الدين الذى تبتغي فهو يُخبرك عنه

قال سلمان فخرجتُ حتى جئتُ حيث وُصف لى فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليله مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شُفي وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضه التى يريد ان يدخل الا منكبه فتناولته فقال من هذا

والبعث التّى قلتُ برحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم
قال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلّك
نبيّ يُبعث بهذا الدين من اهل الحرم فائته فهو يحملك عليه ثم
دخل فقال رسول الله صلعم لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت
عيسى بن مريم

ومن حديث عمران اسحاق عن ابي سفيان بن حرب قال
خرجتُ انا وأميّة بن ابي الصلت وآخر سقط اسمهُ من كتابي تجاراً
الى الشام قال ابو سفيان فكلّما نزلنا منزلاً أخرج أميّة سِفْراً يقرأه علينا
وكنّا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى قال فرأوه وعرفوه
واهدوا له فذهب معهم الى بيعتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه
واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ثم قال يا ابا سفيان هل لك في
عالم من علماء النصارى اليه انتهى علمُ الكتب يسألُه عما بدا لك
قال قلتُ لا أرب لي فيه والله لئن حدّثني ما أُحبّ لا أثق به ولئن
حدثني ما أكره لأوجلنّ منه قال وذهب و يخالفه شيخ من النصارى
ودخل علينا فقال يعني له وللاجر الذي كان معه ما منعكما ان تذهبا

الى هذا الشيخ قلنا لسنا على دينه قال وانْ فانّكما تسمعان عجباً وترَيانه قال قلنا لا أَرَبَ لنا فى ذلك قال أثقفيّانِ انتما قلنا لا ولكن من قريش قال فما منعكما من الشيخ فوالله انه ليُحبّكم ويُوصِى بكم وخرج من عندنا ومكث أميّة عنا حتى جاءنا بعد هدأةٍ من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما قام ولا نام حتى أصبح قال فأصبح كئيباً حزيناً ساقطاً غبوقه على صبوحه ما يكلّمنا ثم قال ألا ترحَلانِ قلنا وهل بك من رحيل قال نعم فآرحلا فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همّه وبثّه ثم قال ليلةً ألا نتحدّث يا ابا سفيان قلت وهل بك من حديث فوالله ما رايتُ مثل الذى رجعتَ به من عند صاحبك قال لست فيه انما ذلك شىء وجلتُ به من منقلبى قلت وهل لك من منقلب قال إى والله لأموتنّ ولأحاسبنّ قلت فهل انت قائل امانى قال وعلى ما ذا قلتُ على انك لا تبعث ولا تحاسب فضحك ثم قال بلى والله يا ابا سفيان لَتبعثنّ ولَتُحاسبنّ وليدخلنّ فريق فى الجنّة وفريق فى النار قلتُ فى أيّتهما انت أخبرَك صاحبُك قال لا عِلْم لصاحبى فى ذلك فىّ ولا فى نفسه

وكنّا في ذلك ليلتنا نعجب منّا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة
دمشق واتاها كنّا نريد فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين ثم ارتحلنا حتى
نزلنا ببعض القرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه وأهدوا له
وذهب معهم الى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه
الأسودين فذهب ولم يدعُنا اليه كما دعانا اوّل مرّة حتى جاءنا بعد
هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام
ولا قام فأصبح مبثوثاً حزيناً لا يكلّمنا ولا نكلّمه ثم قال لي ألا نرتحل
قلت بلى ان شئت قال فأرحل فرحلنا فسرنا كذلك من بثّه وحزنه
ليالي ثم قال لي ليلة يا ابا سفيان هل لك في المسير ويتخلّف هذا
العلام يستأنس بأصحابنا ويستأنسون به قلتُ له ما شئت قال فسر
فسرنا حتى برزنا قال هي يا صخر قلتُ ما ذاك قال هي عن عتبة بن
ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم قلتُ إي والله قال ويصل الرحم
ويأمر بصلتها قلت نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قال وكريم الطرفين
واسطٌ في العشيرة قلت كريم الطرفين واسط في العشيرة قال فهل تعلم
قُريشيّاً أشرف منه قلت لا والله ما أعلم قال ومُحْوِجٌ هو قلتُ لا بل

دو مال قال فكمْ أتى له قلت هو ابن سبعين نطر اليها قد قاربهما هو لها هوابيها قال السنّ والطرف أزربا به قلت وما لهما أزربا به لا والله بل هما زاداه خيراً قال هو داكك هل لكك في المبيت قلت هل لكك فيه حاجة قال فاصطجعنا حتى مرّ الليل فسرنا حتى نزلنا فكنّا في المنزل وبتنا ثم رحلنا فلما كان الليل قال يا ابا سفيان قلت لبّيك قال هل لك في البارحة قلت هل لي قال فسرنا على نافسي ناحسين حتى اذا برزنا قال يا صخر إيه عن عتبة قلت إيه عنه قال أيجتنب المحارم والمظالم ويأمر بصلة الرحم ويصلها قلت ويفعل قال ومحوج قلت ومحوج قال نعلم فرسنا أسود منه قلت والله ما أعلمه قال وكمْ أتى له قلت سبعون هولها هو ابيها قد أوقعها قال فإنّ السنّ والشرف ازربا به قلت لا والله ما ازربا به ولكنّهما زاداه وأنت قائل شيئا فقُلْه قال والله لا تذكرْ حديثي حتى يأتي ما هو آت قلت والله لا أذكره قال الذي رأيتُ اصابني وإنّي جئتُ هذا العالم فسألتُه عن أشياء قلت اخبرني عن هذا النبي الذي يُنتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمتُ فمن أيّ العرب قال هو من اهل بيتٍ تحجّه

العرب قلت فمذا تبتُ بحجّة العرب قال لا هم إخوتكم وجيرانكم من قريش قال فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وقد كنت أرجو ان أكون انا هو فاذا كان ما كان فصفْه لي قال هو شاب حين دخل في الكهولة بدْءُ أمْره انه يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو مخوج لبس يسارع شرفا كريمُ الطرفين متوسّط في العشيرة أكثرُ جنْده من الملائكة قال قلت وما آية ذلك قال قد رجفت بالشام منذ هلك عيسى بن مريم ثم ثمانون رجْفة كلّها فيهم مصيبةٌ عامّةٌ وبقيت رجفة عامّة فيها مصيبة يخرج على أثرها قال ابو سفيان قلت وان هذا هو الباطل لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه الا شريفا مُسنّا قال والذي تحلف به ان هذا لهكذا يا ابا سفيان هل لك في المبيت فبتنا حتى مرّ بنا الثقل فرحلنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا الحرس خلفنا أصاب الشام بعدكم رجْفةٌ ومرّ أهلُها وأصابتهم فيها مصيبة عظيمة قال وكيف ترى يا ابا سفيان قلت أرى والله ما أظنّ صاحبك الا صادقا وقدمنا مكة فقضيتُ ما كان معي ثم انطلقتُ حتى جئتُ

ارض الحبشة تاجراً فمكثتُ بها خمسة أشهر ثم أقبلتُ حتى قدمتُ مكّة فبينا انا في منزلي جاءني الناس يسلّمون عليّ حتى جاءني في اخرهم محمد بن عبد الله صلعم وعندي هِنْدٌ جالسة تلاعب صبيةً لها فسلّم عليّ ورحّب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق فقلتُ والله انّ هذا الفتى لعجبٌ ما جاءنا احدٌ من قُرَيش له معي بضاعة الا سألني عنها وما بلغتْ و والله انّ له معي لبضاعةً ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألني فقالتْ او ما علمتَ بشأنه قلتُ وفزعتُ ما شأنه قالت والله انه ليزعم انه رسول الله قال فوَقَّرَني ذلك وذكرني قول النصراني ووجمتُ حتى قالت لي ما لك فانتبهتُ وقلتُ ان هذا والله لَهُوَ الباطل لهو أعقل من ان يقول هذا قالت بلى والله انه ليقوله و يُدعى عليه وانّ له لصاحبةً معه على أمره قلتُ هو والله باطل فخرجتُ فبينما انا أطوف اذ لقيتُه فقلتُ انّ بضاعتك قد بلغتْ وكان فيها خيرٌ فأرسِلْ اليها فخُذْها ولستُ آخذاً فيها ما اخذُ من قومك قال فانّي غير آخذها حتى تاخذ مني ما تاخذ من قومي قلتُ ما انا بفاعل قال فوالله إذاً لا اخذها قلتُ فأرسِلْ اليها فأخذتُ منها ما كنتُ اخذ

وبعثتُ اليه ببضاعته ولم أنشب ان خرجتُ تاجراً الى اليمن فقدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة فتغدّيتُ معه ثم قلتُ يا ابا عثمان هل تذكر حديث النصراني قال أذكره قلتُ فقد كان قال ومَن قلتُ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قصصتُ عليه خبر هند قال فالله يعلم انه تصبّب عرقاً ثم قال يا ابا سفيان لعلّه وان صِفَتَه لَهِيَهْ ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلين الله في نصرته عُذراً ومضيتُ الى اليمن فلم أنشب ان جاءني هناك استهلاله وأقبلتُ حتى قدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة بن ابي الصلت قلتُ قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك وسمعتَ قال قد كان قلتُ فأين انت قال ما كنتُ لأُومن برسولٍ ليس من ثقيف قال ابو سفيان فأقبلتُ الى مكّة والله ما انا منه ببعيد حتى جئتُه فوجدتُه هو وأصحابه يُضرَبون ويُقهَرون فجعلتُ أقول فأين جُنْدُه من الملائكة ودخلني ما دخل الناس من النفاسة

ووقع في هذا الحديث من قول ابي سفيان ان عتبة بن ربيعة ذو مال ووقع بعد ذلك من قول ابي سفيان ايضا انه مُحوِج ولا يصحّ ان يجتمع الأمران وأحدُهما غلطٌ من الناقل والله أعلم والمشهور من

حال عتبة انه كان فقيراً وكان يقال لم يسدّ من قريش مُملِق الا عتبة وأبو طالب فانّهما سادا بغير مال

وأما أميّة بن ابى الصلت فرجلٌ من ثقيف لم يَرضَ دين اهل الجاهلية ولا وفّقه الله للدخول فى السمحة الحنيفية فكان كما رُوى عن عُروَة بن الزبير قال سُئِل رسول الله صلعم عن أمية بن ابى الصلت فقال أوتى علماً فضيّعه وكما رُوى عن الحسن وقتادة انّهما قالا فى قول الله تعالى (١) واتْلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين انه أمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق واجتمعت قريش يوماً فى عيد لهمّ عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعتكفون عنده فخلص منهم اربعة نفر نجيّاً ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وَلْيَكْتُمْ بعضكم على بعض قالوا أجَلْ وهم وَرَقة بن نوفل وعُبيد الله بن جحش وعثمان بن الحُوَيرث بن أسد بن عبد العزّى وزيد بن عمرو بن نُفَيل فقال بعضهم

---

(١) س ٧ آ ١٧٤

لبعض تعلّموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يُبصر ولا يضرّ ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم [دينا] فانّكم والله ما انتم على شيء فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتّبع الكتب من أهلها

وذكر الزبير بن بكّار باسناد له الى عروة بن الزبير قال سُئل رسول الله صلعم عن ورقة بن نوفل فقال لقد رأيته في المنام عليه ثياب بيض فقد أظنّ انه لو كان من اهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله في شعره في الجاهلية ويسبّحه وهو الذي يقول

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم * انا النذير فلا يغرركم احدُ
لا تعبدون إلاهاً غير خالقكم * فان دعوكم فقولوا بيننا حددُ
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له * ربّ البرية فرد واحدٌ صمدُ
سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ له * وقبل سبّحه الجوديّ والجمدُ
مسخّرٌ كل ما تحت السماء له * لا ينبغي ان يُناوي مُلكه احدُ
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودي المال والولدُ

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه * والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجنّ فيما بينها بُرُد

اين الملوك التى دانت لعزّتها * من كل أوب اليها وافدٌ يفد

حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذب * لا بدّ من ورده يوماً كما وردوا

وفى هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير والبيت الأخير كذلك وفيه أبيات تُروى لأمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق وأما عبيد الله بن جحش فانه أقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة ومعه امرأته أمّ حبيبة بنت ابى سفيان مُسلِمةً فلما قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانياً وخلف رسولُ الله صلعم بعده على امرأته أم حبيبة وكان حين تنصّر يمرّ بأصحاب رسول الله صلعم فيقول فقّحنا وصأصأتم اى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد وأما عثمان بن الحُوَيرث فقدم على قَيصَر ملك الروم فتنصّر وحسنت منزلته عنده

وذكر الزبير ان قيصر ملّكه على اهل مكّة وكتب له اليهم فأنفت قريش ان يدينوا لأحدٍ وصاح فيهم ابن عمّه ابو زمعة الأسود بن المطلب بن اسد والناسُ فى الطواف انّ قريشاً لا تَملِكُ ولا تُملك فمضتْ قريش على كلامه ومنعوا عثمان ما جاء يطلب فرجع الى قيصر ومات بالشام مسموماً يقال سَمَّه عمرو بن جفْنة الغسّانى الملك وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له

قال ابن اسحاق وأما زيد بن عمرو بن نُفَيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تُذبَح على الأوثان ونَهى عن قتل المَوْؤُودَة وقال أعبُدُ ربَّ ابراهيم وبَادَى قومَه بعَيب ما هم عليه

قالت أسماء بنت ابى بكر الصديق رضها لقد رايتُ زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مُسنِداً ظهرَه الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انّى أعلم ايّ الوجوه أحبُّ اليك عبدتُك به ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحلته وسأل ابنُه سعيد بن زيد وابن عمّه

عمر بن الخطاب بن نفيل سألا رسول الله صلعم أنستغفر لزيد بن عمرو قال نعم فإنه يبعث أمة وحده وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه

أربًّا واحدًا أم ألف ربٍّ * أدين إذا تقسمت الأمورُ
عزلتُ اللات والعزّى جميعاً * كذلك يفعل الجلدُ الصبور
فلا العزّى أدينُ ولا ابنتيها * ولا صنمَيْ بني عمرو أزور
ولا غنمًا أدينُ وكان ربًّا * لنا في الدهر إذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي مُعجبات * وفي الأيام يعرفُها البصير
بأنّ الله قد أفنى رجالاً * كثيرًا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببرّ قوم * فيربلُ منهم الطفلُ الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يومًا * كما يتروّح الغصنُ المطير
ولكن أعبدُ الرحمن ربي * ليغفر ذنبي الربُّ الغفور
فتقوى الله ربكمُ احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنانٌ * وللكفار حامية سعير
وخزيٌ في الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل وذكر ابن هشام ان اكثرها لأمية بن ابي الصلت في قصيدة له

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا * وقولاً رصيناً لا يني الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إلهٌ ولا ربٌّ يكون مُدانيا

ألا ايّها الانسان اياك والرَدى * فانّك لا تُخفي من الله خافيا

وإياك لا تجعل مع الله غيره * فانّ سبيل الرُشد أصبح باديا

حنانَيْك ان الجنّ أنت رجاؤهم * وأنت إلهي ربّنا ورجائيا

رضيتُ بك اللهم ربّاً فلن أرى * أدينُ الهاً غيرك الله ثانيا

وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمةٍ * بعثتَ الى موسى رسولاً مناديا

فقلت له يا اذهبْ وهارون فادْعُوا * الى الله فرعون الذي كان طاغيا

وقُولا له أأنت سوّيت هذه * بلا وتدٍ حتى اطمأنّتْ كما هيا

وقولا له أأنت رفعت هذه * بلا عمدٍ أرْفِقْ اذا بك بانيا

وقولا له أأنت سويت وسطها * مُنيرا اذا ما جنّه الليلُ هاديا

وقولا له من يرسل الشمس غدوةً * فيصبح ما مسّتْ من الأرض ضاحيا

وقولا له من ينبت الحبّ في الثرى * فيُصبح منه البقل يهتزّ رابيا

ويخرج منه حبّه في رؤوسه * وفي ذاك آياتٌ لِمَن كان واعيا

وأنت بفضلٍ منك نَجّيت يُونُساً * وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ لياليا

وانّي وإن سبّحتُ باسمك رَبّنا * لأُكثرُ إلّا ما غفرْتَ خطائيا

فرَبّ العباد ألْقِ سَيباً ورحمةً * عليّ وبارِك في بَنِيّ وماليا ·

وقال زيد بن عمرو ايضا ·

اسلمتُ وجْهي لِمَن أسلمَتْ * له الأرض تحمِلُ صخْراً ثقالا

دَحاها فلمّا رآها استَوَتْ * على الماء أرْسَى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهي لمن اسلمتْ * له المُزْنُ تَحمل عَذْباً زُلالا

إذا هيَ سِيقَتْ الى بلدةٍ * أطاعتْ فصبّتْ عليها سِجالا

ويُروى ان زيداً كان اذ استقبل الكعبة داخل المسجد قال لبّيك حقّاً حقّاً، تعبّداً ورِقّاً، عُذتُ بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال أنفي لك عانٍ راغم مهْما تجشّمني فانّي جاشم البِرّ أبغي لا الخال، ليس مهجّر كمَنْ قال، ويقال البِرّ أبغي لا الخال، وكان الخطّاب بن نفيل قد آذى زيداً حتى أخرجه الى أعلى مكّة فنزل حِراءَ مقابل مكّة وكان الخطّاب عمّه وأخاه لأمّه ووكّل به شباباً من

بشباب قريش وسفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها
الا سِرًّا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذوه مخافة
ان يُفسِد عليهم دينهم وأن يتابعه احدٌ منهم على فراقه وكان زيد قد
أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين ابراهيم
وكانت امرأته صفيّة بنت الحضرمى كلّما رأته قد تهيّأ للخروج وأراده
آذنت به الخطّاب بن نفيل وكان الخطّاب وكّلها به وقال اذا رأيته همّ
بأمرٍ فآذنيني به ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والأحبار
حتى بلغ الموصل والجزيرة كلّها ثم أقبل فجال الشامَ كلّها حتى انتهى
الى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علمُ أهل النصرانية
فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انّك لتطلُب دينا ما
انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلّك زمانُ نبيّ يخرج
فى بلادك التى خرجت منها يُبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق
به فانّه مبعوث الآن هذا زمانُه وقد كان زيد شامّ اليهودية والنصرانية
فلم يرض شيئا منها فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال

يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه وقال ورقة بن نوفل يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانّما * تجنّبتَ تنّوراً من النار حاميا
بدينك ربّا ليس ربٌّ كمثله * وتركك أوثان الطواغي كما هيا
فأصبحت في دارٍ كريمٍ مُقامُها * تُعلّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تُلاقي خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبّاراً الى النار هاويا
وقد تُدركُ الانسانَ رحمةُ ربّه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن اسحاق وكان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الانجيل لأهل الانجيل من صفة رسول الله صلعم مما أثبت يحنس الحواريّ لهم حين نسخ لهم الانجيل من عهد عيسى ابن مريم انهم في رسول الله صلعم انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب . ولولا انّي صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها احدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئةٌ ولكن من الآن بطروا وظنّوا انهم يعزّونني وأيضاً للرب ولكن لا بدّ من ان تتمّ الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجّانا اي باطلاً فلو قد جاء المنحمنّا هذا الذي يرسله الله اليكم من

عند الربّ روح القِسْط هو الـذى من عند الربّ خرج فهو شهيدٌ علىّ وأنتم أيضاً لانّكم قديماً كنتم معى هذا قلتُ لكم لكيلا تشكّوا فالمنحمّنا بالسريانية هو محمد صلعم وهو بالرومية البَرَقْلِيطس

قال ابن هشام وبلغنى ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتاباً عندهم فكلّما مات رئيس منهم وأفضت الرياسةُ الى غيره خَتَمَ على ذلك الكتاب خاتماً مع الخواتم التى قبلها ولم يكسرها فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلعم يمشى فعثر فقال ابنه تَعِسَ الأبعد يريد النبى صلعم فقال له ابوه لا تفعل فانه نبىٌّ واسمه فى الوصائع يعنى الكتب فلما مات لم تكن لابنه هِمّةٌ الا ان شدّ فكسر الخواتم فوجد ذكر النبى صلعم فأسلم فحسن اسلامه وحجّ وهو الذى يقول

اليك تغدو قلِقاً وضينُها

معترضاً فى بطنها جَنينُها * مخالفاً دينَ النصارى دينُها

وقد جاءت أحاديث حِسانٌ بما وقع من صفة النبى صلعم فى التوراة لم يذكر ابن اسحاق منهم شيئاً فمن ذلك ما ذكره الواقدى عن عطاء بن يسار قال لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاصى فقلت اخبرْنى

عن صفة رسول الله صلعم في التوراة فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا ايها النبي انّا أرسلناك شاهداً ومبشّرا ونذيراً (١) وحِرْزاً للأميين انت عبدي ورسولي سمّيتك المتوكّل ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يدفع السيّئة بالسيّئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يُقيم به المِلّة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً قال عطاء ثم لقيتُ كعب الأحبار فسألته فما اختلفا في حرف

وذكر الواقدي ايضا عن النعمان السبائي قال كان من أحبار اليهود باليمن فلما سمع بذكر النبي صلعم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبيّ قد خرج بيثرب فإذا سمعتَ به فافتحه فقال نعمان فلما سمعتُ بك فتحتُ السفر فإذا فيه صفتُك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تُحِلّ وما تحرّم وإذا فيه انك خير الأنبياء وأمّتك

---

(١) س ٣٣ آ ٤٤

خير الأمم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم يحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدّق به فكان النبي صلعم يحبّ ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوماً فقال له النبي صلعم يا نعمان حدّثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوّله فرئي رسول الله صلعم يبتسم ثم قال اشهد اني رسول الله ويقال ان النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي وقطّعه عضواً عضواً وهو يقول أشهد ان محمداً رسول الله وانك كذّاب مفتر على الله عز وجل ثم حرقه بالنار

***

ذكر المبعث

قال ابن اسحاق فلما بلغ رسول الله صلعم اربعين سنة بعثه الله رحمةً للعالمين وكافة للناس وكان الله تعالى قد أخذ له الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم ان يؤدّوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلعم (١) وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي اى ثقل ما حمّلتكم من عهدى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر وأدّوا ذلك الى من آمن بهم وصدّقهم من اهل هذين الكتابين

---

(١) س ٣ آ ٧٥

فعن عائشة رضها ان اول ما ابتُدِئ به رسول الله صلعم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يُرَى رويا الا جاءت كفَلَق الصُّبح وحبّب الله اليه الخلوةَ فلم يكن شيء أحبَّ اليه من ان يخلو وحده

وعن بعض أهل العلم ان رسول الله صلعم حين أراده الله بكرامته وابتدائه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسرَ عنه البيوتُ ويُفضِيَ الى شعاب مكة وبطون اوديتها فلا يمرّ رسول الله صلعم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله فيلتفت رسول الله صلعم حوله عن يمينه وشماله فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحِرَاءٍ في شهر رمضان

وعن عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي يحدث كيف كان بدءُ ما ابتُدِئ به رسول الله صلعم من النبوة حين جاءه جبريل قال كان رسول الله صلعم يجاور في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنّث به قريش في الجاهلية والتحنُّث التبرُّر فكان يجاور ذلك

الشهر من كلّ سنة نُطعِم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته فطوف بها سبعاً او ما شاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى اراد الله به فيه ما اراد من كرامته وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلعم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحمَ العباد بها جاءه جبريل بأمر الله قال رسول الله صلعم فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قلت ما أقرا فغتّنى به حتى ظننتُ انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرا فغتّنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أقرأ فغتّنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ماذا أقرا ما أقول ذلك الا آفتداءً منه ان يعود لى بمثل ما صنع فقال اقرا بأسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببتُ من نومى فكانما كُتبتْ فى قلبى كتابا فخرجت حتى

اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي الى السماء أنظر فاذا جبريل في صورة رجل صافّ قدميه في أُفُق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها الا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم امامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً الى أهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مُضيفا اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا اليّ ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني أرجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلعم

انه رأى وسمع فقال ورقة قُدّوس قُدّوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبي هذه الامة فقولى له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلعم فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلعم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخى اخبرنى بما رايت وسمعت فأخبره رسول الله صلعم فقال له ورقة والذى نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولَتُكَذَّبَنَّه ولتؤذَيَنَّه ولتقاتلَنّه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصُرَنّ الله نصراً يعلمه ثم أدنى راسه منه فقبّل يافوخه ثم انصرف رسول الله الى منزله

ويروى عن خديجة انها قالت لرسول الله صلعم أيْ ابْنَ عَمّ استطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله صلعم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا ابن

عم فأجلس على فخذى اليسرى فقام فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل فاقعد على فخذى اليمنى فتحوّل فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل فأجلس فى حجرى فتحوّل فجلس فى حجرها ثم قالت له هل تراه قال نعم فتحسّرت وألقت خمارها ورسول الله صلعم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان

ويروى ان خديجة أدخلت رسول الله صلعم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل

وابتدئ رسول الله صلعم بالتنزيل فى رمضان يقول الله عز وجل (١) شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ وقال (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الى خاتمة

(١) س ٢ آ ١٨١

(٢) س ٩٧ آ ١

السورة وقال (١) حٰمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وقال (٢) إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ يعنى ملتقى رسول الله صلعم والمشركين ببدر وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان

هكذا أورد ابن اسحاق زج هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل فى شهر رمضان على رسول الله صلعم وفى صورة هذا الاستشهاد نظر فإن ظاهر قوله سبحانه شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن عموم نزول القرآن بجملته فيه وكذلك قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وانا أنزلناه فى ليلة مباركة ولم يقع الامر فى انزاله على رسوله صلعم هكذا بل أنزله الله عليه فى رمضان وفى غيره مفرقا آيات وسوراً بحسب سؤال السائلين او أحداث المحدثين او ما شاء

---

(١) س ٤٤ آ ١-٤

(٢) س ٨ آ ٤٢

الله من هدايه العالمين وقد و ل في قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل
فيه القران اى الذى انزل فى شانه القران اى نزل الامر من الله
عزّ وجلّ بصيامه كتابا يُتلى وقرانا لا يُدرس ولا يبلى كما يقال نزل
القران بالصلاة اى نزل حكم بيّنه بعرضها ونزّل القران فى عائشة
واما انزلت فيه آيات براءتها من الإفك ومثل هذا الاطلاق
موجود فى الاحاديث والاثار كثيراً والمسلّم ان معنى قوله انزل فيه
القران اى ابتدئ فيه إنزاله وقد قيل ذلك وليس بعيد فى
المفهوم ولا هو ما يضيق عنه سعة الكلام ثم يجرى ذلك المجرى فى
الاية من الأخريين وهما (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ (٢) وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
فى ليلة القدر وان بعد ذلك فهما اما ورد من الاثار المصححة
بحكم عمومها حسبما نذكره بعد فما بال الاية الاخرى التى هى (٣) وما

١) س ٤٤ آ ٢
(٢) س ٩٧ آ ١
(٣) س ٨ آ ٤٢

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى الْجَمْعَانِ تنتظم فى هذا النظام وقد اعقبها مفسّراً بان المعنى بذلك يوم بدر وهو الحق وهل كان يوم بدر الا فى السنة الثانية من الهجرة وبعد اثنتىْ عشرة سنة من البعث ونزول الوحى او بعد خمس عشرة سنة ما ورد من الخلاف فى مدة مكث رسول الله صلعم بمكة بعد النبوة وما زال القران المكّى والمدنىّ ينزل فيما مضى تلك السنين فإن كان ابن اسحاق عنى ما ذكرناه عنه ونسبناه اليه فقد بيّنّا وجهَ ردّه واستوفينا التنبيه عليه وإن كان عنى غير ذلك فقصّر عنه تحرير عبارته او سقط على الناقل من كلامه ما كان يفى لو بقى افهامه فالله تعالى اعلم والرجل أولى منا بان يُصيب ويسلم الا انه لا يُنكر ان يغلط هذا البشر ونعوذ بالله ان نقصد بهذا الاعتداء على ذى علم او الغض من ذى حق فان العلماء هم أباؤنا الاقدمون وهُداتنا المتقدمون بأنوارهم نسرى فنُبصر ونستبصر وإلى غاياتهم نجرى فطورا نَصِل وأطوارا نقصر فلهم دوننا قصب السبق، ولهم علينا فى كل الاحوال أعظم الحق، اذا أصابوا اهتدينا، وإذا أخطؤا اسفدنا، واذا أفادوا استفدنا، فجزاهم

الله عنا أفضل الجزاء، ووفّقنا لتوفية حقوق الائمة والعلماء، وبعد فمن أحسن ما يتعلق بتلك الايات الثلاث التى صدر بها كلامه مما يحفظ حكم عمومها، ويطابق ظاهر مفهومها، ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضه ان القران أُنزِل جملة واحدة فى شهر رمضان الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العِزّة ثم أنزل على النبى صلعم شيئاً فشيئاً الى حين وفاته

وقيل للشعبى شهر رمضان الذى أنزل فيه القران اما كان ينزل فى سائر السنة قال بلى ولكن جبريل عم كان يعارض محمدا صلعم فى شهر رمضان ما انزل فى ماضى السنة فيمحو الله ما يشاء ويُثبت

قال ابن اسحاق ثم تتابع الوحىُ الى رسول الله صلعم وهو مؤمن بالله مصدِّق لما جاءه منه قد قبِله بقَبوله وتحمّل منه ما حُمِّله على رضا العباد وسَخَطِهم وللنبوة اثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقَوْن من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله صلعم على امر الله على ما يَلقى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت

بنت خديجة ابنة خويلد وصدّقت بما جاءه من الله وآزرته على أمره .
فكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدّق بما جاء منه فخفّف الله
بذلك عن رسوله لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب
له فيحزنه ذلك الا فرّج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبّته وتخفّف
عليه وتصدّقه وتهوّن عليه امر الناس رحمها الله

ثم فتر عن رسول الله صلعم الوحيُ حتى شق عليه وأحزنه
فجاءه جبريل بسورة وَالضُّحَى يُقسم له ربّه جل تعالى وهو الذي
أكرمه بما أكرمه به ما ودّعه وما قلاه فقال (١) والضُّحَى واللَّيل إذا سجى
ما ودّعك ربّك وما قلى يقول ما صرمك فتركك وما أبغضك
منذ أحببتك وللآخرة خيرٌ لك من الأولى اى لما عندى من
مرجعك اليّ خير لك مما عجّلتُ لك من الكرامة في الدنيا
ولسوف يُعطيك ربّك فترضى من الفَلْج في الدنيا والثواب
في الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالّا فهدى ووجدك

(١) س ٩٣ آ ١ — ١١

عائلاً فأغنى يعرفه ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنّه عليه في يُتمه وعَيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر اي لا تكن جبّاراً ولا متكبّراً ولا فحّاشاً فظّاً على الضعفاء من عباد الله وأمّا بنعمة ربّك فحدّث اذكرها وادعُ اليها فجعل رسول الله صلعم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً الى من يطمئنّ اليه من أهله

وافتُرضت عليه الصلاة فصلّى صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته قالت عائشة رضها افتُرضت الصلاة على رسول الله صلعم أول ما افتُرضت ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله أتمّها في الحضر اربعاً وأقرّها في السفر على فرضها الاول ركعتين

وعن بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على رسول الله صلعم أتاه جبريل وهو بأعلى مكّة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ينظر ليُريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلعم كما راى جبريل توضأ ثم قام

به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلعم بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها ثم صلّى بها كما صلى به جبريل وصلت بصلاته

وعن نافع بن جُبير بن مُطعم وكان كثير الرواية عن ابن عبّاس رضّه قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلعم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشّفَق ثم صلى به الصّبح حين طلع الفجر ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثلَيْه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مُشْرِق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس

قال ابن اسحاق ثم كان أوّل ذَكرٍ من الناس آمن برسول الله صلعم وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تبارك وتعالى عليّ بن ابى

طالب رضه وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله به عليه انه كان فى حجر رسول الله صلعم قبل الاسلام وذلك ان قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدةٌ وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلعم للعباس عمه وكان من أيسر بنى هاشم يا عباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخُذُ من بنيه رجلا وتاخذ انت رجلا فنكفلهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا ابا طالب فقالا انا نريد ان نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما ويقال عقيلا وطالباً فأخذ رسول الله صلعم عليّاً فضمّه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علىّ مع رسول الله صلعم حتى بعثه الله نبياً فاتبعه على وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

وذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلعم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن ابى طالب مستخفياً من

ابى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ان يمكثا ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله يا ابن اخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال اى عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم اوكما قال صلعم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت اى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه اوكما قال فقال ابو طالب اى ابن اخي اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت

وذكروا انه قال لعلي اى بني ما هذا الدين الذي انت عليه فقال يا أبت آمنت برسول الله وصدقت بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه

قال ابن اسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلعم فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن ابي طالب وعن غير ابن اسحاق ان زيدا أصابته في الجاهلية سباء فاشتراه حكيم بن حزام

لعمته خديجة بنت خويلد وقيل بل وهبته لها فوهبته خديجة لرسول الله صلعم فاعتقه وتبناه وذلك قبل ان يوحى اليه وكان ابوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحيٌّ فيرجى ام اتى دونه الأجل

فوالله ما أدري واني لسائلٌ * اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل

ويا ليت شعري هل لك الدهر اوبةٌ * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه اذا قرضها أفل

وان هبت الارواح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

سأعمل نصّ العيس في الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف او تسأم الإبل

حياتي او تأتي عليّ منيتي * فكل امرئ فانٍ وإن غرّه الأمل

ثم ان أناسا من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فأعلموا اباه ووصفوا له موضعه وعند من هو فخرج ابوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه وقدما مكة فسألا عن النبي صلعم فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكّون العاني وتطعمون الاسير جئناك في ابننا عندك

فامْنُنْ علينا وأحسِنْ الينا فى فدائه قال من هو قالا زيد بن حارثة فقال رسول الله صلعم فهلّا غير ذلك قالا ما هو قال ادعوه فاخيّروه فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارنى فوالله ما انا بالذى أختارُ على من اختارنى أحداً قالا قد زِدتَنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم قال من هذا قال ابى وهذا عمى قال قد علمتَ ورايت صحبتى لك فاخترنى او اخترهما قال زيد ما انا بالذى اختار عليك أحداً انت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرّية وعلى ابيك وعمك وأهل بيتك قال نعم قد رايت من هذا الرجل شيئا ما انا بالذى أختار عليه أحداً ابداً فلما راى ذلك رسول الله صلعم أخرجه الى الحِجْر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابنى يرثنى وأرثه فلما سمع ذلك ابوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ودُعِىَ زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام ونزلت (١) أُدْعُوهم لآبائِهِمْ هُوَ اقسطُ عِنْدَ آللهِ فدُعِىَ من يومئذ زيد بن حارثة

---

(١) س ٣٣ آ ٥

قال ابن اسحاق ثم أسلم ابو بكر بن ابي قُحافة رضه واسمه
عَتيق وقيل عبد الله وعتيق لقبٌ لحُسْن وجهه وعتقه فيما قال
ابن هشام واسم ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن
سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ فلما أسلم أظهر اسلامه ودعا
الى الله والى رسوله وكان ابو بكر رضه رجلا مألفاً لقومه محبّباً سهلا
وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير
وشر وكان رجلا تاجراً ذا خُلُق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه
لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحُسْن مجالسته فجعل يدعو
الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه و يجلس اليه فأسلم بدعائه
فيما بلغني عثمان بن عفان بن ابي العاصي بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ والزبير بن العوام بن خويلد بن
اسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ وعبد الرحمن بن عوف بن عبد
عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب وسعد بن ابي وقّاص
مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة وطلحة بن عبيد
الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فجاء بهم

الى رسول الله صلعم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا فكان رسول الله صلعم يقول فيما بلغني ما دعوت احدًا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوةً ونظرٌ وتردّدٌ الا ما كان من ابى بكر بن ابى قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردّد فيه قال فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام وصلّوا وصدّقوا رسول الله صلعم بما جاءه من الله

ثم أسلم ابو عُبَيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيب بن ضبّة بن الحرث بن فهر وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والارقم بن ابى الارقم بن أسد ابى جُندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون وعبيدة بن الحرث بن المطّلب بن عبد مناف بن قُصَيّ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤى وامرأته فاطمة

بنت عمه الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت
ابي بكر الصّدّيق وعائشة بنت ابي بكر الصديق وهي يومئذ صغيرة
وخبّاب بن الأرتّ حليف بني زهرة وعُمير بن ابي وقاص أخو
سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة
وجماعة سوى هولاء سماهم ابن اسحاق قال ثم دخل الناس في
الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة
وتُحُدِّث به

ثم ان الله عزوجل أمر رسوله ان يصدع بما جاءه منه وأن يُنادي
الناس بأمره ويدعوا اليه وكان ما أخفى رسولُ الله أمره واستتر به
الى ان أمره الله بالظهارة ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ثم قال له
الله اصدعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين ثم قال وأنذرْ عشيرتك
الاقربين واخفضْ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إني
انا النذير المبين قال وكان أصحاب رسول الله صلعم اذا صلّوا ذهبوا في
الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن ابي وقاص في
نفر من أصحاب رسول الله صلعم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر

عليهم ناس من المشركين وهم يصلّون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بِلَحْيِ بَعِيرٍ فشجّه فكان أول دم هُرِيقَ فى الاسلام فلما بادى رسول الله صلعم قومه بالاسلام وصَدَعَ به كما أمره الله لم يبعدْ منه قومه ولم يردّوا عليه حتى ذكّر آلِهَتَهُمْ وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا مَنْ عصم اللهُ منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحَدِبَ على رسول الله صلعم عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلعم على امر الله مُظهِراً له لا يرده عنه شيء

فلما رأت قريش ان رسول الله صلعم لا يُعتِبهم من شيء انكروه عليه من فراقهم وعيْب آلهتهم ورأوا ان عمه ابا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يُسلِمه لهم مَشى رجال من أشرافهم الى ابى طالب عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب وأبو البَخْتَرى بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ والاسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى وابو جهل بن

هشام بن المغيرة ونُبيئة ومُنبّه ابنا الحجاج والعاصى بن وائل او من مشى منهم فقالوا يا ابا طالب ان ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا فإما ان تُخلّيَ بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقاً وردّهم ردّاً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلعم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شَرِيَ الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلعم بينها فتذامروا فيه وحضّ بعضهم بعضاً عليه ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا له يا ابا طالب ان لك سنّا وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تَنْهَهُ عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احدُ الفريقين او كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظُم على ابى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلعم ولا خذلانه وذكر ان ابا طالب حين قالت له قريش هذه

المقالة بعث الى رسول الله صلعم فقال له يا ابن اخي ان قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلعم انه قد بدا لعمه فيه بداء وانه خاذله ومُسلِمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يُظهره الله او أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلعم فبكى ثم قام فلما ولّى ناداه ابو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمُك لشيء ابدا

ثم ان قريشا حين عرفوا ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلعم وإسلامه مشوا اليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدُ فتى في قريش وأجملُه فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا وأسلمْ الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم

فتقتله فإذا ما هو رجل كرجل قال والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبداً فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً فقال له ابو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك او كما قال فحقب الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً

قال ثم ان قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلعم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله تبارك وتعالى رسوله منهم بعمه ابي طالب وقد قام ابو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلعم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الا ما كان من ابي لهب

فلما راى ا و طالب من قومه ما سرّه فى جِدّهم وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل رسول الله فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه الى أمره فقال

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرّها وصميمُها

وانْ حصّلت أشرافُ عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمُها

وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرّها وكريمُها

تداعت قريش غثّها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حُلومها

وكنّا قديما لا نُقرّ ظلامة * اذا ما ثنوا صُعْر الخدود نُقيمُها

ونحمى حماها كلّ يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومُها

بنا انتعش العودُ الذوىّ وانما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومُها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع عليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وانّ وفود العرب ستَقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضا ويردّ قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت يا ابا عبد شمس فقل وأقمْ لنا رأيا

نقول فيه قال بل انتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد راينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال وما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قد راينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان القوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل وان أقرب القول فيه لان تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلعم وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها

ولما خشي ابو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته

التي تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلم رسول الله صلعم ولا تاركه لشيء ابدا حتى يهلك دونه وأولها

لما رأيت القوم لا وُدّ فيهم * وقد قطعوا كل العُرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالفوا قوما علينا أظنّة * يعضّون غيظا خلفنا بالانامل
صبرتُ لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضي حلفه كلّ نافل
وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمُفضى السيول من إساف ونائل
موسّمة الاعضاد او قصراتها * مخيّسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذُ بربّ الناس من كل طاعن * علينا بسوء او مُلحّ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن مُلحق في الدين ما لم نحاول

وَثَوْرٍ ومن أَرْسَى ثبيرًا مكانه * وراقٍ ليَرْقَى فى حراءٍ ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر الاسود اذ يمسحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
وموطىء ابراهيم فى الصخر وَطْئَةً * على قدميه حافياً غير ناعل
ومَنْ حجَّ بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * إلال الى مُفْضَى الشراج القوابل
وتَوْقافِهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالايدى صُدورَ الرواحل
وليلةِ جمْعٍ والمنازل من مِنًى * وهل فوقها من حُرمة ومنازل
وجمعٍ اذا ما المُقْرَبات أَجَزْنَهُ * سراعاً كما يخرجن من وَقْع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمّون قذفاً رأسَها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحصاب عشية * تُجيز بهم حُجّاج بكر بن وائل
حليفان شدّا عقد ما احتلفا له * وردّا عليه عاطفات الوسائل
وحطْمهم سُمْرَ الصفاح وسَرْحه * وشِبْرِقَهُ وَخْد النَعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذٍ * وهل من مُعيذ يتقى اللهَ عادلِ
يُطاعُ بنا العِدَى ووَدّوا لو اننا * تُسَدُّ بنا أبواب تُرْك وكابُلِ

كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن الا أمرُكم في بلابل

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونُسلمه حتى نُصرَّع حوله * ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعْل الانكب المتحامل

وانّا لعمرُ الله ان جدّ ما أرى * لتلتبسنْ أسيافنا بالاماثل

بكفّيْ فتًى مثل الشهاب سميْدعٍ * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

وما تَرْكُ قوم لا ابالك سيداً * يحوط الذمار غير ذرب مُواكل

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه * ثمالُ اليتامى عِصْمة للأرامل

يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شرّ عاجلا غير آجل

بميزان قسْطٍ لا يُخيس شعيرةً * له شاهدٌ من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلامُ قوم تبدلوا * بني خلف قيْضاً بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قُصيّ في الخطوب الاوائل

وسهْمٌ ومخزوم تمالوا وألّبوا * علينا العِدى من كل طِمْلٍ وخامل

فعبد مناف أنتمُ خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كلّ واغل

لعمري لقد وهنتمُ وعجزتمُ * وجئتم بأمر مخطئٍ للمفاصل

فإن تك قوماً نتّئرْ ما صنعتمو * وتحتلبوها لقحةً غير باهل

وأبلغ قصيّاً أن سيُنشر أمرُنا * وبشّر قصيّاً بعدنا بالتخاذلِ

ولو طرقتْ ليلاً قصيّاً عظيمة * اذا ما لجأنا دونهم في المداخل

ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم * لكُنّا أُسى عند النساء المطافل

فإن تك كعب من لؤيّ صغيرةً * فلا بدّ يوماً مرّةً من تزايل

وكلّ صديق وابن اخت نعدّه * لعمري وجدنا غبّه غير طائل

سوى أنّ رهطاً من كلاب بن مرّة * براءٌ الينا من معقّة خاذل

ونعم ابنُ اخت القوم غير مكذّب * زهيرٌ حساماً مُفْرَداً من حمائل

اشمّ من الشمّ البهاليل ينتمي * الى حسب في حومة المجد فاضل

لعمري لقد كُلّفتُ وجداً بأحمد * وإخوته دأْبَ المُحبّ المُواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لاهلها * وزيناً لمن والاه ربّ المشاكل

فمنْ مثلُه في الناس أيّ مؤمّل * اذا قاسه الحكّام عند التفاضُل

حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي إلاهاً ليس عنه بغافل

فأيّده رب العباد بنصره * وأظهر ديناً حقّه غير ناصل
فوالله لولا ان اجيء بسُبّة * تُجَرّ على أشياخنا في القبائل
لكنا اتّبعناه على كل حالة * من الدهر جِدّاً غير قول التهازُل
لقد علموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمدُ في أرومة * يُقصّر عنها سَوْرةُ المتطاول
حدبْت بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذُّرَى والكلاكل

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة قال وحدثني من اثق به قال أقْحَطَ اهل المدينة فأتوا رسول الله صلعم فشكوا اليه ذلك فصعد المنبر فاستسقى فما لبث ان جاء من المطر ما اتاه اهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلعم اللهم حَوالَيْنا ولا علينا فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلعم لو ادرك ابو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كانك يا رسول الله أردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
قال أجَل

قال ابن اسحاق فلما انتشر أمر رسول الله صلعم في العرب وبلغ البلدان ذُكر بالمدينة ولم يك حيٌّ من العرب أعلم برسول الله صلعم حين ذُكر وقبل ان يُذْكَر من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت الاوسي وكان يحب قريشاً وكان يقيم فيهم السنين بامراته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصيّ قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويامرهم بالكفّ بعضهم عن بعض وعن رسول الله صلعم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه الفيل عنهم فقال

يا راكباً إما عرضتَ فبلِّغَنْ * مغلغلةً عني لُؤَيَّ بن غالب

رسولَ امرءٍ قد راعه ذاتُ بينكم * على النأي محزون بذلك ناصب

وقد كان عندي للهموم معرّس * ولم أقض منها حاجتي ومآربي

أعيذكمُ بالله من شرّ صُنْعكم * وشر تباغيكم ودَسّ العقارب

وإظهارِ اخلاقٍ ونجوى سقيمة * كوَخْز الاشافي وَقْعها حقّ صائب

فـذكّـرتهـمُ بـالله أول وهـلـة * وإحلال إذ رام الطماء الشواذب
وقـل لهـمُ والله يحـكـم حُـكـمه * ذروا الحرب تذهب منكم في المراحب
متى يبعثوها يبعثوها ذميمة * هي الغول للاقصين او للاقارب
تُقطّـع أرحامـا وتُهلـك امّـة * وتبري السديف من سنام وغارب
وابدلكم والحرب لا تبلعنّكم * وحوضاً وخيم الماء مُرّ المشارب
يزيّـن للاقـوام ثـم يـرونـهـا * بعاقبة اذ بيّنت أمّ صاحب
تُحرّق لا تُشوي ضعيفاً وتنتحي * ذوي العزمنكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا اوكان في حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسوّد * طويل العماد ضيفه غير خائب
وماء هُريق في الضلال كانما * اذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبّركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب وأذكروا * حسابكمُ الله خير محاسب
ولي امرئ فاختار ديناً فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فانتم * لنا غاية قد يهتدي بالذوائب
وانتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمّون والاحلام غير عوازب

يصونون أحساداً كراماً عفيفة * مهذبة الانساب من أشائب

يرى طالبي الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هَلكى تهتدي بعصائب

لقد علم الاقوام ان سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب

فقوموا فصلّوا ربكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب

فعند كم منه بلاء ومَصْدَقٌ * غداة ابي يكسوم هادي الكتائب

كتيبته بالسهل تمسي ورَجْله * على القاذفات في رؤوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم * جنود إلاه بين ساف وحاصب

فولّوا سراعاً هاربين ولم يؤُبْ * الى قومه ملحبش غير عصائب

فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسمٌ * يُعاش بها قول آمرئ غير كاذب

ثم ان قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلعم ومن أسلم معه منهم فأغروا برسول الله سفهاءهم فكذّبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلعم مُظْهِر لأمْر الله لا يستخفي به مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم

فحدث عروة بن الزبير انه قال لعبد الله بن عمرو بن العاصي ما أكثر ما رايت قريشاً أصابوا من رسول الله صلعم فيما كانوا يظهرون من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلعم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم اوكما قالوا فبينا هم في ذلك طلع رسول الله صلعم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلعم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلعم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانما على رأسه طائر واقع حتى انّ أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلعم حتى اذا

كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلعم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوه به يقولون انت الذى تقول كذا وكذا للذى يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله نعم انا الذى أقول ذلك فلقد رايت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه فقام ابوبكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشدّ ما رايت قريشاً نالوا منه قط

***

ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب رضه

قال ابن اسحاق وحدثنى رجل من أَسْلَمَ كان واعيةً ان ابا جهل
مر برسول الله صلعم عند الصفا فأذاه وشتمه وقال منه بعض ما يكره
من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلّمه رسول الله صلعم ومولاة
لعبد الله بن جُدعان فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه
فعمد الى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد
المطلب ان أقبل متوشّحا سيفه راجعا من قنص له وكان صاحب
قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله
حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش
الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى فى قريش وأشده شكيمة
فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلعم الى بيته قالت له يا ابا
عُمارة لو رأيت ما لقى ابن اخيك محمد آنفا من ابى الحكم بن هشام
وَجده هاهنا جالسا فأذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم

يكلمه محمد واحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدًّا لابى جهل إذا لقيه أن يقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول فردّ ذلك علىّ ان استطعت فقامت رجالٌ من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا ابا جهل فقال ابو جهل دعوا ابا عمارة فانى والله قد سببت ابن اخيه سبّا قبيحاً وتمّ حمزة على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلعم قد عزّ وامتنع وان حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

وعن محمد بن كعب القُرظىّ قال حُدّثتُ ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش والنبى صلعم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايّها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم

حمزة و رأوا ان أصحاب رسول الله صلعم يزيدون و يكثرون فقالوا بلى
يا ابا الوليد فقم اليه فكلّمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلعم فقال يا ابن اخى انك منا حيث قد علمت من السِّطة فى
العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم
فرقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعِبت به آلهتهم ودينهم
وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر
فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال له رسول الله صلعم قل ابا الوليد
أسمعْ قال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا
الامر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت
تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت
تريد مُلكا ملّكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا
تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطِبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى
نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه او كما
قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلعم يستمع منه قال أفرغت

فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال (١) بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ومضى رسول الله صلعم فيها يقرؤها عليه
فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما
يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلعم الى السجدة منها فسجد ثم قال
قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى
أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال
ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا
بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلّوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوا فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ

(١) س ٤١ آ ١-٤

وان نصنه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان تظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . فقالوا سحرك الله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم

قال ابن اسحاق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه فجاءهم رسول الله صلعم سريعا وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد قد بعثنا اليك لنكلمك وأنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيًّا تراه قد غلب عليك وكانوا يُسمّون التابع من الجنّ رَئيا فربما كان ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نُعْذر فيك فقال لهم رسول الله صلعم ما بي ما تقولون ما جئت بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل عليّ كتاباً وأمرني ان أكون لكم بشيرا ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم او كما قال صلعم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد اضيق بلداً ولا أقلّ ماءً ولا أشدّ عيشا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليُسيّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسطْ لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن لنا فيمن يبعث لنا منهم قُصيّ بن كلاب فانه كان

شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو ام باطل فان صدقوك
وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه
بعثك رسولا الينا كما تقول فقال لهم رسول الله صلعم ما بهذا بعثت
اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم
فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر
الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ
لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول
ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزا من ذهب
وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس
المعاش كما تلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان
كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلعم ما انا بفاعل وما انا
بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً
ونذيراً او كما قال فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة
وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا
فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن

ربك الا ان يفعل فقال رسول الله صلعم ذلك الى الله ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمان ابداً فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلعم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب فلم

يفعل او كما قال له فوالله لا أؤمن لك ابداً حتى تتخذ الى السماء
سُلَّماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصكٍّ معك
اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وَأيْمُ الله لو فعلت
ذلك ما ظننت انى اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلعم
وانصرف رسول الله صلعم الى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان
يطمع به من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه فلما قام
عنهم قال ابو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من
عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهدُ الله
لاجلسن له غداً بحجرٍ ما اطيق حملهُ او كما قال فاذا سجد فى
صلاته فضختُ به رأسه فأسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع
بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء
ابدا فامض لما تريد فلما أصبح ابو جهل أخذ حجرا كما وصف
ثم جلس لرسول الله صلعم ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو
وكان بمكة وقبلته الى الشام وكان اذا صلى صلى بين الركنين
الركن اليماني والحجر الاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام

رسول الله صلعم يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون
ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلعم احتمل ابو جهل الحجر
ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبة
قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه
رجال قريش فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت
لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله
ما رايت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهمّ بي ان يأكلني

قال ابن اسحاق فذُكر لي ان رسول الله صلعم قال ذلك جبريل
لو دنا لاخذه

فلما قال ذلك لهم ابو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن
علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ فقال يا معشر قريش
انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم
غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا
رأيتم في صُدْغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما
هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعُقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو

بكاهن قد راينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما
هو بشاعر لقد راينا الشعر وسمعنا أصنافه كله هزجه و رجزه وقلتم
مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد راينا الجنون فما هو بخنقه ولا
وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا فى شانكم فانه والله
لقد نزل بكم أمر عظيم فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه
وبعثوا معه عقبة بن ابى مُعَيْط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما
سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب
الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة
فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلعم و وصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض
قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا
هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث فأمركم بهن فإن أخبركم
بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فروْا فيه رأيكم
سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم
حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها
ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه

نبى وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابى مُعَيْط حتى قدما مكة فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد أمرنا أحبار يهود ان نساله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبى وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلعم فسألوه عن تلك الاشياء فقال لهم أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثنِ فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلعم فيما يذكرون خمسة عشرة ليلة لا يُحْدِث الله اليه فى ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف اهل مكة وقالوا وَعَدَنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح

— فذكر لى ان رسول الله صلعم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤتَ ظنّا فقال له جبريل وما نتنزّل الا بأمر

ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا فلما جاءهم رسول الله صلعم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه
فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه
عما سألوه عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه
فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال
قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون اى اجعلوه
لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه
وخاصمتموه غلبكم فقال ابو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلعم وما جاء
به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد انما جنود الله الذين يعذبونكم
فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم أعظم الناس عددا وكثرة
أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله فى ذلك من
قوله (1) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا

(1) س ٧٤ آ ٣١

إلى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلعم بالقران وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون ان يستمعوا له فكان الرجل منهم اذا أراد ان يستمع من رسول الله صلعم بعض ما يتلو من القران وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية اذاهم فلم يستمع وإن خفض رسول الله صلعم صوته فظن الذى يستمع انهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه

قال عبد الله بن عباس رضه انما نزلت هذه الآية (١) وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا من أجل اولائك يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب ان يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى الى بعض ما يسمع فينتفع به

وكان اول من جهر بالقران بعد رسول الله صلعم بمكة عبد الله بن

---

(١) س ١٧ آ ١١

مسعود فمما حدّث به عروة بن الزبير قال اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلعم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القران يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود رضه انا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال دعوني فان الله سيمنعني قال فغدا ابن مسعود رضه حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته (١) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ ثم قالوا استقبلها يقراها وتأملوه فجعلوا يقولون ما قال ابن ام عبد ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الان ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها قالوا لا حسبك قد اسمعتهم ما يكرهون

---

(١) س ٥٥ آ ١

وذكر الزهري ان ابا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلعم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى ابا سفيان في بيته فقال أخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت

أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الاخنس وأنا والذي حلفت به كذلك ثم خرج من عنده حتى أتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به ابدا ولا نصدقه فقام عنه الاخنس وتركه

قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلعم اذا تلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا في أكنة لا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك فاعمل بما انت عليه انا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه عنك شيئا فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم (١) وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الى

---

(١) س ١٧ آ ٤٧

قوله (١) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً اى كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقراً وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم اى انى لم أفعل (٢) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً اى ذلك ما تواصوا به من تركك ما بعثتك به اليهم (٣) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً اى اخطؤوا المثل الذى ضربوا لك ولا يصيبون به هدى ولا يعتدل بهم فيه قول (٤) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً اى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد موتنا اذا كنا عظاماً ورفاتاً وذلك ما لا يكون (٥) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً

---

(١) س ١٧ آ ٤٩

(٢) س ١٧ آ ٥٠

(٣) س ١٧ آ ٥١

(٤) س ١٧ آ ٥٢

(٥) س ١٧ آ ٥٣

أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه

وسئل ابن عباس رضه عن قول الله عز وجل او خلقاً مما يكبر فى صدوركم ما الذى أراد به فقال الموت

قال ابن اسحاق ثم انهم عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله صلعم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرَمْضاء مكة اذ اشتد الحرّ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يُصْلُب لهم ويَعصِمه الله منهم فكان بلال بن رباح وهو ابن حمامة لبعض بنى جمح مولّدا من مولّديهم وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرةُ فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحدٌ

أحدٌ وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يُعذّب بذلك وهو يقول احد احد فيقول احد احد والله يا بلال ثم يقبل على أمية ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً اى لاتخذن قبره منسكا ومتمسحا والحنان الرحمة حتى مر به ابو بكر الصديق رضى الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به فقال لامية ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال انت أفسدته فأنقذه فقال ابو بكر أفعلُ عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به قال قد قبلتُ قال هو لك فأعطاه ابو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وأعتق معه على الاسلام قبل ان يهاجر الى المدينة ست رقاب بلال سابعهم عامر بن فُهيرة وأم عُبيس وزنّيرة فاصيب بصرها حين اعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللاتُ والعزى ولا تنفعان فردّ الله اليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا أعتقكما ابدا فقال ابو بكر حلّا يا ام فلان

فقالت حِلٌّ انت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا

قال قد أخذتهما وهما حُرّتان ارجعا اليها طحينها قالتا او نفرغ منه

يا ابا بكر ثم نرده اليها قال او ذلك ان شئتما ومرّ بجارية بني

مُؤمّل حي من بني عدي وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام

وهو يومئذ مشرك فابتاعها ابو بكر فأعتقها وقال له ابوه ابو قُحافة

يا بُنيّ أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذا فعلت ما فعلت

اعتقت رجالا جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك فقال ابو بكر يا ابت

اني انما أريد ما أريد ويُحدّث ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما

قال له ابوه (١) وأمّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ

لِلْيُسْرَى الى آخر السورة وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر

وبأبيه وأمه وكانوا اهل بيت الاسلام اذا حميت الظهيرةُ يعذّبونهم

برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلعم فيقول فيما بلغني صبرا آل

ياسر موعدكم الجنّة فأما أمّه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام وكان ابو

---

(١) س ٩٢ آ ٥ ٧

جهل الفاسق الذي يُغرِي بهم في رجال من قريش اذا سمع بالرجل
له شرفٌ ومنعةٌ قد أسلم أنّبَهُ وأخزاه فقال تركت دين أبيك وهو
خير منك لنُسَفِّهَنّ حلمك ولنفيّلنّ رأيك ولنضعنّ شرفك
وإن كان تاجراً قال والله لنكسدنّ تجارتك ولنُهلكنّ مالك وإن
كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ‧ وقال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس
أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلعم من العذاب
ما يُعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم
ويجيّعونه ويعطّشونه حتى ما يقدر ان يستوي جالساً من شدة الضرّ
الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللاتُ
والعزى إلهك من دون الله فيقول نعم حتى ان الجعل ليمرّ بهم
فيقولون له لا هذا الجعلُ إلهك من دون الله فيقول نعم افتداءً منهم
مما يبلغون من جهده ‧

***

ذكر الهجرة الى ارض الحبشة

قال ابن اسحاق فلما راى رسول الله صلعم ما يصيب اصحابه من البلاء وما هو فيه من العافيه بمكانه من الله ومن عمه ابي طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشه فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلعم الى ارض الحبشه مخافه الفتنه وفراراً بدينهم الى الله فكانت اول هجره كانت في الاسلام وكان اول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امراته رُقيّه بنت رسول الله صلعم وأبو حُذيفه بن عُتبه بن ربيعه معه امراته سهلة بنت سُهيل والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأبو سلمه بن عبد الاسد المخزومي معه امراته ام سلمه وعثمان بن



مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح وعامر بن ربيعه حليف آل الخطاب بن نفيل معه امراته ليلى بنت ابى حثمة وسهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر وابو سبرة بن ابى رهم ويقال بل ابو حاطب بن عمرو ويقال هو كان اول من قدمها وكان هولاء العشرة اول من خرج من المسلمين ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من خرج باهله ومنهم من خرج بنفسه وكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً او ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ان عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم حين امنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله لا يخافون على ذلك احدا قال

يا راكبا بلّغن عنى مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
إنا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجى من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخزي * في الممات وعيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله وأطرحوا * قول النبي وعالوا في الموازين

فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا * وعائذاً بك أن يعلوا فيطغوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضا يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه في ذلك

أبت كبدي لا أكذبنك قتالهم * عليّ وتأباه عليّ أنامل

وكيف قتالي معشراً أدبوكمُ * على الحق أن لا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجن من حرّ أرضهم * فأضحوا على أمر شديد البلابل

فإن تك كانت في عديّ أمانة * عديّ بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكمُ * بحمد الذي لا يُطّبى بالجعائل

وبُدّلت شبلاً شبل كل خبيثة * بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضا

وتلك قريش تجحد الله حقه * كما جحدت عاد ومدين والحِجْرُ

فإن أنا لم أبرق فلا يسعنّني * من الأرض برٌّ ذو فضاء ولا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد * أُبيّن ما في النفس إذ بلغ النقر

فسُمِّيَ عبد الله المُشْرِق بشعره الذي قال

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أميّة بن خلف وهو ابن عمّه

وكان يؤذيه في اسلامه وكان أميّة شريفا في قومه في زمانه ذلك

أَتَيْمَ بن عمرو للذي جاء بغضةً * ومن دونه الشَرْمان والبَرْكُ أَكْتَعُ

أأخرجتني من بطن مكّة آمنا * وأسكنتني في صرح بيضاءَ تُقْذِعُ

تَرِيش نبالا لا يُواتيك ريشها * وتَبْري نبالا ريشها لك أجمع

وحاربتَ أقواما كراما أعزّةً * وأهلكتَ أقواما بهم كنت تفزع

ستعلم إن نابتك يوما مُلِمَّةٌ * وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

وتيم بن عمرو الذي يدعو عثمان هو جُمَح بن عمرو كان اسمه تيماً

قال ابن اسحاق فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلعم

قد أمنوا واطمأنّوا بأرض الحبشة وأنّهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا

بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جَلْدين الى النجاشي فيردّهم

عليهم ليفتنوهم في دينهم ويُخرجوهم من دارهم التي اطمأنّوا بها وأمنوا

فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاصي وجمعوا لهما

هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فيهم فقال أبو طالب حين رأى

ذلك أبياتا يحض النجاشي على حُسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلّمْ أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلّم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الأعادي نفعها والأقارب

وذكر ابن إسحاق من حديث أم سلمة زوج النبي صلعم قالت لما نزلنا أرض الحبشة تعني مع زوجها الأول أبي سلمة جاورنا بها خير جار النجاشي أمّنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاصي وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدّما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه

ان دسلمهم الىكما قبل ان كلمهم قالت فحرجا حتى قدما على
النحاسى ونحن عنده بحير دار عند حير جار فلم سق من بطارقته
بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان تكلماه وقالا لكل بطريق انه قد
صوى الى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا
فى دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى
الملك فيهم اشراف قومهم لىردهم اليهم فإذا كلمنا الملك فيهم
فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا تكلمهم فان قومهم اعلى بهم عينا
وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قربا هداياهما الى النحاشى
فقبلها ثم قالا له ايها الملك انه صوى الى بلدك منا غلمان سفهاء
فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا
نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا الىك فيهم اشراف قومهم من ابائهم
وأعمامهم وعشائرهم لىردهم اليهم فهم اعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا
عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شىء ابغض الى عبد الله بن ابى
ربيعة وعمرو بن العاصى من ان يسمع كلامهم النحاشى فقالت
بطارقته صدقوا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم

فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي ثم قال لاها الله اذاً لا أسلمهم اليهما ولا يُكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعُوهم فأسئلهم عما يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولان لاسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلعم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين احد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال له ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوارّ ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد

نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله وعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم الله علينا واحللنا ما أحلّ لنا فعدى قومنا علينا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له جعفر نعم قال فاقرأه عليّ فقرأ عليه صدرا من كهيعص (١) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته

(١) س ١٩

وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم
قال لهم النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة
واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ابدا ولا يكاد فلما خرجا من عنده
قال عمرو بن العاصي والله لآتينه عنهم غدا بما أستأصل به خضراءهم
قالت فقال له عبد الله بن ابي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا
تفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم
يزعمون ان عيسى بن مريم عبدٌ ثم غدا عليه فقال ايها الملك انهم
يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فسلهم عما يقولون فيه قالت
فأرسل اليهم ليسألهم عنه ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ثم قال
بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه
فقالوا نقول والله ما قال الله وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو
كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى
بن مريم قالت فقال جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاء
به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم
العذراء البتول فضرب النجاشي بيده الى الارض فأخذ منها عودا ثم

قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود قالت فتناخرت
بطارقتُه حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم
شُيوم بأرضي آمنون مَنْ سبّكم غُرِّم من سبّكم غرم من سبكم غرم فما
احب ان لي دبْرا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم ويقال دبْرا وهو
الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة
لي بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة
فيه وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحَين
مردودا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت
فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في
مُلكه قالت فوالله ما علمنا حزنّا حُزنا قط كان أشد علينا من حزن
حزنّاه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي
فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النجاشيّ يعرف منه وسار اليه
النجاشي وبينهما عُرْض النيل فقال أصحاب رسول الله صلعم من
رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال
الزبير بن العوّام انا قالوا فأنت وكان من أحدث القوم سنًّا فنفخوا

له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع علينا الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول الا ابشروا فقد ظهر النجاشي واهلك الله عدوه قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي وقد اهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه امر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلعم

قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال هل تدري ما قوله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطيع الناس فيه قال قلت لا قال فان عائشة ام المؤمنين حدثتني ان اباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا اهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو انا قتلنا ابا النجاشي وملكنا اخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وان

لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت

الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه

فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما

من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة

مكانه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وإنا

لنتخوف أن يملكه علينا ولئن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف

أنا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا إما أن تقتل هذا الفتى

وإما أن تُخرجه من بين أظهُرنا فإنا قد خفناه على أنفسنا قال

ويلكم قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم

قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة

درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشيّ من ذلك

اليوم هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر

تحتها فأصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده

فاذا هو مُحمق ليس في ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق

عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم

الذى لا يقيم أمركم غيره للذى صنع من عداوته فان كان لكم بأمر الحبشة
حاجة فأدركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه
منه حتى أدركوه فأخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه
على سرير الملك فملّكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال إمّا
أن تُعطونى مالى وإما أن أكلّمه فى ذلك قالوا لا نعطيك شيئا قال اذن
والله أكلمه قالوا فدونك قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال
أيها الملك ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الىّ
غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سرت بغلامى أدركونى فاخذوا غلامى
ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتُعطُنّه دراهمه أو ليضعنّ
غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه
قالت فلذلك يقول ما أخذ الله منى رشوة حين رد علىّ مُلكى فآخذ
الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك
أول ما خُبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه وعن عائشة قالت
لما مات النجاشى كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وذكر
ابن اسحق ايضا عن جعفر بن محمد عن أبيه ان الحبشة اجتمعت

فقالوا للنجاشي انك قد فارقت دينا وخرجوا عليه فارسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب وكتب فيه وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفّوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال فما بالكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فما تقولون أنتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئا وانما يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبي صلعم فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له



تم الجزء الاول بعون الله وحسن توفيقه

(جدول الخطاء والصواب)

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٦	٥	واسماه	وسمّاه
٦	١٥	هائبى	هاتفى
٩	١١	ويكسه وبفنسه * والسحر الحلال	ونكته الامثال ونفثته السحر الحلال
١	١٣	من ذى حجه	من ذى الحجه
١٣	٩	ونكته الامدال	ونكته الامثال
٢٣	١١	د وسه	سويه
٢٤	٧	للموله د	للموالد
٢٨	٩	د لرضى	بالرضى
»	١٣	لذى حجه	لذي الحجه
٢٩	١٢	دوبه	سوية
٣٣	٧	وتعرف	وتعرف
٣٥	٥	ابى على المعرى	ابي العلاء المعرّى
٤٥	٣	ابى المعرى	ابى العلاء المعرّى
٤٩	١	تهذنه	تهذيه
٥	١	سوبه	سويه
٥١	٤	اردب احص	اردب احص
٦٣	١ و ١	عتّر	عتّر
٦٣	٥	مسمى بن	مشمى من
	١٤	مصرا	مصر

(تابع جدول الخطأ والصواب)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٥	١٥	قل	قال
٦٨	٨	وطابخه	وطابخة
٦٩	٨	خربًا	حربًا
»	١٤	لاحب	لاحب
٧٢	٥	العذّل	العذُّل
»	١٣	بخبطّ	بخبطّ
٧٣	٥	يحيىء	يحيّى
»	٨	قول بن اسحاق	قول ابن اسحاق
»	١١	أحمله	أخمله
٧٤	١١	وصعب	وصعصع
٧٨	١	المواخات	المواخاة
٧٩	١٣	أخبارًا	أخبارًا
٨	١٥	الحدره	الحدره
٨١	٥	كلاب	كلاب
٩	٦	كلاّ	كلّا
»	١٢	لخندف	لخندف
٩٢	١٢	لبالّى	لبالى
٩٣	١٤	البارد	البارد
١٠٣	١	الحلف	الحلف
١٠٧	٣	سلتًا	سلتّا
»	٩	وفارب	فاروب

﴿ تابع لجدول الخطاء والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
١١٣	٧	ذكور	ذكور
١١٦	٢	الهمّ	اللهمّ
”	١٣	بيتوكا	بسوكا
١١٨	٦	بلمى	بلتّى
١٢٢	١٢	مستهرشاً	مستهرئاً
١٢٥	٨	حرمّ	حتّم
١٣٣	٦	بالمحاره	بالمحاره
١٣٥	٩	حمثى	حسبى
١٣٦	٣	يمرْج	يمرَج
١٣٧	١	خُرُهم	خُرهُم
١٤٥	١٣	العصول	العصول
١٤٨	١	لو أُدّعى	لو آدّعى
١٥٢	٢	يعملون	يعملون (سورة ٥ آية ١٠٣)
”	١٣	كطوافيهم	كطواهيهم
١٥٤	٧	فاحد	فاحد
١٥٥	١٢	طوعب	ط واعب
١٥٩	٧	بسطهره	بسط بهره
١٦١	١	الهمدانى	الهمدانى
١٦٩	١	ما زُلت	ما زلت
”	٢	يسرح	يشرح

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحه	سطر	خطاء	صواب
١٦٧	٧	وحُلّىَ النساء	وحُلِىّ النساء
١٦٩	٧	كذا وكذا	قال هو كذا وكذا
»	١٤	الط يل	الطويل
١٧	٥	بعضى	بعضاً
١٧٤	١	أحدد	أحدود
١٧٥	٧	بتّان	بيان
١٧٩	٦	الحضر نخلهُ	الحَضِر نخله
١٨٢	٣	بلّقه	بلقّه
١٨٣	١	بتّان	بيان
١٨٧	٣	فحاص به وصحصاح البه حر	فحاص به صحصاح البحر
١٨٨	١	أُسرى	أسرى
١٩٠	١	وأُجد	وأجِد
١٩٣	٨	برهه	أبرهه
١٩٤	٤	وعتّا	وعتّى
١٩٧	٤	بؤيوا	بؤوبوا
١٩٩	٩	حشه	حشمه
٢٠٣	٧	فلعلا	فلعالا
٢٠٦	٤	ﻫ با عسر	با معشر
٢٠٧	٤	فمعجل	فبجعل
٢١٢	٦	من احداب	باحداب (؟)

(تابع جدول الخطأ والصواب)

صواب	خطأ	سطر	صفحة
وأخبرهم خبيرة	وأخبرهم وحبيرة	٧	٢١٤
البروا	البرواء	٩	٢١٩
رئتكم	رئتكم	١٦	٢٢٥
فوالله ما رأسب	فوالله . نسب	١٤	٢٢٥
جمير	حيقر	٤	٢٤٠
بهيئة ونه	بهتمود ه	٨	٢٤٢
لتشكي	لتنبك	٦	٢٤٨
سلوا	سلوا	٣	٢٤٩
يحلته	نحلته	١٥	٢٥
مروؤة	مرؤوه	١٠	٢٥٦
لحوحا	حوجا	١٢	٢٦٤
سأن	سان	١	٢٦٥
سدروا	سدوا	٢	٢٧
أحشاءها	أحشاديها	٥	»
نكسي	نكسي	١٣	٢٧١
للرشي	للرمي	٧	٢٧٨
رطمه	نطمه	١٥	٢٨٧
مطمئني	مطمي	١٣	٢٩
نلعمي	نليعمي	١٥	٣ ٣
نعرب	نعرب	٨	٣ ٥
بالامائل	بالا مائل	٦	٣٥٤
أقحط	أوحط	٨	٣٥٦

فهرسة الابواب

فهرست الابواب





BIBLIOTHECA ARABICA
PUBLIÉE PAR LA FACULTÉ DES LETTRES D'ALGER
VI

AL-KALÂ'Î

KITÂB AL-IKTIFÂ'

(1re PARTIE)

Édité par

HENRI MASSÉ
PROFESSEUR A LA FACULTÉ DES LETTRES D'ALGER





ALGER
JULES CARBONEL
IMPRIMEUR ÉDITEUR

PARIS
PAUL GEUTHNER
13, RUE JACOB

1931

'AL-KALÂ'Î

KITÂB AL-IKTIFÂ'

I

